

٤٨٨

دراسات وبحوث

في التاريخ والإسلام

جعفر مرتضى العاملي

الجزء الأول والثاني

مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة



دراسات وبحوث

في

التاريخ والإسلام

«الجزء الثاني»



٤٨٨

دراسات وبحوث

في التاريخ والإسلام

جعفر مرتضى العاملي

مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـديم

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد للّه ربّ العالمين . . والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين وعلى الأئمة الهداة من بعده وعلى أبنائه الطاهرين . .

وبعد :

فهذا هو الجزء الثاني من كتاب : « دراسات وبحوث : في التاريخ ، والإسلام » اقدّمه إلى القراء الكرام ومعه كل إخلاصي وتقديري راجياً من الله تعالى أن يوفقنا جميعاً لنصرة دينه ، والعمل في سبيله إنه ولي قدير . .

جعفر مرتضى الحسيني العاملي

بحوث اسلاميّة

الحب في التشريع الإسلامي.
العقيدة والنظام.
السواك.
الحروف المقطعة في القرآن.
لمن هذه الكتب.
فلسفة الأخلاق في الإسلام.
نحن.. ونهج البلاغة.
الوحدة الإسلامية: أسسها ومنطلقاتها.
الرياضة.. والاستعمار.
من هم الخالدون؟.



الحب في التشريع الإسلامي

إنه إذا كانت بعض التشريعات قد اتخذت « القوة » أساساً لها ، ومحوراً ومنطلقاً وبعضها الآخر جعل « المادة » منطلقاً ومحوراً . وبعض ثالث اعتبر « الحرية المطلقة » هي المنطلق والأساس . . وهكذا . .

فإن الإسلام . . هذا الدين الخالد ، قد نظر إلى الإنسان نظرة أكثر دقة وشمولاً عندما رفض أن يكون كل ذلك ، وسواه أساساً صالحاً للتشريع ، أو منطلقاً واقعياً للنظم والأحكام . .

ونظر إلى الإنسان بمنظار آخر ، يعطيه هويته بما هو إنسان ، ويلبي احتياجاته بما هو كائن مرتبط بكل ما في هذا العالم ، ويفجر فيه طاقاته ؛ ليعمره ، ويجسد فيه الحياة الفضلى ، والعيش الكريم . .

فكان أن بنى علاقاته على أساس آخر ، يتلاءم مع فطرة الإنسان ، وينسجم مع طاقاته وقدراته . . لا يجحد حق موجود في سبيل تكريس امتياز لموجود آخر ، كما أنه لا يلبي احتياجات طاقة على حساب أي من الطاقات الأخرى .

هذا الأساس يمكن تلخيصه بكلمة واحدة ، وبكلمة واحدة فقط وهي كلمة « الحب » . .

وذلك لأنه إذا كانت علاقة الإنسان بالحياة ، وبكل الموجودات الطبيعية قائمة على أساس « الحب ، والكره » . . بل لقد بلغ حبه للدنيا حداً يجعله يهمل أمر الحياة الآخرة « كلا بل تحبون العاجلة ، وتذرون الآخرة »[1] كما أن حبه العارم للمادة كان حباً جماً . . إلى غير ذلك مما يؤكد حبه العارم للمادي مما في هذا الوجود - إنه إذا كان كذلك - فإن من الطبيعي أن يوظف الإسلام شعوره الفطري والطبيعي هذا ، ويوجهه إلى تحقيق الأهداف الخيرة والنبيلة ، وإلى الوصول إلى القيم والكمالات الإنسانية الرفيعة كما أن من الطبيعي أن يكرس هذا الحب في مجالات علاقات الإنسان الأخرى ، التي يهتم الإسلام بالهيمنة عليها ، وضبطها والاستفادة منها لإسعاد الإنسان ، وتأدية دوره البناء في الحياة ، على النحو الأكمل ، والأشمل والأفضل .

* * *

وإذا استثنينا الحديث عن علاقات الإنسان بالطبيعة والكون ، والتي قلنا إنها قائمة على أساس الحب ، فإننا نجد : أن علاقاته في سائر المجالات - والتي يلاحظ أن الإسلام قد بناها أيضاً على أساس المودة والحب - يمكن رسمها في ثلاثة اتجاهات رئيسية :

١ - علاقات الإنسان أولاً بنفسه .
٢ - علاقاته بربه ، ومعتقداته .
٣ - علاقاته بغيره من بني الإنسان .

ولو أننا حاولنا مراجعة النصوص القرآنية وكذلك نصوص السنة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام لوجدناهما المعين الثر : الذي لا يزال يفيض ويفيض كل آيات المحبة والمودة والحنان ومعانيها ، وللمسنا في كل آية وفي كل قول ذلك الشمول في الحب الذي أراده الإسلام لمختلف شؤون الحياة ومجالاتها . وإذا كان ما لا يدرك كله لا يترك جله . فإننا نكتفي بالإشارة الموجزة لبعض هذه الموارد . وقد نحاول أن نركز بشكل موجز ومحدود على

---

(١) سورة القيامة ٢٠ - ٢١ .

البعض منها ، حينما تقتضيه المناسبة ، فنقول :

* * *

إننا قبل ذلك نود أن نشير إلى أن الإسلام قد جعل العلاقة بين الإنسان ، وبين الحق والخير والإيمان قائمة على الحب . فقد قال تعالى : « ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم ، وكرّه إليكم الكفر ، والفسوق والعصيان ، أولئك هم الراشدون»[1].

وقال : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا ، والله يحب المطهرين »[2] .

وقال : « وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع ؛ مما عرفوا من الحق »[3] .

وفي مقام التأكيد على فطرة الإنسان على حب الخير ، وإن كان ربما تطغى على هذه الفطرة بعض المؤثرات الخارجية ، قال تعالى : « وإنه لحب الخير لشديد »[4] .

* * *

وبعد هذا ، فأما عن علاقات الإنسان بنفسه ، فجعلها قائمة على أساس الحب والمودة مما لا يحتاج إلى بيان ، أو إلى إقامة برهان ؛ لأنه أمر فطري جبلي ومع ذلك لم يترك له الاختيار في تعامله مع نفسه ، بل منعه الإسلام من كل أمر يضربها وحبب إليه كل أمر ينفعها ويصلحها ، وجعل اعتداءه على نفسه ـ بأي لون من ألوان الاعتداء ـ لا يقل بشاعة وفظاعة عن اعتدائه على الآخرين ، ولعل إطالة الكلام في ذلك ، بعد وضوحه مما لا يحسن ولا يجمل . ولا سيما بملاحظة الآيات القرآنية ، والأحاديث الواردة عن النبي ، وأهل بيته المعصومين ،

---

(١) سورة الحجرات ـ ٧ .
(٢) سورة التوبة ـ ١٠٨ .
(٣) سورة المائدة ـ ٨٣ .
(٤) سورة العاديات ـ ٨ .

صلوات الله عليهم أجميعن .

* * *

وأما عن علاقاته بربه ؛ فيكفي أن نشير هنا إلى قوله تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الاه ، فاتبعوني يحببكم الله ﴾[1] .

وقوله عن المؤمنين : ﴿ والذين آمنوا أشد حباً لله ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ، من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ، ويحبونه ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤيته من يشاء والله واسع عليم ﴾[3] .

وقد وردت آيات كثيرة تميز الذين يحبهم الله ، عن أولئك الذين لا يحبهم ؛ فهو تعالى يحب التوابين . المحسنين . المطهرين . المتقين . الصابرين ، المتوكلين . الخ . .

ولا يحب المعتدين . الظالمين . الخائنين . المسرفين . المستكبرين . الكافرين . الخ . . وستأتي الآية التي تؤكد على أن حب الله ورسوله ، والجهاد في سبيله يجب أن يتفوق على كل حب .

وبعد هذا ، فإننا نلاحظ : أنه تعالى لا يقبل من محبيه أن يشاب حبهم له بموالاة أعدائه ، بل لا بد من خلوص الحب له ، كما لا بد من خلوص الدين له « مخلصين له الدين » . ويدلك على ذلك الكثير من الآيات والروايات ، بل في بعضها عد موالاة أعدائه كفراً وشركاً ، قال تعالى : ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾[4] .

---

(١) سورة آل عمران ـ ٣١ .
(٢) سورة البقرة ـ ١٦٥ .
(٣) سورة المائدة ـ ٥٤ .
(٤) سورة المائدة ـ ٥١ .

وقال تعالى: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر، يوادون من حاد الله﴾[1].

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) : « من أحب كافراً فقد أبغض الله ، ومن أبغض كافراً فقد أحب الله »[2] .

إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه واستقصائه . .

وقبل أن نمضي في الحديث نود أن نشير إلى أمر جدير بالملاحظة هنا ، وهو أننا نرى أنه تعالى قد بين أن هناك ملازمة بين الاتباع للرسول ، وبين حب الله لهم حيث قال : إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله . .

وذلك لأن الذي يحب الله حقيقة لا بد وأن يؤثر حبه على كل شيء مما تتعلق به نفس الإنسان من آباء ، وأبناء ، وعشيرة ، ومال ومساكن إلى آخر ما ستأتي الإشارة إليه في الآية ٢٤ من سورة التوبة . .

وإذا اتبعوا الرسول؛ فإنهم سوف يتصفون بكل الصفات التي يحبها الله، ويرضاها ويأمر بها من : التقوى ، والعدل ، والإحسان ، والصبر ، والثبات ، والتوكل ، والتوبة والتطهر . . وغير ذلك . . لأن الله بمقتضى نص القرآن الكريم يحب المحسنين . الصابرين، والتوابين إلى آخر ما تقدمت الإشارة إلى بعض منه . .

بل إن حب الله يجب أن يثمر ويعطي على نطاق أوسع ، فيجب أن يمنع الإنسان من ارتكاب أية معصية على الاطلاق . . قال الصادق عليه السلام : « ما أحب الله من عصاه » ثم تمثل فقال :

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في الفعال بديع
لو كان حبك صادقاً لاطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع[3]

---

(١) سورة المجادلة ـ ٢٢ .

(٢) سفينة البحار ج ١ ص ٢٠١ .

(٣) المصدر السابق .

كما أنه يجب أن يدفعه حبه هذا للتضحية وبذل المال، مهما كانت حاجته ماسة إليه وقد مدح الله تعالى أمير المؤمنين وأهل بيته بأنهم: «يطعمون الطعام على حبه مسكيناً، ويتيماً وأسيراً»، لا لشيء إلا لأجل حب الله وابتغاء مرضاته، ﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً﴾[1].

بل لقد اعتبر أن حب الله والرسول يجب أن يتفوق على كل حب، ويزيد على كل علاقة كما سيأتي بيانه..

* * *

وأما بالنسبة لعلاقة الإنسان بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد بناها الإسلام أيضاً على أساس الحب والمودة.

وقد قال القرآن لموسى: ﴿وألقيت عليك محبة مني﴾[2].

وقال تعالى: ﴿قل: إن كان آباؤكم، وأبناؤكم، وإخوانكم، وأزواجكم، وعشيرتكم، وأموال اقترفتموها، وتجارة تخشون كسادها، ومساكن ترضونها، أحب إليكم من الله ورسوله، وجهاد في سبيله؛ فتربصوا حتى يأتي الله بأمره، والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾[3].

وفي معنى هذه الآية عدة روايات أخرى..

فعن الصادق (عليه السلام): «لا يمحض رجل الإيمان حتى يكون الله أحب إليه من نفسه، وأبيه، وأمه، وولده، وأهله، وماله، ومن الناس كلهم»[4].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أنه قال: «والذي نفسي بيده لا

---

(١) سورة الإنسان ـ ٨ ـ ٩.
(٢) سورة طه ـ ٢٩.
(٣) سورة التوبة ـ ٢٤.
(٤) سفينة البحار ج ١ ص ٢٠١.

يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه ، وأبويه، وأهله ، وماله ، وولده ، والناس أجمعين»[1].

وروي عن عبد الله بن هشام قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب ؛ فقال : والله ، لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي ؛ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه . .[2] .

وإذن . . فالإسلام يعتبر محبة الله والرسول ، والجهاد في سبيل الله هي الأهم والأولى في قبال كل الأشياء الأخرى على الاطلاق . . ويعتبر طغيان حب النفس ، والآباء والأبناء والأموال ، والمساكن ـ الخ ـ على حب هؤلاء خروجاً عن الفطرة ، وظلماً للحب الذي كان يجب أن يكون مقدماً ومهيمناً في مختلف شؤون الحياة ومجالاتها .

وإذن فحبه لكل شيء يجب أن يكون بمقدار . . وأن لا يظلم به حباً آخر ، ولا على حساب مودة أخرى ، وإلا فإنه يكون عرضة للعقاب والنكال ولا سيما بالنسبة لحب الله ورسوله والجهاد في سبيله ، لأنه يعتبر ذلك هو الأساس في توجيه كل محبة وتوظيفها فيما فيه خير هذا الإنسان وسعادته .

ومما يدل على أنه يعتبر حب الله هو المعيار والميزان في كل حب ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «أوثق عرى الإيمان الحب والبغض في الله»[3].

وعن الصادق (عليه السلام) : « إن من أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله ، وتبغض في الله وتعطي في الله ، وتمنع في الله عزَّ وجلَّ »[4] .

وعن الصادق أيضاً : « لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتى يحب أبعد

---

(١) سفينة البحار ج ١ ص ٢٠١.
(٢) الدر المنثور عن أحمد والبخاري .
(٣) سفينة البحار ج ١ ص ٢٠١ .
(٤) تحف العقول ص ٣٥٨ و٣٦٢ وسفينة البحار ج ١ ص ٢٠١ .

الخلق منه في الله ، ويبغض أقرب الخلق منه في الله »[1] .
إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه واستقصائه . .

* * *

وأما بالنسبة لعلاقة الإنسان ، بالقائد بعد الرسول علي (عليه السلام) ، وبالأئمة من بعده ، أئمة الحق صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . فهي أيضاً قائمة على أساس الحب والمودة . . وذلك لأن هذا الربط العاطفي بالادلاء على الحق ، والهداة إلى سبيله بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، هو من أهم أسباب تحقق القدوة الحسنة ، والاتباع بإحسان ، الذي يقربنا إلى الله ، ويحببه إلينا ، ويحببنا إليه . .

وقد ورد في أن حب علي (عليه السلام) إيمان وبغضه كفر روايات كثيرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم لا مجال لاستقصائها . .

وورد أيضاً : أن من أحب علياً ، فقد أحب رسول الله ، ومن أحب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم رضي الله تعالى عنه . . وعن الزهري أنه سمع أنس بن مالك يقول : والله الذي لا إله إلا هو ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب »[2] .

وقال تعالى بالنسبة إلى محبة أهل البيت ومودتهم : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾[3] .

وعن الكشاف، والثعلبي : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في حديث : « ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً ، ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل

---

(١) أعيان الشيعة ج ٤ قسم ٢ ص ١٩٨ ـ ٢٠٣ .
(٢) العمدة لابن بطريق ص ١٩٣ .
(٣) سورة الشورى ـ ٢٣ .

الإيمان »[1] إلى غير ذلك مما لو أردنا استقصاءه لاحتجنا إلى تأليف خاص ، ووقت طويل .

بل إن علاقة الإنسان الذي يتيقن بأنه مع الله والله معه بالموت تصير علاقة حبية ، وقد تكرر طلب الله ممن يدعون أنهم أولياء لله من دون الناس تكرر طلبه منهم : أن يتمنوا الموت إن كانوا صادقين .

وأما عن علاقات الإنسان بالآخرين ، فهي أول ما تبدأ بعلاقته بأبويه . . وقد جعل علاقته بهما من جهة ، وعلاقتهما به من الجهة الأخرى قائمة على أساس الحب والمودة أيضاً . .

فأمرهما ببره بعد بر والديهما وجعل له حقوقاً عليهما : كتسميته باسم حسن وتأديبه وتعليمه الكتابة ، والوفاء بالوعد له ، وتعليمه الطهارة ، ومعالم الدين ، والقرآن الكريم ، وإكرام امه وعدم الاساءة إليها ؛ لأن ذلك يوجب حزنه إلى غير ذلك مما يضيق المقام عن تعداده . .

ويكفي أن نذكر هنا ما ورد من أن من قبّل ولده كتب الله له حسنة . وورد أيضاً أن الله ليرحم العبد لشدة حبه لولده . وورد أيضاً الأمر ببر الأولاد بعد بر الوالدين[2] .

بل لقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله : « يلزم الوالدين من عقوق الولد ما يلزم الولد لهما من العقوق »[3] .

وقد نظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى رجل له ابنان ، فقبل أحدهما وترك الآخر ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « فهلا آسيت بينهما ؟! »[4] .

إلى غير ذلك مما يضيق عنه المقام . . أما أوامره لهما بالنسبة إلى الولد ، وهو

---

(١) سفينة البحار ج ١ ص ٢٠٣ .
(٢) مرآة الكمال للمامقاني ص ٣١ ـ ٣٢ .
(٣) مكارم الأخلاق ط حجرية ص ١٣٣ ومرآة الكمال ص ٣٢ .
(٤) مكارم الأخلاق ص ١٣٣ .

لا يزال طفلاً بل جنيناً ، بل وحتى قبل ذلك أيضاً فهي مما لا يمكن أن ينكره من له أدنى اطلاع على التعاليم الإسلامية .. وذلك يعكس مدى اهتمام الإسلام بالإنسان وأنه يعتبره كل شيء في هذا الكون ، وكل شيء مسخر من أجله وفي سبيله .. حيث لم يترك علاقة الأبوين للإحساس الفطري بالعطف والرحمة الناشيء عن مشاهدتها لضعفه وعجزه .. بل وضع النظم والقوانين الكفيلة بتنظيم هذه الفطرة واستثمارها على النحو الأفضل والأكمل ..

وخلاصة القول : إنه لا بد وأن يكون الأساس هو الحب والمودة ، ولا سيما في مقام تربية الولد وتهذيبه ، أن يشعر بأن ما يلقى إليه صادر عن محبة وإخلاص له ؛ لأن الإنسان بطبيعته يخضع للحق إذا جاءه عن هذا الطريق . بخلاف ما لو جاءه عن طريق التحدي والغلظة والشدة فإنه سوف ينفر ويبتعد عنه ، ولو كان حقاً ..

وهذا الأسلوب هو الأمثل في تبليغ الرسالة ، ونقل الأفكار والآراء إلى الآخرين وقد قال تعالى مخاطباً رسوله : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك ؛ فاعف عنهم ، واستغفر لهم ﴾[1] .

وسيأتي قوله تعالى : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم الخ ﴾ ومن الواضح : أنه إذا شعر الطفل بأن أبويه يحترمان آرائه ، ويخلصان له في كل شيء ، فإنه سوف يطمئن لهما ، ويثق بهما ، ولسوف يسهّل ذلك له البوح لهما بأسراره ومشاكله ، وما يعانيه ، وينطلق ويعيش معهما على سجيته ، وعلى حسب طبيعته ، من دون تزيّف ولا تكلف .. الأمر الذي يمكنهما من معالجة مشاكله ، وتقويم انحرافاته ..

أما إذا اعتقد : أن القصد هو إذلاله ، وتحطيم شخصيته ، فإن من الطبيعي أن لا يطلعهما على خلجات نفسه ، وأن لا يكشف أمامهما كل أوراقه .. ومن هنا نلاحظ : أن الكثيرين من أبنائنا يطلعون أصدقاءهم على كل شيء ، ولا يظهرون لآبائهم أي شيء ؛ وما ذلك إلا لأنهم ينتظرون منهم العقاب

---

(١) سورة آل عمران ـ ١٥٩ .

على كل خطأ ، واللوم على كل اشتباه .

وإذا ما رأينا بعض الأطفال يظهر لوالده احتراماً ؛ فإن احترامه في الحقيقة ليس له ، وإنما لعصاه . . وهذا في الواقع خوف لا احترام . . حتى إنه بمجرد أن يراه قد فقد عصاه ، وزالت قوته ، فلا يقتصر الأمر على عدم الاعتداد به والالتفات إليه ، بل قد تصل النوبة إلى ما هو أسوأ من ذلك وأشد . . شأن التعامل مع كل الأقوياء أياً كانوا ، وحيثما وجدوا .

وأما إذا لاحظنا علاقة الولد نفسه بأبويه فإننا نجد ، أن الإسلام كان أكثر تأكيداً ، وتشدداً فيهما . . وذلك لأنهما ليسا منه ، ولا يرتبط بهما بنفس الروابط ، وعلى نفس الطريقة . . بخلافهما معه ، حيث إنهما يشعران أنه جزء منهما ، وأنه امتداد لوجودهما . . ومن هنا نرى الإسلام يحاول في دعوته إلى محبتهما ، والبر بهما : أن يعلل له ذلك ، ويشير إلى بعض السر في دعوته تلك . . ثم هو يثير فيه عاطفته، ويشدد على عطفه، ورحمته لهما، كما أنه يذكره بما لهما من الفضل عليه، وبما ضحيا وقدما وقاسياه في سبيله ؛ فنرى الله تعالى بعد أن قرن الاحسان إليهما بعبادته ، وعدم الشرك به يقول :

﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه، وبالوالدين إحساناً، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما ، أو كلاهما ؛ فلا تقل لهما أفٍ ، ولا تنهرهما ، وقل لهما قولاً كريماً . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ واعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين إحساناً ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن ، وفصاله في عامين : أن أشكر لي ولوالديك إلي المصير ﴾[3] .

---

(١) سورة الاسراء ٢٣ ـ ٢٤ .
(٢) سورة النساء ـ ٣٦ .
(٣) سورة لقمان ـ ١٤ .

إلى غير ذلك من الآيات والروايات الكثيرة الواردة في ذلك . .

* * *

وأما الإنسان في حياته الزوجية . . فلما كان من الواضح : أن الأسرة هي اللبنة الأولى في الهيكل الاجتماعي العام ، واللبنة الأولى في الأسرة هذه هي الزوجان . . فمن الطبيعي أن يهتم الإسلام فيها اهتماماً خاصاً ، ويوليها عناية خاصة .

وما ذلك إلا لإدراكه : أن الأسس التي يقوم عليها بناء الأسرة ، والعلاقات فيها : إذا كانت تجارية مصلحية شخصية ، أو تمليها ظروف سياسية ، أو اجتماعية معينة ، فإن تلك العلاقات سوف تنتهي بانتهاء تلك المصلحة الشخصية ، والبناء سوف ينهار بانتهاء ذلك الظر ف المعين ، وتحقيق تلك الأهداف التجارية أو السياسية ، أو غيرها . . ويكون مصير الحياة الزوجية - من ثم - هو الدمار ، والتلاشي والإنهيار .

ومن هنا كان نهي الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عن زواج كهذا ، الزواج الذي ينطلق من هذه النظرة الضيقة ، وينتهي إلى هذا الواقع المؤلم ، حيث نهى صلى الله عليه وآله وسلم عن نكاح يراد به غير وجه الله والعفة، نهى عن النكاح للرياء والسمعة . .

وعن جعفر بن محمد (عليه السلام) أنه قال : « إذا تزوج الرجل المرأة لحسنها أو لمالها وكِلَ إلى ذلك ، وإن تزوجها لدينها وفضلها رزقه الله الجمال والمال ، قال الله عز وجل : « وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ، إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ، والله واسع عليم »[1] .

وعنه (عليه السلام) : « أنه نهى أن ينكح الرجل المرأة لمالها أو لجمالها ، وقال : مالها يطغيها ، وجمالها يرديها ، فعليك بذات الدين»[2].

---

(١) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٥٣٥

(٢) المصدر السابق .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « من نكح امرأة حلالاً بمال حلال ، غير أنه أراد به فخراً ورياءً وسمعة لم يزده الله بذلك إلا ذلاً وهواناً . . إلى آخر الحديث »[1] .

وبعد هذا . . فإننا نرى الإسلام في مقابل ذلك قد أرسى قواعد بناء الأسرة على أسس من المحبة والمودة والرحمة . ويكفي أن نذكر هنا قوله تعالى :

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾[2] .

فقوله ﴿ من أنفسكم ﴾ هو بمثابة العلة لقوله ﴿ لتسكنوا إليها ﴾ . وذلك لأن المراد ـ وإن كان هو أن المرأة قد خلقت من جنس الرجل ، وليس لها ماهية وحقيقة مختلفة عنه فيصعب التفاهم والإنسجام بينهما ـ إلا أن اختيار كلمة ﴿ من أنفسكم ﴾ للتعبير عن هذا التوافق في الماهية ، إنما هو ليزيد من إظهار هذا الترابط ، وليؤكد ذلك الإنسجام . . ففيه إشارة إلى أن كلاً من الرجل والمرأة جزء مكمل لسعادة الآخر ومتمم لراحته . وإذا كان الشيء جزءاً ومكملاً للإنسان فلا بد وأن لا يرتاح بدونه وأن يحبه ، ويحافظ عليه بكل ما لديه . . أما لو كان غريباً منفصلاً عنه ؛ فقد يشعر أن بالامكان الاستغناء عنه .

وملخص القول في قوله : ﴿ من أنفسكم ﴾ أنه إشارة إلى أن كلاً من الزوجين متمم للآخر ، ناقص بدونه ؛ فإذا التأم مع جزئه المكمل له اطمأن وسكن . . ولعل هذا ما يفسر لنا أيضاً ميل كل من الزوجين إلى الآخر ، على اعتبار أن كل فقير ومحتاج يميل إلى ما يزيل فقره ، وترتفع به حاجته . .

ثم إنه تعالى قد عقب ذلك بقوله : ﴿ وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ .

والمودة ـ على ما قيل ـ هي : الحب الظاهر أثره في مقام العمل[3] . أما الرحمة ، فهي : العطف الناشيء عن مشاهدة حرمان الغير ونقصه . الأمر الذي

---

(١) الوسائل ط حجرية ج ٣ ص ٧ .

(٢) سورة الروم ـ ٢١ .

(٣) كنز الكراجكي .

يدفع ذلك الراحم إلى الاقدام على رفع ذلك النقص عنه ، وانجائه من ذلك الحرمان .

وواضح أن في حياة الزوجين لا بد وأن يشعر كل منهما بما يفقده الآخر ، ويحس بحاجته إلى العون والمساعدة ، فيرحم كل منهما الآخر ، ويوجد الدافع لدى كل منهما ليرفع نواقص الطرف الآخر ، ويعملان في سبيل ذلك كل في مجال اختصاصه ، وفي حدود قدراته . .

وإذا لاحظنا من الناحية الأخرى : أن الحقوق والواجبات ، التي منحها الشارع لكل من الزوجين تجاه شريكه هي مما لا يمكن معه لأي منهما الاستقلال والاكتفاء عن مساعدة شريكه له . . بحيث لو أراد كل منهما أن يلتزم تجاه الآخر ـ فقط ـ بما يجب عليه شرعاً ، لم تقم للحياة الزوجية قائمة . .

وإنما اكتفى فقط بالحث على التعاون والتكافل ، بالمقدار الذي لا يجعل ذلك واجباً شرعياً . . ولا يزيد على أن يجعله وظيفة خلقية . .

إننا إذا لاحظنا ذلك فإننا سوف ندرك : أن الإسلام أراد أن يجعل التعامل بين الزوجين قائماً على أساس التضحية المتبادلة ، التي هي من أهم أسباب توثيق عرى المحبة والإلفة، وقد أشار (عليه السلام) إلى هذا المعنى عندما قال : ﴿تهادوا تحابوا﴾ . .

وقد اشتهرت وشاعت قضية معبرة عن هذا المعنى أيضاً ، وهي قضية الربيع ـ على ما أظن ـ عندما طلب من الخليفة : أن يحب ولده الفضل ؛ فأنكر الخليفة ذلك الطلب منه ، على اعتبار أن الحب ليس أمراً اختيارياً له ، يستطيع أن يمنحه لمن يشاء ، ويمنعه عمن يشاء ؛ فطلب منه الربيع أن يعطي الفضل ويهبه أموالاً وضياعاً ؛ فإنه إذا فعل ذلك فلسوف يحبه حينئذٍ .

وقال أبو الحسن المدائني : قام رجل إلى أسد بن عبد الله فسأله ؛ فأعرض عنه ، فقال : أما والله ، إن لأسألك من غير حاجة . قال : فما يدعوك إلى مسألتي إذن ؟! قال : « رأيتك تحب من اعطيته ؛ فأحببت أن تحبني ، فأعطاه

عشرة الآف درهم »[1] ويروون عن صفوان بن امية ، قال : « أعطاني رسول الله (ص) يوم حنين وإنه لأبغض الناس إلي فما زال يعطيني حتى صار وإنه لأحب الناس إلي »[2] .

وأخيراً . . فإن من المناسب أن نذكر هنا : أنه قد جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا نبي الله ، لقد عجبت من أمر ، وإنه لعجب !! إن الرجل ليتزوج المرأة ، وما رآها ، وما رأته قط . . حتى إذا ابتنى بها ، أصبحا وما شيء أحب إلى أحدهما من الآخر . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : وجعل بينكم مودة ورحمة . .

* * *

وأما عن علاقة الإنسان بذوي رحمه . . فكونها قائمة على أساس المحبة والمودة مما لا يحتاج إلى بيان . . ويكفي أن نذكر هنا : أن الإسلام قد جعل صلة الرحم من الواجبات ، التي يعاقب الإنسان على تركها ، وتجاهلها . .

* * *

وأما عن علاقة الإنسان بجيرانه . . فيكفي أن نذكر أن جبرئيل ما زال يوصي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالجار ، حتى ظن أنه سيورثه . .

ثم تأتي بعد ذلك علاقة الإنسان بوطنه ، التي عبر عنها الإسلام حسبما ورد عنهم (عليهم السلام) بأن : « حب الوطن من الإيمان »[3] .

وأما عن علاقة المؤمنين بعضهم ببعض في كل مكان . . فإننا نلاحظ : أن الإسلام قد اعتبر الأمة المؤمنة المسلمة بمثابة أسرة واحدة ، يكون النبي هو المربي لها ، ثم وصيه من بعده . . يلاحظ ذلك كل من راجع آيات القرآن ، وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته (عليهم السلام) . . فنلاحظ : أن

---

(١) لباب الآداب ص ١٠٩ .
(٢) مسند أحمد ج ٣ ص ٤٠١ .
(٣) سفينة البحار ج ٢ ص ٦٦٨ .

القرآن بعد أن قرر الأخوة بين المؤمنين، بقوله «إنما المؤمنون إخوة»، قد رتب على ذلك أن هذه الأخوة لا بد وأن تكون مسؤولة ولا بد وأن تنتج وتثمر ، وتؤثر آثارها على الصعيد العملي ، حيث جعل مقتضى هذه الأخوة هو المبادرة للإصلاح بين الأخوة ؛ فقال تعالى : ﴿ فاصلحوا بين أخويكم ﴾[1] .

كما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد نقل عنه أنه قال « مثل المؤمنين في تـوادهم، وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[2] .

وعن الصادق (عليه السلام) ، أنه قال : « إنما المؤمنون إخوة ، بنو أب وأم ؛ وإذا ضرب على رجل منهم عرق ، سهر له الآخرون »[3] .

وعنه (عليه السلام) : « المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد ؛ إذا اشتكى شيئاً منه ، وجد ألم ذلك في سائر جسده . . إلى آخر الرواية »[4] .

كما أنه تعالى جعل المؤمنين بعضهم من بعض ، فقال : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم من بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر»[5].

وفي معناها غيرها . . كما أنه تعالى يعتبر غير المؤمنين أيضاً كذلك ولكنهم في مقام العمل والنشاط على العكس منهم حيث قال تعالى ﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ، يأمرون بالمنكر ، وينهون عن المعروف »[6] . كما أنه تعالى وصف المؤمنين بأنهم : ﴿ أشداء على الكفار ، رحماء بينهم ﴾[7] إلى غير ذلك مما يضيق عنه المقام .

وإذا كان الإسلام يعتبر الأمة المسلمة المؤمنة بمنزلة الأسرة الواحدة ، يكون

---

(١) سورة الحجرات ـ ١٠ .
(٢) صحيح مسلم ج ٨ ص ٢٠ ومسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٢٧٠ وفي معناه غيره .
(٣) أصول الكافي ط سنة ١٣٨٨ ج ٢ ص ١٣٢ .
(٤) المصدر السابق .
(٥) سورة التوبة ـ ٧١ .
(٦) سورة التوبة ـ ٦٧ .
(٧) سورة الفتح ـ ٢٩ .

الكل فيها إخوة متحابين متآلفين . . فإنه أيضاً يعتبر النبي ، والوصي بعده بمنزلة الأب ، والمربي لهذه الأسرة الكبيرة ، فقد ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم قوله : « أنا وعلي أبوا هذه الأمة »[1] .

ثم إنه تعالى وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالأوصاف التي يجب أن تتوفر في المسؤول عن الأسرة . . فقال عنه : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾[2] .

ويلاحظ هنا مدى التوافق والإنسجام بين هذه الآية وبين الآية المتقدمة من سورة الروم ـ ٢١ ، والتي وضعت الأساس لبناء الأسرة الصغيرة ، التي هي لبنة في الهيكل الاجتماعي الكبير . .

ثم إن ما يلفت نظرنا هنا هو أن هذه الأخوة التي قررها الإسلام ، قررها أخوة مثمرة ، ومنتجة تتحمل مسؤولياتها كاملة كما تقدم بيانه في الآية المتقدمة ، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله . « من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم » وفي معناه روايات مستفيضة[3].

وسئل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « من أحب الناس إلى الله ؟ قال : أنفع الناس للناس »[4] .

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) : « المؤمن أخو المؤمن عينه ، ودليله ، لا يخونه ، ولا يظلمه ، ولا يغشه ، ولا يعده فيخلفه »[5] وفي معناه عدة روايات .

وقد عقد في الكافي فصلاً خاصاً لبيان حق المؤمن على المؤمن ، فلا بأس بمراجعة ج ٢ ص ١٣٥ فما بعدها . .

* * *

---

(١) راجع : موقع ولاية الفقيه من نظرية الحكم في الإسلام للمؤلف.
(٢) سورة التوبة ـ ١٢٨ .
(٣) راجع : أصول الكافي ج ٢ ص ١٣١ ط سنة ١٣٨٨ .
(٤) المصدر السابق .
(٥) المصدر السابق ص ١٣٢ .

وأخيراً . . فقد جعل المقياس في معرفة الخير في الإنسان ، هو محبة أهل طاعة الله ، وعدم محبتهم . . فعن أبي جعفر : « إذا أردت أن تعلم أن فيك خيراً ، فانظر إلى قلبك ؛ فإن كان يحب أهل طاعة الله عز وجل ، ويبغض أهل معصيته ؛ ففيك خير ، والله يحبك . وإذا كان يبغض أهل طاعة الله ، ويحب أهل معصيته ليس فيك خير ، والله يبغضك ، والمرء مع من أحب »[1] .

* * *

كانت تلك بعض الأمثلة ، التي تظهر بوضوح كيف جعل الحب أساساً للعلاقات في الإسلام . .

وخير تعبير عن دور الحب في دين الله وشريعته هنا ، هو التعبير الذي ورد عن أهل بيت العصمة (عليهم السلام) . .

فعن أبي جعفر (عليه السلام) في حديث له ، قال : « يا زياد ، ويحك ، وهل الدين إلا الحب ؛ ألا ترى قول الله ﴿ إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ، ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ أو لا ترى قول الله لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿ حبب إليكم الإيمان ، وزينه في قلوبكم ﴾ : وقال : « يحبون من هاجر إليهم» فقال: «الدين هو الحب، والحب هو الدين»[2].

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) : « وهل الإيمان إلا الحب والبغض ؟ ثم تلا هذه الآية : ﴿ حبب إليكم الإيمان ، وزينه في قلوبكم ، وكره إليكم الكفر ، والفسوق ، والعصيان أولئك هم الراشدون ﴾[3] .

هذا غيض من فيض ، مما يتعلق بهذا الموضوع . . ونأمل أن نوفق لبحثه على النحو الأكمل والأشمل في فرصة أخرى إن شاء الله تعالى . . والله هو الموفق والمسدد .

---

(١) المحاسن للبرقي ص ٢٠٩ وسفينة البحار ج ١ ص ٢٠١ .
(٢) المحاسن للبرقي ص ٢٠٨ .
(٣) المحاسن للبرقي ص ٢٠٨ وسفينة البحار ج ١ ص ٢٠١ والكافي .

مصادر البحث

١ ـ القرآن الكريم ....

٢ ـ أعيان الشيعة .... للسيد الأمين

٣ ـ تحف العقول .... لابن شعبة

٤ ـ الدر المنثور .... للسيوطي

٥ ـ سفينة البحار .... للقمي

٦ ـ صحيح مسلم .... لمسلم

٧ ـ العمدة .... لابن بطريق

٨ ـ الكافي .... للكليني

٩ ـ لباب الآداب .... لأسامة بن منقذ

١٠ ـ المحاسن .... للبرقي

١١ ـ مرآة الكمال .... للمامقاني

١٢ ـ مستدرك الوسائل .... للنوري

١٣ ـ مسند أحمد .... لابن حنبل

١٤ ـ مكارم الأخلاق .... للطبرسي

١٥ ـ موقع ولاية الفقيه من نظرية الحكم في الإسلام .... للمؤلف

١٦ ـ الوسائل .... للحر العاملي



العقيدة والنظام

إن من الواضح أن تصرفات الإنسان وأعماله تنتظم في مجالين : خاص : وهو ما يخص حياته الفردية ، ويتعلق بشؤونه الخاصة به التي لا ترتبط بالأخرين لا من قريب ولا من بعيد . . وعام : وهو ما يرتبط بحياته الاجتماعية وعلاقاته مع الأخرين من أي نوع كانت تلك العلاقات ، وعلى أي مستوى كانت .

وتصرفات الإنسان في كل من المجالين ، الخاص والعام قد يكون فيها خير الإنسان وسعادته ، بل وخير الأخرين وسعادتهم . وقد تجلب له ، وللأخرين أحياناً ـ من حيث يعلم أو من حيث لا يعلم ـ الضرر والبلاء والشقاء .

إذن . . فلا بد لكل هذه التصرفات والأعمال من قوانين ، ونظم ، وضوابط تضمن أن تكون جيمعها موجهة لما فيه خير الإنسان ومصلحته ، مبعدة له عن كل تصرف أو عمل يجر عليه الضرر والبلاء ، ويعكر عليه صفو حياته .

وإنما قلنا : « في كل من المجالين الخاص والعام » باعتبار أن كل تشريع يهمل أحد هذين المجالين ، أو يؤثر أحدهما ، أو يأخذ من أحدهما ليعطي الآخر ـ كل تشريع من هذا القبيل ـ يعتبر ناقصاً بل ظالماً للإنسان ، لا يصلح أبداً نظاماً لحياته ولا قانوناً لتصرفاته ، لأن إهمال أي من الناحيتين يعتبر جناية على الإنسان وجريمة في حقه ؛ حيث يبقى الباب مفتوحاً ، والمجال مفسوحاً أمام المفاسد

والأضرار لتتسرب إلى حياة الإنسان ، وتعكر عليه ـ من ثم ـ صفوها ، وتذهب ببهجتها وبهائها .

وجميع الأنظمة الوضعية التي تحكم المجتمعات البشرية اليوم ، أو تهيمن عليها قد وقعت في هذا الخطأ الفاضح ، الذي لم يكن الوحيد في سلسلة أخطائها المتعددة ، والذي جر على الإنسان ـ ولا يزال ـ الكثير من الويلات والمصائب ودفع بالبشرية سواء على مستوى الفرد أو على مستوى الجماعة إلى متاهات ومنحدرات ، أو بالأحرى كوارث ونكبات أثرت أثراً بالغاً وعميقاً في شخصية الإنسان ، وفي حياته الحاضرة ، ولسوف تؤثر بطبيعة الحال على حياته في المستقبل .

ولعل السر في نقص تلك القوانين . . هو أن واضعها كلا أو بعضاً ومشرعها هو هذا الإنسان المحدود بحدود الوجود والزمان والمكان ، والذي لم يقدر أن يطلع ، بل هو لا يستطيع أن يطلع على سرائر البشر وأسرارهم ولا على عواقب الأمور ، ولا على حقيقة التطوارات والتحولات التي طرأت أو سوف تطرأ ـ وباستمرار ـ على هذا الإنسان ، بل هو لا يستطيع أن يفهم حتى الظروف التي يعيشها الإنسان فعلاً وتكتنف حياته .

وإذا كان الإنسان لا يستطيع ذلك ، فبالأحرى أن لا تكون له القدرة على أن يضع قانوناً ونظاماً كاملاً وشاملاً فضلاً عن أن يكون « أبدياً » ، يحكم تصرفات البشر ، وينظم أعمالهم ويأخذ بنظر الاعتبار جميع الظروف والأحوال التي تحيط بالإنسان وتكتنف وجوده .

* * *

وعليه فإن علينا أن نستمد التشريع من غير هذا الإنسان المحدود ، يكون واضعه المطلع على الحقائق والخفيات، والعالم بما كان ويكون من التحولات والتطوارات ، يكون واضعه من ﴿ يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ﴾[1] .

---

(١) سورة سبأ الآية ٢ .

وكان التشريع الوحيد الذي ينسجم مع واقع الإنسان ، ويلائم فطرته في كل حال وكل زمان ومكان ، هو التشريع الإسلامي ، الذي هو « دين الفطرة » . قال تعالى ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ﴾ . فكل تشريع يتنافى مع فطرة الإنسان ولا ينسجم معها هو بلا شك ليس من الإسلام ، لا من قريب ولا من بعيد .

ولقد لاحظ الإسلام في تشريعاته وقوانينه هذا الإنسان ، في جميع شؤونه الاجتماعية ، والشخصية ، ووازن بين روحه وجسده ، لم يظلم أحدهما بأن بخسه حقه ، ولم يظلم الآخر بأن اتخمه بالعطاء إلى الحد الذي يجعل ذلك ضرراً وبلاء ووبالاً عليه . . وهو أيضاً قد اهتم في أن يفرق بين آمال الإنسان الواسعة وبين الواقع ونفس الأمر ، كما أنه في نفس الوقت الذي منعه فيه من الاعتداء على الآخرين منعه أيضاً من الاعتداء على نفسه ، بأي نحو من أنحاء الاعتداء ، وأية صورة من صوره ، لأن اعتداء الإنسان على الآخرين بنظر الإسلام ليس بأسوأ من اعتدائه على نفسه .

كما أن تشريعات الإسلام تتخذ صفة العموم والشمول لكل حال وزمان ومكان فما من حركة من حركاته وتصرف من تصرفاته إلا وقد جعله الإسلام خاضعاً لقانون ، ووضعه ضمن ضابطة ، لا يشذ عنها ولا يخرج منها .

وهذا مفقود في جميع الأديان والتشريعات الأخرى (قديمها وحديثها) حتى تلك التي يدعى أنها سماوية في حين تختفي وراءها مطامع البشر وأفكارهم .

ومن كل ذلك تتجلى لنا عظمة الإسلام وسمو مبادئه لأنه من خالق العظمة ، وواهب السمو المطلع على حقائق جميع الموجودات ، والعالم بجميع السرائر والخفيات .

* * *

وإذ قد عرفنا هذا . . فإن من نافلة القول أن نقول : إن مجرد وضع قانون حتى ولو كان في أعلى درجة من الكمال لا يكفي في تحقيق الغرض المنشود ،

والمقصود من وضعه .. بل لا بد لأجل تحقيق ذلك الغرض من تطبيق ذلك القانون والالتزام بمقتضى النظام ، والعمل على وفقه ..

ومن أجل أن يتحقق الغرض المنشود والمقصود لا بد أن يتوفر في عملية التطبيق هذه عنصران :

الأول : أن يتخذ التطبيق صفة الشمول والسعة لجميع الوقائع ولمختلف الأحوال والظروف بحسب سعة وشمول نفس ذلك التشريع .

الثاني : أن يتوفر الدوام والاستمرار في التطبيق ما دام هناك إنسان يتصرف ويعمل ، وما دام هناك قانون يمكن أن تسير التصرفات على وفقه وتطبع الوقائع بطابعه .

* * *

والتطبيق على هذا النحو لا يمكن أن يكون عفوياً ، أو وليد الصدف .. كما أن الإنسان بملاحظة ما فيه من النزعات والميول لا يمكن أن ينساق إليه طواعية وبالاختيار ، فكان لا بد من إقامة مراقب ومحاسب واع ودقيق ، يشرف على الإنسان في تطبيقه لأحكام القانون ، والتزامه بمقتضيات النظام ، يحاسبه على كل مخالفة ، ويلفته إلى كل خلل أو خطأ يصدر منه ، بل ويدفعه ويحثه ... بل ولو اقتضى الأمر يقهره ويجبره على الالتزام به ، وتطبيق أحكامه .

وقد رأينا النظم الحديثة والتي لم تلاحظ الإنسان إلا من خارج أي في خصوص المجال العام بل هي قاصرة محدودة حتى في هذا المجال[1] ـ رأيناها ـ قد فشلت وعجز بوليسها ، وقوى شرطتها ، وأمنها عن ضبط أعمال وحركات الإنسان التي تخص المجال العام ، بل إن القرائن والدلائل تشير إلى أنها سوف تعجز حتى ولو وكلت بكل فرد فرد من الناس مراقباً ومحاسباً يختص به.

---

(١) فمثلاً لا نرى النظم الحديثة قد أخضعت الغيبة ، والكذب والنميمة، ومعاملة الرجل أطفاله الصغار ، وكثيراً غيرها لأحكام القانون . ولضابطة معينة تكفل عدم صدورها من الإنسان مع أنها من جملة الجرائم التي من شأنها أن تجلب الضرر والبلاء عليه بخلاف الإسلام فإنه لم يهمل شيئاً يتصل أو يمكن أن يتصل بحياة الإنسان من قريب أو من بعيد ، كبيراً كان أو صغيراً .

وإذا عجزت الشرطة والبوليس ، وأجهزة الأمن عن ضبط أعمال الإنسان وتصرفاته ، وعن فرض النظام والقانون عليه في جانب من المجال العام . . فكيف يمكن أن نتصور أنها تتمكن بالإضافة إلى ذلك من الإشراف عليه، وضبط أعماله وتصرفاته في المجال الخاص الذي هو أكثر سرية وخفاء ؟! وكيف يمكن أن تضمن لنا تطبيق النظام والقانون في المجال الخاص تطبيقاً كاملاً ودقيقاً ؟!! إن ذلك بطبيعة الحال أمر غير ممكن ولا متصور . .

* * *

هذا . . وإذا كان الإسلام هو الدين الوحيد الذي اتخذت تشريعاته صفة تميزها عن سائر القوانين والتشريعات الأخرى من حيث العموم لكل الظروف والأحوال والأزمنة والأمكنة ، بل ولجميع مراحل حياة الإنسان ، والشمول لجميع الوقائع وفي كل المجالات . . فإنه لا محالة يتحمل في مجال التطبيق مسؤولية كبرى تفوق مسؤولية أي تشريع آخر . إذ أن العموم والشمول في تشريعاته يحتم عليه أن يقيم على كل فرد حارساً ومراقباً يشرف على تطبيق أحكام النظام بدقة ووعي ، بل ويحثه ويدفعه على مواصلة التزامه العملي ، وإن اقتضى الأمر يجبره ويقهره على العمل وفق النظام ، وضمن حدود أحكام الإسلام .

فهل استطاع الإسلام أن يهتدي إلى ذلك المراقب ؟ وما ، أو من هو؟ وعلى أي نحو يا ترى يقوم بعملية الرقابة ؟ .

* * *

نعم لقد استطاع الإسلام ذلك ، وكان اختياره للمراقب ، ولنحو وكيفية الرقابة كأحسن ما يكون الاختيار .

لقد كان في اختياره فريداً من نوعه ، مخالفاً في ذلك لجميع التشريعات والنظم الأخرى وما ذلك إلا لأنه صادر عن خالق الكون والحياة علام الغيوب أحكم الحاكمين .

لقد استطاع الإسلام أن يقيم مراقباً ومحاسباً على كل فرد فرد ، باستطاعته

أن يسجل عليه كل مخالفة ، وأن يحاسبه عليها فوراً ، وباستطاعته أيضاً أن يجبره ويقهره دائماً على موافقة القانون ، والالتزام بأحكام النظام .

ويبقى سؤال ما ، أو من هو ذلك المراقب الذي استطاع أن يتحمل هذه المسؤولية الخطيرة والشاقة في نفس الوقت ؟

إننا من أجل أن تتضح لنا الإجابة القاطعة على هذا السؤال نرى لزاماً علينا أن نسهب في القول ، ونتوسع في البيان ، في حدود ما يسمح لنا به المجال فنقول..

* * *

إن الإسلام قبل أن يكلف الإنسان بالالتزام بالنظام ، ويطلب منه تطبيق الأحكام اهتم بأن يبنيه ويحافظ عليه من الداخل ليترتب على ذلك ـ تلقائياً ـ بناؤه والحفاظ عليه في الخارج . . اهتم بأن يتصل بعقله أولاً ، وعن طريقه يتصل بروحه وليكون العقل من ثم قائداً للروح ـ النفس ـ ومدبراً لأمورها وسيداً عليها لا تنساق وراء عاطفة ولا يسيرها سلطان هوى .

ومن هنا نعرف لماذا اهتم القرآن الكريم بالعقل فإنه لم يدع فرصة تمر دون أن يخاطب عقل الإنسان ويمجده بل لقد جعل العقل هوالفيصل في مختلف الأمور كبرت أو صغرت وجعل كلمته هي العليا في جميع المجالات ووبخ من يهمل عقله ولا ينقاد له في أكثر من مورد ومقام .

وهذا مما تفرد به دين الإسلام الذي ارتضاه الله تعالى لنا . . ومن هنا ومن أجل أن الإسلام قبل أن يطلب من الإنسان الالتزام بالنظام وتطبيق الأحكام يريد أن يبنيه من الداخل ويتصل بروحه ويجعل العقل هو القائد لها والمدبر لأمورها .

نراه قد أعطى الأمور الاعتقادية المقام الأول وجعلها الأساس للنظام إذ أن النظام ما لم يكن مرتبطاً وصادراً عن الاعتقاديات فإنه لن يحقق الغرض المنشود والمقصود منه هذا بالإضافة إلى أنها تلبي حاجة طبيعية في الإنسان وتقوم ببناء

شخصيته بناءً صالحاً وسليماً إلى غير ذلك من المنافع التي لسنا الآن بصدد بيانها .

ومن هنا أيضاً نراه قد قرر أن الاعتقاد بالاعتقاديات والحصول على القناعة النفسية فيها يجب أن يكون مستنداً إلى حكم عقله ـ وعقله وحده ـ فلم يقبل إلا ما كان الاعتقاد به عن طريق البرهان الجلي والدليل القاطع ، ولم يرض من الإنسان أن يقف من الاعتقاديات موقف اللامبالاة ، أو أن يأخذها عن طريق الوراثة أو التقليد مع أنه قد اكتفى في النظام بأن يستند فيه العبد إلى التقليد ، وإن كان قد شرط لذلك شروطاً ، ووضع قيوداً .

نعم . . لقد طلب من الإنسان في الاعتقاديات أن يهتدي بهدى العقل ، ويتخذه مرشداً وهادياً ، ليأخذ ـ عقله ـ بيده عن طريق الدليل والبرهان القطعي ، ويوصله إلى الإيمان بالله ، وقدرته وعدله وحكمته ، وسائر صفاته الجمالية . وإلى نبوة نبيه وإمامة أوليائه والنشر والحشر ، وغير ذلك مما يتفرع منه أو يضاف إليه . . وكذلك إلى أن يؤمن ويثق بدينه وقرآنه وبأن دينه يستطيع ـ لو التزم بجميع أحكامه ـ أن يحل له جميع مشاكله ، ويذلل له كل الصعوبات والعقبات التي تواجهه وتعترض مسيره في حياته ، وأنه نظام كامل وشامل لأنه صادر عن ساحة القدس والكمال ، وعن المحيط بجميع الموجودات ، والعالم بجميع الخفيات .

* * *

وبعد أن يصل الإنسان إلى هذه المرحلة وتتركز وتترسخ هذه العقيدة وما يلازمها وما يتفرع عنها في نفس هذا الإنسان، حيث إنها مستندة إلى الدليل والبرهان وبعد أن يصبح في مأمن من نوازع الشك والريب في الله ، وفي قدرته وفي دينه . .

نرى الإسلام أيضاً لم يوجب عليه الالتزام بأحكام النظام إلا بعد أن أفهمه صريحاً تارة وتلويحاً أخرى ، أنه ـ أي الإنسان ـ هو المسؤول عن جميع تصرفاته ، وهو المحاسب عليها لا يتحمل عنه أحد مسؤولية أي تصرف يصدر منه ، قال تعالى : ﴿ يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ﴾ و﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ وعرفه

أنه سوف يحاسب على كل حركة من حركاته ، وكل سكنة من سكناته خيراً كانت أم شراً صغيرة كانت أم كبيرة ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ . ﴿ ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . ﴾

وعرفه أن المحاسب له هو أسرع وأدق الحاسبين ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ كما أنه عرفه أيضاً أنه إذا نجى من العقاب في الدنيا وتمكن من اخفاء نفسه من وجه العدالة فيما شرع له من العقاب الدنيوي ، فليس معنى ذلك أنه أصبح في مأمن ، وأنه سوف لا يناله عقاب بعد .

ومعنى هذا أنه سوف يبقى ينتظر عقابه ، وأنه في طريقة إلى ذلك العقاب ، أنفاسه خطاه إليه تقربه منه على الدوام . . ولسوف يدرك أنه لا ولن يقر له قرار إلا بالابتعاد عن المعصية ، ولا ولن يسعد إلا بالطاعة ، كل ذلك كان نتيجة جعل العقاب في مستقبل الإنسان ، في الدار الآخرة .

* * *

ومن جميع ما تقدم نعرف أن الإسلام قد اختار المراقب والمحاسب من داخل نفس الإنسان، ليشرف عليه ويحاسبه ويراقبه لأنه بعد أن أقنعه بما يجب أن يقتنع به ، وحمله مسؤولية أية مخالفة تصدر منه ، وجعل العقاب أمامه وفي مستقبله ، فمن الطبيعي بعد هذا أن يحكم عليه عقله بمراقبة نفسه ، ومحاسبتها ، على كل خلل أو خطأ ، أو مخالفة تصدر منها وقد أشير إلى هذا المعنى في كثير من المواضع حيث قد أرشد الإنسان ودعي إلى مراقبة نفسه ، ومحاسبتها ، قال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ .

« وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى » .

« واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه » . « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم » .

﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم ﴾ .

وقال عليه الصلاة والسلام : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا » ، إلى غير ذلك من الآيات والروايات التي يضيق المقام باستقصائها ومن الطبيعي أن الرقابة التي تنبع من الداخل تكون أكثر فعالية ودقة من تلك التي تأتي من الخارج ، فإن ﴿ الإنسان على نفسه بصيرة ﴾ ، وهو أكثر اشفاقاً على نفسه ، وحباً لها ، وتفانياً في سبيلها من الآخرين ، مما يدفعه لأن يبالغ في الحفاظ عليها ، وإبعادها عن كل ما يجلب لها ضرراً وبلاءً . .

إلا أن من الواضح أن مجرد أن يحمل الإنسان المسؤولية ، وإن يؤمر بمراقبة نفسه لا يكفي بحال من الأحوال لأن يكون دافعاً وباعثاً له على الالتزام بالنظام وتطبيق أحكام القانون تطبيقاً كاملاً وشاملاً ومستمراً ، لأن الإنسان قد ينسى ، وقد يغفل ، بل هو كثير الغفلة والنسيان . . بل إنه كثيراً ما ينساق وراء ميوله ونزعاته ، ولا تنفك نفسه تؤامره وتهون عليه الانحراف عن الخط القويم ، وتنكب النهج المستقيم . . . قال تعالى على لسان امرأة العزيز :

﴿ إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ﴾ .

وعلى هذا فإن من الضروري وضع ضمانات ومؤمنات ، تضمن وتؤمن استمرار اتصال الإنسان بالله تعالى ، ليستمر شعوره بالمسؤولية أمامه جل شأنه .

وكان لا بد أيضاً من تربية نفسية الإنسان من الداخل تربية صالحة تمكنه من السمو بنفسه على هذا العالم الذي يعج بالموبقات ويزخر بالمغريات والشهوات إلى عالم أصفى وأروع وأطهر . . وليكتسب منه ـ من ثم ـ طيبة ، وصفاء ، وطهراً ، وليستفيد من ذلك سمواً في تفكيره ، وفي أعماله ، وفي تصرفاته ، وفي نظرته للحياة من مختلف جوانبها نظرة الواعي المتزن ، الذي لا تبهره الأشكال ، ولا يغتر بالظاهر .

ولم يهمل الإسلام هذا الجانب أيضاً . . فكان هذا الغرض والهدف هو أحد الأغراض والأهداف التي تؤديها العبادات في الإسلام ، وإن لم يكن هو كل الهدف منها .

فالعبادات وخصوصاً « الصلاة » منها ، تضمن استمرار شعور الإنسان بالمسؤولية أمام ربه وخالقه ، لأنها مضافاً إلى ما فيها من الآداب والحقائق ، التي يجب أن يعيها الإنسان ، ويلتفت إليها باعتبار أن ذلك ضروري جداً لحياته . . ومضافاً إلى أنها قد اشتملت على الأسس الرئيسية للجانب العقيدي الذي هو الجانب الأهم في الإسلام . . فالتوحيد من قوله ﴿ أشهد أن لا إله إلا الله ﴾ في التشهد وسورة الإخلاص وغيرها .

والنبوة كما في قوله ﴿ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴾ والعدل كما في قوله ﴿ سبحان الله وسبحان ربي العظيم وبحمده ﴾ وغيرهما حيث ينزه الله تعالى عن كل مشين وقبيح بما في ذلك الظلم ، والمعاد كما في قوله ﴿ مالك يوم الدين ﴾ ، والتذكير بآل البيت أيضاً ، الذين هم أئمة الهدى ، ومصابيح الدجى ، والذين هم أحد الثقلين ، في قوله في التشهد ﴿ اللهم صل على محمد وآل محمد ﴾ .

إن الصلاة بالإضافة إلى كل ذلك تقوم بربط الإنسان بربه ، ووضعه أمامه وبين يديه خمس مرات يومياً ، وباستمرار وتذكره دائماً بأن لا ينساق وراء نزعاته ، وميوله وشهواته ، وإن لا يوافق نفسه على ما تؤامره عليه ، كما أنه لا يبقى مجال للغفلة ، أو النسيان وادعائهما .

وينعكس أثر ذلك بالضرورة على أعماله التي يقوم بها ، وتصرفاته التي تصدر عنه .

ويكون ذلك حافزاً ، ودافعاً بل وواضعاً للإنسان من حيث يشعر ، أو من حيث لا يشعر على الخط القويم الذي يجب أن يكون عليه ، ملتزماً بالنظام ومطبقاً للأحكام سواء في ذلك ما يرتبط منها بالمجال العام أو ما يرتبط منها بالمجال الخاص .

فالعبادات وخصوصاً الصلاة لولا أنها تضع الإنسان باستمرار أمام ضميره

وأمام الواقع وأمام الله الذي يعترف به وبقدرته وعدله وسائر صفاته عن الدليل والبرهان القطعي . . . لبقي الإنسان في منأى عن كل ذلك ولا يحسب له أي حساب ولا يرى له أية قيمة حيث تتضاءل مكانته في نفسه رويداً رويداً نتيجة لابتعاده عنه وتموت في نفسه الأبعاد الحقيقية للعقيدة . . . ولم يمكن تبعاً لذلك تطبيق أحكام القانون تطبيقاً كاملاً وشاملاً ومستمراً .

* * *

ومن هنا يتضح لنا جلياً كيف أنه اختار ذلك الرقيب من داخل نفس الإنسان الذي هو أشفق على نفسه وأعرف بها من أي رقيب آخر ولعل هذا هو السبب أيضاً في كون الصلاة ﴿ تنهي عن الفحشاء والمنكر ﴾ وفي كونها عمود الدين .

ويتضح لنا كذلك مدى الترابط بين كل من العقيدة والنظام في الدين الإسلامي وأن النظام لا يمكن أن يكون ذا قيمة عملية إلا إذا اعتمد على العقيدة واستند إليها . . حيث إن الجانب العقيدي يكون الأساس الذي يقوم عليه النظام ويلعب الدور الرئيسي في إقامة وتجسيد ذلك النظام في الخارج ، وبعث الحياة فيه واستمرارها .

ونعرف أيضاً ما هو الدور الذي تؤديه العبادات وخصوصاً الصلاة منها في الربط والوصل بين العقيدة والنظام ، ومدى أهمية ذلك الدور وخطورته هذا بالإضافة إلى أنها تشريع يربي الإنسان ويبني شخصيته إلى جانب كثير من المنافع الأخرى التي لسنا بصدد بيانها .

وليكن هذا بمجموعه واحداً من تلك الأدلة التي توافرت على عظمة الإسلام وكماله وتفوقه على كل تشريع أو نظام سواه حيث إنه صادر عن الله الذي ﴿ وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم ﴾ .

وليعيش الإنسان ـ الفرد منه والجماعة ـ في ظل الإسلام ، ملتزماً بأحكامه

وتشريعاته لتكون حياته ـ من ثم ـ حياة هناء وسعادة ، تفيض باليمن والبركة والخير والرفاه .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

بسم الله الرحمن الرحيم

السواك

تمهيد :

إن الذي يدرس ، أو يطالع التشريعات الإسلامية ، والتعاليم الالهية يخرج بحقيقة لا تقبل الشك ، هي : أن تلك التشريعات والتعاليم منسجمة كل الإنسجام مع طبيعة الإنسان ، وفطرته ، لو لم تطغ على تلك الفطرة عوامل غريبة عنها ، وافدة عليها ؛ لأن الإسلام قد تعهد والتزم بأن تكون كل تشريعاته، ونظمه ، وسائر تعاليمه ملائمة للفطرة ، ومسنجمة معها ، بحيث لو ثبت منافاة أي تشريع لفطرة الإنسان لأمكن رفضه ، والحكم عليه بأنه ليس من الإسلام في شيء . . وهذا التعهد والالتزام هو ما تشير إليه الآية الكريمة : ﴿ . . فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم . . ﴾

* * *

هذا . . ومن الواضح : أن التشريعات الالهية ، والتعاليم القرآنية ، والتوجيهات النبوية . . ليس الهدف منها إلا تحقيق السعادة والهناء ـ كل السعادة والهناء ـ لهذا الموجود الذي اسمه الإنسان . . ، ولا تتطلب إلا الكمال له ، والسلامة ، والمعافاة ، بكل ما لهذه الكلمات من معنى . . فهذا هو المنطلق لتشريعات الإسلام السامية ، وهذا هو المبدأ لها ؛ فإليه تنتهي ، وعلى أساسه تقوم . .

وبديهي . . أنه كلما كانت النظم دقيقة وشاملة كلما كانت السعادة والسلامة لهذا الإنسان أكمل وأتم . . ومن هنا كانت الأنظمة والقوانين الإسلامية دقيقة وكاملة وشاملة لجميع شؤون الإنسان ، ومختلف أحواله وأوضاعه . . تكفل له ـ لو التزم بها ـ الحياة الفضلى ، والعيش الرغيد ، وتتيح له أن يكون إنساناً كاملاً وسليماً ومعافى في مختلف أنحاء وجهات وجوده . . وتحقق له السعادة والراحة والهناء على النحو الأكمل والأشمل . .

ولعل ذلك واضح لا يحتاج إلى مزيد بيان ، أو إقامة برهان . .

* * *

ولقد كان شمول تعاليم الإسلام وتشريعاته أمراً يبعث على الدهشة والاستغراب ؛ حيث قد استطاع أن يستوعب كل حركة من حركات الإنسان ، وكل سكنة من سكناته . . بل وحتى خلجاته النفسية ، وأفعاله القلبية ، ولم يشذ عنه أي شأن من شؤونه ، وأي حال من أحواله ، في مختلف الظروف ، وسائر الأحوال . .

فقد جعل كل شيء محكوماً لقانون ، ويهيمن عليه نظام ؛ ليكون ـ كل شيء ـ في خدمة الإنسان ، وموجهاً لما فيه خيره ومصلحته ، مؤدياً إلى ما فيه هناؤه وسعادته . . والأمثلة على ذلك كثيرة ، وكثيرة جداً . . فحتى أكل الإنسان وشربه ، وقيامه ومشيه ، وجلوسه ، بل وحتى نبرات صوته ، كل ذلك ـ له قانون ، ويخضع لنظام . . بل لقد تدخل الإسلام حتى في اختيار الإنسان للبيت الذي يعيش فيه ، والثياب التي يلبسها ، وفي كيفية تصرفه بها . . إلى غير ذلك من الشؤون والأحوال، التي يمر بها الإنسان ، أو تمر به ، والتي غفل عنها أي تشريع آخر ، سوى تشريع السماء ، لأنه وحده الصادر عن خالق الكون والسماء . المتفرد بإدراك كل ما فيه خير الإنسان ومصلحته ؛ فأمره به ، وكل ما فيه ضرره وبلاؤه ؛ فنهاه عنه . .

وبنحو آخر أكثر وضوحاً نقول :

إننا نلاحظ مثلاً أن من الجوانب التي اهتم بها الإسلام : المظهر الخارجي

للإنسان . . والذي قد يترك آثاراً على مكانته الاجتماعية كما أنه قد يؤثر في روحه ونفسه ، بل وصحته البدنية . . وحتى على ذوقه وسجيته ؛ فلم يشرع أي قانون يضر بمكانة الإنسان الاجتماعية ، أو بذوقه وسجيته ، وصحته البدنية بل كانت كل تشريعاته منسجمة مع ذلك كله متلائمة معه . . ومن ذلك ـ على سبيل المثال ـ تعاليمه المتعلقة بتقليم أظفاره ، وترجيل شعره ، وأوامره له بالتنظيف والتطهر ؛ حتى لقد ورد : إن الله ليكره المؤمن القذر . . بل لقد حرم عليه بعض الألبسة التي تضر بمكانته الاجتماعية وتوجب استهانة الناس به ، إلى غير ذلك مما لا يمكن تتبعه واستقصاؤه . .

* * *

ولكن الشيء الذي مني به الإسلام . هو أن المسلمين ، وأخص منهم بالذكر الفقهاء وعلماء التشريع ، لم يهتموا بهذه التشريعات كثيراً ، على اعتبار أنها مستحبات أو مكروهات . . أو أمور وتوجيهات اخلاقية ومعيشية يمكن للناس أنفسهم أن يبحثوا عنها ويطلعوا عليها ، ومن ثم يطبقونها على حياتهم العملية . وأن اللازم ـ بنظرهم طبعاً ـ هو البحث عن الواجبات والمحرمات أولاً . .

* * *

ولكن الحقيقة هي أنه كما أن المكروهات ـ حسبما ورد ـ سياج المحرمات . . فكذلك الحال بالنسبة للمستحبات ؛ فإن الاتيان بها وامتثالها هو أول درجات امتثال الواجبات . . وخصوصاً إذا كانت من ذلك النوع الذي يشعر معه الإنسان بأنه يستفيد منه ، ويلمس بنفسه أن نفعه عائد إليه لأن الإنسان بدافع من حب الذات يميل إلى ما يؤكد له ذاته ، ويخدم وجوده . . وإذا ما التزام الإنسان بحكم ، ولو من أجل الحصول على منافع دنيوية ، وهو يعلم أنه من الإسلام فإن ذلك يكون موجباً لربطه بهذا الدين ، الذي أصبح يشعر بأن بالإمكان الاستفادة منه . . ويصير من ثم من الممكن أن يلتزم بأحكام أخرى ، إذا ما اقتنع أنها إنما شرعت من أجله ولمصلحته . .

وخلاصة الأمر : إن الحال بالنسبة للمتسحبات لا يختلف عنه بالنسبة

للمكروهات فكما أن اجتناب المكروه يهيىء الإنسان نفسياً للاجتناب عن الحرام فكذلك امتثال المستحب يهيؤه أيضاً لامتثال الواجب . .

بل إنني أعتقد أن الاخلاقيات في الإسلام - وأعني بها ما يشمل المستحبات والمكروهات والارشاديات - لا تقل أهمية عن الالزاميات ، وأقصد بها الواجبات والمحرمات ؛ ولذا نلاحظ أن اهتمام القرآن ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والأئمة (عليهم السلام) ببيانها ، لا يقل عن اهتمامهم ببيان هذه . . حتى إن القرآن الذي يحتوي على ما يزيد على ستة آلاف آية ، لا تزيد آيات الأحكام فيه عن الـ (٥٠٠) آية معظمها من العمومات والمطلقات . . وأما ما تبقى فهو قصص ، وتوجيهات ، وعقائد ، وما يتصل بذلك من قريب أو بعيد . . وذلك نهج البلاغة ، أعظم كتاب بعد القرآن ، والصحيفة السجادية ، زبور آل محمد ، لا تكاد تجد إلا القليل القليل فيهما يتعرض لبيان الأحكام الشرعية الالزامية . .

ومن أجل ذلك ، فإنني أقول : إن من الواجب إعطاء هذا الجانب من التشريعات الإسلامية حقه من العناية والاهتمام ، بالمقدار الذي حظي به من جانب الله تعالى ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والأئمة (عليهم السلام) .

ولا أرى أنني أكون مجازفاً بالقول ، لو قلت : إن هناك مستحبات ومكروهات وتوجيهات يكون بيانها أهم بكثير من بيان مستحبات ومكروهات الصلاة والحج ونحوهما . .

* * *

وعلى هذا الأساس ، وحتى لا أكون ممن يقول ، ولا يفعل ، فقد بادرت في هذه العجالة ، ورغم مشاغلي الكثيرة . . - بادرت - إلى البحث عن واحد من تلك الأمور التي اهتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة (عليهم السلام) ببيانها اهتماماً بالغاً ما كان يخطر لي على بال . . إلا أن فقهاءنا أيدهم الله ، قد

أهملوه تقريباً ، وقل من يذكره منهم ، مع أنه مما قام إجماعهم على استحبابه . .
وهذا الأمر هو :

السواك : أي غسل الأسنان :

وحيث إنني لم أكن طبيباً ، وهذا الموضوع « السواك » يتصل اتصالاً مباشراً بسلامة الإنسان البدنية ، فقد بقيت في البحث بعض الثغرات والفجوات ، بانتظار استكمال المعلومات الصحيحة عنها من أهل الاختصاص في هذا الموضوع فأقول : ومن الله استمد العون والتوفيق . وعليه التوكل وبه الاعتصام . .

* * *

لم يكن يخطر في بالي ، قبل أن أراجع كتب ومجاميع الحديث بخصوص هذا الموضوع ، أن تزيد الروايات الواردة في هذا الموضوع عن أهل بيت العصمة ، ومهبط الوحي ، ومختلف الملائكة ، عن عشرة أو خمسة عشر أو على أبعد التقادير على عشرين حديثاً . . ولكن يا لدهشتي عندما فوجئت بها وهي أضعاف ذلك ؛ مما جعلني أدرك إلى حد ما مدى أهمية هذا الموضوع وخطورته ، والذي لا داعي فيه ، ولا رغبة للكذبة والوضاعين الذين حذر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة . . منهم . .

والسؤال الذي يطرح نفسه ـ بادي ذي بدء ـ هو :

* * *

لماذا يهتم الشارع بالاسنان ؟

والجواب عن ذلك واضح جداً .

فإن ضرورة الأسنان للإنسان لا يمكن أن ينكرها أحد ، وهي نعمة لا يشعر الإنسان ـ عادة بها ، أو بأهميتها إلا إذا فقدها . . . مع أنه يستفيد منها كل يوم أكثر من مرة . . وإن أي ضرر يلحق بها يوقعه ولا شك في الضيق والحرج ، ويؤثر عليه تأثيراً لا يكاد يخفى ، ويوجب اختلال أحواله إلى حد ما . .

ولعل من الأمور الواضحة لدى كل أحد أن الأسنان الصناعية لا تستطيع حتى في أفضل حالاتها أن تقوم بوظيفة الأسنان الطبيعة ، ولا هي من الكفاءة بحيث تستطيع أن تؤدي دور تلك دون أدنى تفاوت أو خلل . . .

ومن الواضح أيضاً أن الأسنان كما تساعد المعدة ؛ حيث تهيء لها الطعام وتجعله في وضع يكون معه قابلاً للهضم ، أو على الأقل يجعل هضمه أسهل منه مما لو بقي على حالته الأولى . . كذلك هي تساعد الإنسان في المنطق ، ويؤثر فقدانها عليه بشكل ملحوظ . . وما علينا من أجل إثبات ذلك إلا تذكر حالة من فقدوا أسنانهم ، ومدى الجهد الذي يبذلونه من أجل إخراج الكلمات ، بنحو تكون واضحة ومفهومة . . وكذلك مدى ما يواجهونه من أجل جعل الطعام في وضع تتمكن معه المعدة من هضمه ، والاستفادة منه .

وعدا عن ذلك : فإن اختلال الوضع الطبيعي للأسنان ، ومرضها وموبوئيتها يؤدي في كثير من الأحيان إلى أمراض ، ومضاعفات سيئة في كثير من أجهزة الجسم . . ولسوف يتضح ذلك فيما يأتي عندما نتكلم عن الطائفة الثالثة والرابعة من الروايات إنشاء ـ الله تعالى . .

* * *

ومن هنا . . ومن أجل أمور أخرى هامة جداً أيضاً ، نرجوا أن نوفق للإشارة إليها عندما نتحدث عن الطائفة الثالثة ، والرابعة من الروايات ـ من هنا ـ كان اهتمام الإسلام بالأسنان ، وكانت دعوته الملحة ، للعناية بها والحفاظ على سلامتها ؛ فأمر بكل ما يحفظها ويصونها ، ونهى عن كل ما يسيء إليها ، ويضر بسلامتها . . إيماناً منه بأن سلامة الأسنان الطبيعية يؤثر في سلامة الإنسان ، وسقمها يؤثر في سقمه فإذن من المهم للإنسان أن يحافظ عليها ليستفيد منها أكبر قدر ممكن في حياته ، وأن يحتفظ بها سليمة ومعافاة ؛ لأن معنى ذلك هو احتفاظه ، وكثير من أجهزة جسمه بالسلامة والمعافاة . . .

* * *

ومن جملة ما أمر به الإسلام في نطاق اهتمامه بالأسنان مما له أثر كبير على صحتها وسلامتها كما قلنا :

« السواك » : أي غسل الأسنان :

الذي أجمع الفقهاء على استحبابه مطلقاً ، وخصوصاً للوضوء ، والصلاة . . وقد اتبع الإسلام في دعوته إلى السواك ، والحث عليه ، طرقاً مختلفة ، وأساليب شتى .

فلقد دأب أهل بيت العصمة (عليهم السلام) ـ عملاً ـ على السواك ، وعملهم سنة لنا ؛ ويجب علينا الاقتداء بهم في أفعالهم وأقوالهم . . وعندما رأوا أن الناس لم يلتفتوا إلى ذلك ، حاولوا توجيه الأنظار إلى هذا الأمر فعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : إنه (أي النبي صلى الله عليه وآله وسلم (كان يستاك في كل مرة قام من نومه . وعن المقنع أنه صلى الله عليه وآله وسلم : كان يستاك لكل صلاة وعن الباقر (عايه السلام) أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يكثر السواك ، وليس بواجب . . الخ

إلى آخر ما هنالك من الروايات التي لا مجال لنا لذكرها هنا . .

وقد بلغ التزامهم (عليهم السلام) بالسواك حداً أنه لو ترك أحدهم السواك كان ذلك ملفتاً للنظر ومدعاة للتساؤل ؛ فعن مكارم الأخلاق : أن الصادق (عليه السلام) ترك السواك قبل أن يقبض بسنتين ؛ وذلك لأن أسنانه (عليه السلام) ضعفت . .

وأما أمرهم بالسواك ، وحثهم عليه بالقول . . فكثير جداً أيضاً ، ويمكن تقسيم النصوص التي وردت فيه ، والحث عليه إلى طوائف أربع . .

الأولى : تلك الطائفة من الروايات ، التي تحث على السواك وتحذر من تركه ، من جهة عامة ، أي : من دون تعرض لبيان أية خصوصية فيه . . ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

ما عن أبي جعفر (عليه السلام) قال لا تدعه في كل ثلاث ، ولو أن تمرَّه مرَّة واحدة . .

وهو تعبير صادق عن مدى اهتمامهم (عليهم السلام) بهذا الأمر ، كما أنه يوحي بما للسواك من عظيم الفائدة ، وجليل الأثر ؛ فإن إمراره مرة واحدة كل ثلاث ليال أمر مطلوب ، ومرغوب فيه ، وقد أشار الباقر (عليه السلام) إلى الفوائد العظيمة التي تترتب عليه حيث قال :

لو يعلم الناس ما في السواك ، لأباتوه معهم في لحاف .

فإن هذه الكلمة تعطينا أن فوائد السواك أكثر مما نتصور ، وأن مضار تركه لا تقل عن فوائد الاستمرار عليه . . إنه لمن المدهش حقاً أن يؤدي بنا معرفة فوائد السواك إلى أن نبيته معنا في لحاف . . مع أن أحدنا حتى لو كان مصاباً فعلاً بمرض . . فإنه لا يبيت الدواء معه في لحاف . . فكيف بالسواك الذي لا يعدو أن يكون عملية وقائية من أمراض محتملة ، فلولا أن تركه يستتبع أمراضاً خطيرة ، تهدد حتى حياة الإنسان ووجوده لم يكن معنى لقوله (عليه السلام) : لأباتوه معهم في لحاف ، ومن يدري فلعله (عليه السلام) يشير بذلك إلى أن غازات الفم الكريهة قد تنفذ إلى مجرى الدم ، وتفتك من ثم بالجسم كله . أو إلى أن موبوئية الأسنان من أسباب مرض السل، وغيره مما ستجيء الإشارة إلى بعضه . .

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) : « من سنن المرسلين السواك » ، وفي معناه عدة أحاديث أخرى . .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : ما زال جبرئيل يوصيني بالسواك ، حتى خفت أن أحفى وأدرد . . وفي بعضها : حتى خفت أن يجعله فريضة . . وفي معناه غيره . .

وعن الصادق (عليه السلام) : نزل جبرئيل بالسواك ، والخلال ، والحجامة . .

فإذا كان السواك من سنن المرسلين فهو إذن ليس أمراً عادياً يمكن إهماله ، والتغاضي عنه بسهولة . . خصوصاً وأن جبرئيل ما زال يوصي النبي صلى الله عليه وآله وسلم به ، حتى خاف أن يجعله فريضة . . فما أحرانا إذن أن نقتدي بالمرسلين ، ونهتدي بهديهم . . حيث إنهم لم يرسلوا إلا من أجلنا ، وبما فيه مصلحتنا وهذا لعله هو السر في التعبير بكلمة « المرسلين » ، بدل كلمة « الأنبياء » .

ولقد قيل لأبي عبد الله (عليه السلام) : أترى هذا الخلق كلهم من الناس ؟

فقال : « ألق التارك منهم للسواك » . .

وعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : نظفوا طريق القرآن . .

قيل : يا رسول الله ، وما طريق القرآن ؟ .

قال : أفواهكم . .

قيل بماذا ؟

قال : بالسواك .

وفي معناه غيره . .

بل إن الشارع لم يمنع حتى الصائم من الاستياك ، رغم احتمال سبق شيء إلى جوفه . .

فعن الحسين بن أبي العلاء ، قال : سألنا أبا عبد الله (عليه السلام) عن السواك للصائم ؟ فقال : نعم ، يستاك أي النهار شاء .

وعن الباقر (عليه السلام) : ولا بأس أن يستاك الصائم أي النهار شاء ، ولا بأس بالسواك للمحرم الخ . .

ونكتفي من هذه الطائفة هنا بهذا القدر ، ومن أراد فعليه أن يراجع مجاميع الحديث والرواية ، كالوسائل ومستدركها ، ومكارم الأخلاق ، وغير ذلك . .

الطائفة الثانية :

وهي التي تثبت استحباب السواك شرعاً . . حيث إنهم (عليهم السلام) لم يكتفوا بالطائفة الأولى ، رغم كثرتها ، ووضوح دلالتها ، ولم يكتفوا أيضاً بالإشارة إلى بعض فوائده ومنافعه ، حسبما سيأتي بيانه . . بل لقد أخبروا أن الله تعالى قد تكرم على عباده ، بأن جعل السواك عبادة ، ينال العبد على فعلها الأجر الجزيل ، والثواب الجميل . . وهذا ولا شك يعطي الإنسان المؤمن قوة دافعة على ممارسة هذا العمل الهام ، والاستمرار عليه ؛ لما يترتب عليه من ثواب أخروي ، فضلاً عن منافعه الجدية العاجلة . .

فمن تلك الروايات :

ما عن الصادق (عليه السلام) من أن : السواك شطر الوضوء . .

وعنه أنه قال : صلاة ركعتين بسواك ، أفضل من أربع ركعات بغير سواك .

وعنه (عليه السلام) أيضاً : ركعتان بالسواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك . . وفي بعض الروايات عن النبي أن صلاة بسواك خير من خمس وسبعين بدونه . . وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في وصيته لأمير المؤمنين : يا علي ، عليك بالسواك ، وإن استطعت أن لا تقل منه فافعل ؛ فإن كل صلاة تصليها بالسواك ، تفضل على التي تصليها بغير سواك أربعين يوماً .

وفي حديث الاثني عشر خصلة ، قال : « ويضاعف الحسنات سبعين ضعفاً »[1] وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لعلي : عليك بالسواك عند وضوء كل صلاة.

---

(١) والتنافي الظاهر في إثبات الأجر في هذه الروايات ، يمكن أن يفسح مجالاً للتشكيك في صحة أكثرها . . إلا أنه يمكن أن يجاب عن ذلك بأنه : لعل السواك الذي تكون المنافع الدنيوية هي المقصودة منه ، هو الذي يفضل الركعتان معه الأربع ركعات أما الذي يقصد منه الثواب الأخروي فالصلاة معه تدل سبعين . . والتفاوت إنما هو بمقدار الإخلاص في النية على هذا الوجه .

وفي رواية أنه قال : عند كل صلاة . .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند وضوء كل صلاة . .

والظاهر أن المراد : الأمر على نحو الوجوب ، وإلا فإن الأمر الاستحبابي ثابت .

وقال أبو عبد الله (عليه السلام) : إذا قمت بالليل فاستك ؛ فإن الملك يأتيك ؛ فيضع فاه على فيك ؛ فليس من حرف تتلوه ، وتنطق به ، إلا صعد به إلى السماء ، فليكن فوك طيب الريح . . . . وفي معناه غيره . .

وقد ورد بطرق مختلفة أن السواك : يرضي الرحمان .

إلى آخر ما هنالك من الروايات، التي لا يتسع المجال لذكرها. . وقد أشرنا إلى أنه قام الاجماع على استحبابه. .

الطائفة الثالثة :

ما ورد من الأخبار في بيان بعض ما للسواك من المنافع ، وما في تركه من المضار . . فإن مما يهتم الشارع المقدس له هو المحافظة على سلامة الإنسان ، وحفظ أفضل الحالات له . وإذا كان السواك مما له أثر في ذلك ؛ فإنه يكون مرغوباً ومطلوباً له تعالى بذاته ، حتى ولو لم يقصد به القربة ، ولا أتى به لأجل ما فيه من الأجر والثواب . .

وإذا ما عرف الناس منافعه . . فإذا كان هناك من لا يفعله اقتداء بالمرسلين ، أو من أجل تحصيل ما فيه من الأجر والثواب . . فإنه قد يفعله من أجل ما فيه من الفوائد والمنافع ، وما يدفعه من المضار فإن الإنسان ـ بطبعه ـ محب لنفسه ، يهمه جداً دفع كل بلاء محتمل عنها ، وجلب كل نفع يقدر عليه لها . . وفي السواك ، العديد من المنافع التي يهم الإنسان الحصول عليها ، والوصول إليها . . سواء بالنسبة لصحته في ذاته ، أو بالنسبة ، لعلاقاته بالآخرين . .

وهذه الطائفة من الروايات ، المتكفلة ببيان منافع السواك كثيرة .

وقد تقدم في الطائفتين السابقتين ما يدل على أن السواك يطيب ريح الفم ؛ حيث قال أبو عبد الله (عليه السلام) : فليكن فوك طيب الريح . . وتقدم أيضاً أنه ينظف الفم ؛ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : نظفوا طريق القرآن . .

ونزيد هنا على ذلك ما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) : إن أفواهكم طرق القرآن فطهروها بالسواك . . .

وعن أبي جعفر (عليه السلام) لكل شيء طهور ، وطهور الفم السواك . .

وفي هذا المعنى عدة روايات أخرى . .

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال : لما دخل الناس في الدين أفواجاً أتتهم الأزد ، أرقها قلوباً ، وأعذبها أفواهاً . . فقيل يا رسول الله ، هذا أرقها قلوباً عرفناه ؛ فلم صارت أعذبها أفواهاً ؟ . . فقال لأنها كانت تستاك في الجاهلية . . . وفي معناه غيره . .

وعن أبي جعفر (عليه السلام) : السواك يذهب بالبلغم ، ويزيد في العقل . .

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) : السواك يذهب بالدمعة ، ويجلو البصر . .

وعنه (عليه السلام) : هو من السنة ، ومطهرة للفم ، ومجلاة للبصر ، ويرضي الرب ، ويذهب بالغم ، ويزيد في الحفظ ، ويبيض الأسنان ، ويضاعف الحسنات ، ويذهب بالحفر ويشدُّ اللثة ، ويشهي الطعام ، وتفرح به الملائكة . . وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : السواك يزيد الرجل فصاحة . .

وعن الرضا (عليه السلام) : السواك يجلو البصر ، وينبت الشعر ،

ويذهب بالدمعة . . وفي رواية أخرى أنه : يذهب بغشاوة البصر . . وفي ثالثة أنه : مجلاة للعين . . والروايات حول هذا المعنى كثيرة . . .

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) ، قال : النشرة في عشرة أشياء ، وعد منها السواك . .

وعنه أنه قال : ثلاثة يذهبن النسيان ، ويحدثن الذكر : قراءة القرآن ، والسواك والصيام . .

وعنه أيضاً : عليكم بالسواك ؛ فإنه يذهب وسوسة الصدر . .

وورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أن السواك يوجب شدة الفهم ، ويمري الطعام ، ويذهب أوجاع الأضراس ، ويدفع عن الإنسان السقم إلى آخر ما هنالك ، مما لا يتسع المجال لذكره . .

* * *

وعلى أي حال فإن المتحصل من هذه الروايات وغيرها، أن فوائد السواك هي التالية؛

١ ـ أنه طهور ومعقم للفم .
٢ ـ أنه منظف له .
٣ ـ يذهب برائحة الفم الكريهة ويطيب رائحته .
٤ ـ يجعل الفم عذباً .
٥ ـ يذهب بالغم .
٦ ـ يذهب بالبلغم .
٧ ـ يزيد في العقل .
٨ ـ يجلو العين ، ويجلو البصر ، ويذهب بغشاوته . .
٩ ـ يذهب بالدمعة .
١٠ ـ يزيد في الحفظ .
١١ ـ يبيض الأسنان .

١٢ ـ يذهب بالحفر .

١٣ ـ يشد اللثة .

١٤ ـ وإذا كان بعود الآراك فهو أيضاً يسمنها .

١٥ ـ يشهي الطعام .

١٦ ـ ينبت الشعر .

١٧ ـ إنه من جملة أسباب النشرة، أو النشوة (على ما في بعض النسخ) .

١٨ ـ يزيد الرجل فصاحة .

١٩ ـ يذهب بالنسيان ، ويحدث الذكر .

٢٠ ـ يذهب بوسوسة الصدر .

٢١ ـ يوجب شدة الفهم .

٢٢ ـ يمري الطعام .

٢٣ ـ يذهب أوجاع الأضراس .

٢٤ ـ يدفع عن الإنسان السقم . .

* * *

وربما يتخيل أن بعضها تكرار للبعض الآخر ، ولكن بعد إمعان النظر والتأمل يظهر خلاف ذلك . . بل قد يظهر أننا تكلفنا إدخال بعضها تحت بعض . . وعلى كلٍ . . فإن من المناسب أن نقف وقفة قصيرة ـ بقدر ما يسمح لنا به المجال، وتسمح لنا به المعلومات الطبيـة المحدودة المتـوفرة ـ نقف ـ عنـد هذه النبذة ، التي هي رشحة من رشحات أهل بيت العصمة (عليهم السلام) ، وخريدة من خرائدهم ، لنستوحي منها ، ونستهدي طريق الخير ، والرشاد ، والسداد ؛ فنقول ، والله المستعان ، ومنه نستمد الحول والقوة :

إن كثيراً مما بينته هذه الروايات قد يكون مما لا يزال العلم عاجزاً عن كشف مدى ارتباطه بالسواك ، وارتباط السواك به بشكل دقيق ، وشامل : إلا أن مما لا شك فيه أننا نستطيع أن نلمس من ذلك كله مدى اهتمام الإسلام بمختلف شؤون هذا الإنسان وأحواله ، ومدى إحاطته وشموله لهذه الأحوال ، وتلكم الشؤون .

ونستطيع أن نتبين بوضوح اهتمام الإسلام بمظهر الإنسان ، وبشخصيته وحرصه الشديد على أن يبدو في أبهى منظر ، وأحسن حلة ؛ لأن جمال المظهر - كما قلنا - يؤثر في اجتذاب الآخرين إليه ، ومحبتهم له ، بل ويؤثر في روحه ونفسه . ومن هنا فقد ورد أن السواك يبيض الأسنان ، وورد قوله (عليه السلام): مالكم قلحاً؟! مالكم لا تستاكون؟! والقلح: صفرة أو خضرة في الأسنان ولا شك أن بياضها أفضل من صفرتها، أو خضرتها وأكثر قبولاً لدى الآخرين؛ لأنه هو اللون الطبيعي لها.

ومن هنا أيضاً . . ورد أن السواك يطيب رائحة الفم . . ولا شك أن ذا الفم الكريه الرائحة ينفر الناس ، بل وحتى الملائكة منه . والإنسان يريد لنفسه والله أيضاً يريد له - أن يكون محبباً لدى الناس ، قريباً إلى قلوبهم ونفوسهم . .

* * *

وبما أن للأسنان علاقة بجميع أجهزة الجسم الأخرى ؛ حتى إنها إذا ما مرضت تأثرت تلك الأجهزة بمرضها ، وإذا صحت وقويت تأثرت أيضاً بذلك ، واكتسبت مزيداً من الصحة والقوة ، . . فإن من الطبيعي أن يكون ذلك حافزاً ودافعاً للإنسان ليحافظ على أسنانه ، وأن يهتم بصحتها ؛ لأنه يكون بذلك قد حافظ واعتنى بسائر أجهزة جسمه . .

ويقول علماء الطب الحديث : إن الجراثيم والميكروبات المتكونة في تجاويف الأسنان ، من فضلات الطعام المتخلفة فيها . . والوافدة من الفم إلى المعدة هي السبب في عسر الهضم ، وحزة المعدة أو حموضتها وهي السبب أيضاً في بعض أمراض الكلى والرئتين . . وقد تصل هذه الجراثيم أيضاً إلى اللوزتين ، وتؤثر أيضاً على الأنف ؛ بحيث توجب التهابات في الجيوب الأنفية . . بل إن أمراض الأسنان الناشئة من عدم تنظيفها وتعقيمها قد توجب التهابات في الأذنين . وتكون هي السبب في بعض أمراض العينين وذلك لاتصالهما - الأذنين والعينين - بالأسنان عن طريق الأعصاب .

كما أن أمراض الفم قد تؤثر في روماتيزم المفاصل ، وتزيد من أعباء الكبد

بل إن أسنان المريض هي أول ما يلفت نظر الطبيب في معالجته للمريض بالسل . . وأسقام عديدة أخرى . .

وإن غازات الفم الكريهة قد تنفذ إلى مجرى الدم ، وتفتك من ثم بالجسم كله هذه الغازات التي تنشأ ـ في الغالب ـ من تخمر فضلات الطعام ، المتبقية في تجاويف الأسنان ؛ حيث إنها لا تلبث أن تتعفن ، وتصبح ذات رائحة كريهة جداً ، يشعر بها كل من يحاول تنظيف أسنانه بعد إهماله لهامدة من الزمن . . ثم تتحول شيئاً فشيئاً إلى مكروبات وجراثيم تعد بالملايين . ويتسبب عنها الكثير من أمراض الفم ، وتفد ـ كما قلنا ـ مع الطعام إلى المعدة ولتسبب للإنسان ـ من ثم ـ الكثير من المتاعب . .

وإذا ما أضفنا إلى ذلك كله : أن تلك الفضلات المتبقية قد تسبب قروحاً في اللثة ، وإذا كانت المكروبات المتكونة منها حاضرة وجاهزة ، فإنها تعمد للفتك باللثة عن طريق تلك القروح . وإذا ما أدت تلك القروح إلى كشف عنق السن ، فلسوف ينتج عن ذلك ضعف ذلك السن ، وخلخلته وليصبح من ثم عديم الفائدة ، ومستحقاً للقلع . .

* * *

وهكذا . . فإن النتيجة بعد ذلك كله تكون ، هي : إنه لا بد للفم من منظف أولاً . . ومعقم ومطهر له ثانياً . . يقتل هذه الجراثيم التي فيه ، ويزيلها ، ويمنع من حدوث جراثيم أخرى . .

وقد قرر الشارع المقدس ، أن هذا المنظف ، والمطهر والمعقم هو السواك ، الذي يكون في نفس الوقت علاجاً ، وعملية وقائية ، من كثير من الأمراض ، التي لا بد وأن يتعرض لها الإنسان ، نتيجة لموبوئية الأسنان .

ومن هنا نعرف الحكمة في قولهم (عليهم السلام) عن السواك : إنه طهور للفم ، وأنه منظف له ، وأنه يدفع عن الإنسان السقم ، وأنه يذهب أوجاع الأضراس ، إلى غير ذلك مما تقدم ، وستأتي الإشارة إليه ، إن شاء الله تعالى . .

هـذا . . ويتكـون من تخمـر فضـلات الـطعـام في الفم حـامض : « الكتيك » ، الذي يؤثر في الطبقة الخارجية لتاج السن ، حيث يـذيبها ، ويفقدها نعومتها ، ويجعلها خشنة الملمس ، مما يساعد على تخلف مزيد من الفضلات ، وليتكون بعد المزيد من الجراثيم ومن ثم إلى مواجهة كثير من المتاعب .

كما أن هذه الأحماض المشار إليها ، هي من أسباب تسوس الأسنان ، ومن ثم فقدانها لصلاحيتها ؛ حيث يكون لا بد من التخلص منها .

* * *

ومن الواضح : أن موبوئية الفم ، وكثرة الجراثيم فيه ، تقلل من اشتهاء الإنسان للطعام ، وميله إليه . . بل إن من الأمور التي ثبتت الآن علمياً : أن تنظيف الأسنان يدفع الإنسان إلى الأكل ، ويزيد من الكميات التي يتناولها منه إلى حد ملفت للنظر ومن هنا ورد عنهم عليهم السلام أن السواك يشهي الطعام ويمريه . .

* * *

هذا . . ولا بد من الإشارة هنا ، إلى أن وفود الجراثيم إلى الفم ، لا ينحصر في تخمر فضلات الطعام فيه ؛ حيث يمكن أن تصل الجراثيم إلى الفم من ملامسة أجسام أخرى غير الطعام ، بل ومن الطعام الذي يكون ملوثاً بجراثيم خارجة عنه . . وأيضاً من الهواء غير النقي ، الذي لا بد أن يصل إلى الفم بل وغيره من أجهزة الجسم بواسطة التنفس . . ولهذا كانت أنواع الميكروبات في الفم مختلفة ، وكثيرة ولا يضاهيه في اختلافها أي عضو آخر من أعضاء الإنسان على الإطلاق . . وهو أكثر أعضاء الإنسان قابلية لاستقبالها ، وهو المكان الأمثل والأصلح لنموها ، وازديادها وبقاءها على قيد الحياة أقصى مدة ممكنة ، وذلك لوجود اللعاب الذي يتدفق باستمرار ، ويكون مادة غذاء لها لو حرمت من الغذاء . .

ومن هنا نستطيع أن نعرف أن السر في تـرخيص الشارع للصائم

بالاستياك ، عند كل وضوء ، أو عند كل صلاة وكذلك السر في الحث على لاستياك عند الاستيقاظ من النوم وعند قيامه بالليل ، هو أن المكروبات قد تصل إلى الفم من غير فضلات الطعام كما قلنا .

* * *

وإذا كان الاستياك يوجب عذوبة الفم ، ونقاوة اللعاب .

وإذا كان أيضاً يوجب تقوية عضلات الفم . . وغير ذلك فإن من الطبيعي أن يكون من أسباب فصاحة الإنسان ، وطلاقته ، عندما تصير عضلات الفم أكثر قدرة على الحركة ، وأكثر تحكماً بالنبرات الصوتية . . وأكثر نشاطاً ودقة في أدائها لوظيفتها . .

* * *

وأيضاً فإن مما لا شك فيه ، أن تنظيف كل عضوٍ من أعضاء الإنسان ، وخصوصاً الفم يكون من أسباب بعث الفرح والنشوة في نفسه ، والحيوية والنشاط في مختلف أجهزة جسمه الأخرى ـ حتى الجهاز التناسلي منها ـ ، ويكون الإنسان حينئذٍ أكثر حيوية ونشاطاً بشكل عام . . الأمر الذي يزيد ـ بطبيعة الحال ـ من نشاطه الفكري والعقلي . . ومن هنا قيل : العقل السليم في الجسم السليم .

بل إننا نستطيع أن نؤكد على علاقة الأسنان بسلامة الإنسان النفسية . . ومن هنا نلاحظ : أن ظهور « ضرس العقل » كثيراً ما يوجب الاختلال النفسي لدى الإنسان ، ومن هنا فلا يكون من المجازفة القول بأن السواك له تأثير مباشر في الصفاء النفسي للإنسان ، ويذهب بكثير من الهواجس والوساوس التي قد تنتابه . . بل ويؤثر في إذهاب حالات الغم والهم ، التي قد تنتاب الإنسان ، ولا يعرف لها سبباً معقولاً . . مع أنها تكون ناشئة عن موبوئية الفم والأسنان ، في كثير من الأحيان ، حتى إذا ما نظفت ذهبت هذه الحالة عنه ، ويحل محلها الحيوية والفرح والنشاط . .

وإذا ما عرفنا : أن الهم والغم من الأسباب الرئيسة للنسيان ، وعدم التمكن من الحفظ ، بسبب اختلال الحال ، واشتغال البال ، وعدم القدرة على التركيز على نقطة معينة ، وعرفنا : أن النشوة وصفاء الفكر من أسباب سرعة الحفظ ، وزيادة قوة الحافظة إننا إذا عرفنا ذلك ندرك مدى علاقة السواك بحافظة الإنسان ، وتأثيره في اذهاب حالة النسيان من الإنسان . .

ومن هذا البيان . . يتضح كيف أن السواك ـ على حد قولهم (عليهم السلام) ـ يذهب بالغم ويزيد في العقل ، ويزيد في الحفظ ، ويشهي الطعام ، ومن أسباب النشرة[1] أو النشوة ، وأنه يزيد الرجل فصاحة ، ويذهب بالنسيان ، ويحدث الذكر ، ويذهب بوسوسة الصدر ، ويوجب شدة الفهم ، إلى غير ذلك مما ورد في الروايات عن أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم . . مما اتضح مما قدمناه . .

* * *

وإذا ما أضفنا إلى ذلك كله أن للأسنان علاقة بشعر الإنسان ؛ ولذا يلاحظ أن بعض المبتلين بأمراض الأسنان ، يتساقط عندهم الشعر المسامت للأسنان المريضة ، حتى إذا ما عولجت ، وشفيت يعود ذلك الشعر إلى النمو من جديد . . فإننا ندرك أن السواك الذي يؤثر في سلامة الأسنان يؤثر أيضاً في إنبات الشعر، حسب ما ورد في الرواية.

* * *

والسواك إلى جانب ذلك كله ، عامل مهم ، من عوامل تقوية اللثة وسمنها ؛ حيث إنه رياضة مستمرة لها ، وينبه عضلاتها ويحركها ، كما ويحرك الدورة الدموية فيها . .

* * *

---

(١) النشرة هي انتشار العضو التناسلي ، وذلك غير بعيد بعد أن كان السواك يبعث النشوة والقوة والنشاط في مختلف أجهزة الجسم .

كما أنه ـ أي السواك ـ يذهب بالحفر : أي أنه يقلع الحبيبات التي تؤدي إلى جرح اللثة ، وتقيحها ، وجعلها في معرض الالتهابات والأمراض . . كما ويمنع من وجودها من جديد . .

* * *

وأخيراً . . فإن للسواك علاقة بالعين فمرض الأسنان يؤثر في مرضها ، وقد أثبت الطب الجديد أن بعض أمراض الأسنان قد تسبب بالعمى الموقت ، حتى إذا ما عولجت الأسنان وشفيت ، عادت الرؤية إلى العين من جديد ؛ ولعل ذلك أصبح من الأمور المتسالم عليها . . ولذا نرى في كلماتهم (عليهم السلام) التأكيد على هذه العلاقة . . وأن السواك يجلوا البصر ، ويذهب بغشاوة العين ، ويذهب بالدمعة . . إلى غير ذلك مما تقدم . .

الطائفة الرابعة من الروايات

تلك التي تكفلت بالإرشاد إلى كيفية ، وأوقات ، وأمكنة السواك ، وما يتصل بذلك ، ويرتبط به ، بنحو من الارتباط والاتصال . .

وقد تقدم ما يدل على استحباب السواك عند كل وضوء ، أو عند كل صلاة ، وعند قراءة القرآن ، ونزيد هنا :

ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، من أنه نهى أن يتخلل بالقصب ، وأن يستاك به . . وفي دعائم الإسلام أنه صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن السواك بالقصب والريحان ، والرمان . .

وما ورد عن أبي جعفر (عليه السلام) : من أن الكعبة شكت إلى الله عز وجل ما تلقى من أنفاس المشركين ؛ فأوحى الله تعالى إليها : قري كعبة ؛ فإني مبدلك بهم قوماً يتنظفون بقضبان الشجر ؛ فلما بعث الله محمداً ، أوحى الله إليه مع جبرئيل بالسواك والخلال . . وهو مروي بعدة طرق . .

وفي مكارم الأخلاق ، وغيره : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان

يستاك بالأراك ؛ أمره بذلك جبرئيل (عليه السلام) . .

وعن الرسالة الذهبية للرضا (عليه السلام) : واعلم يا أمير المؤمنين ، أن أجود ما استكت به ليف الاراك ؛ فإنه يجلو الأسنان ، ويطيب النكهة ويشد اللثة ، ويسمنها ، وهو نافع من الحفر ، إذا كان باعتدال . . والاكثار منه يرق الأسنان ، ويزعزعها ، ويضعف أصولها . .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : نعم السواك الزيتون ؛ من الشجرة المباركة يطيب الفم ، ويذهب بالحفر وهي سواكي ، وسواك الأنبياء قبلي . وعن أبي الحسن (عليه السلام) : أنه كان يستاك بماء الورد . .

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) : أنه كره للصائم أن يستاك بسواك رطب ، ولكنه لم يكن يرى بأساً بالاستياك باليابس . . .

وكان الرضا (عليه السلام) : إذا صلى الفجر جلس في مصلاه ، إلى أن تطلع الشمس ثم يؤتى بخريطة فيها مساويك ؛ فيستاك بها واحداً بعد واحد ، ثم يؤتى بكندر فيمضغه إلخ . . .

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) أن الصائم : يستاك أي النهار شاء . .

وعن أبي جعفر أنه قال : لا تدعه في كل ثلاث ، ولو أن تمره مرة . .

وعنهم (عليهم السلام) : أدنى السواك أن تدلكه باصبعك .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أنه كان يستاك كل ليلة ثلاث مرات : مرة قبل نومه ، ومرة إذا قام من نومه إلى ورده ومرة قبل خروجه إلى صلاة الصبح .

وروي أن السنة في السواك وقت السحر .

وروي أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يستاك في كل مرة قام من نومه .

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : إني لأحب للرجل إذا قام بالليل أن يستاك . .

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث قال : وإياك والسواك في الحمام ؛

فإنه يورث وباء الأسنان . . وفي معناه عدة روايات أخر . .

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) السواك على المقعد يورث البخر . .

وعنه أيضاً في حديث : والسواك في الخلا يورث البخر . .

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) : من استاك فليتمضمض . .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : اكتحلوا وتراً ، واستاكوا عرضاً . .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم استاكوا عرضاً ، ولا تستاكوا طولاً . .

إلى آخر ما هنالك من الروايات الكثيرة التي لا مجال لنا هنا لذكرها . .

ونستفيد من هذه الروايات عدة فوائد هامة . . بالنسبة لهذا الأمر الذي اهتم به الإسلام ـ ومن حقه أن يهتم به ـ غاية الاهتمام . .

فإن مجرد إخراج الفضلات من تجاويف الأسنان ، وإن كان مفيداً . . إلا أنه إذا كان بطريقة غير صالحة قد تنشأ عنه أضرار تفوق ما سوف يجلبه من نفع . . ومن هنا تبرز الحاجة إلى الطريقة الأفضل والأصلح ، التي تؤدي المهمة المتوخاة من السواك ، على أكمل وأفضل وجه ، بحيث تتلافى معها جميع الأضرار والمضاعفات المحتملة . وهذا هو ما تكفلت به الطائفة الرابعة من الروايات ، التي قدمنا شطراً منها . . ونحن بدورنا نشير إلى بعض الملاحظات ، المتعلقة بهذه الطائفة ، مع الاعتراف بالقصور والعجز عن إدراك كل ما يشيرون ويرمون إليه ، مع روم الاختصار ؛ حيث قد نكون قد أطلنا على القارىء الكريم ، الذي لا بد وأن يمنحنا العذر ؛ بعد أن صار من الواضح له مدى تشعب هذا

الموضوع ، واختلاف مناحيه وأطرافه ، فنقول :

إن من الواضح : أن إخراج الفضلات من تجاويف الأسنان ، بواسطة آلة صلبة ـ كدبوس ، أو أي آلة معدنية أخرى ـ مما يتسبب عنه جرح الجدار الصلب ، الذي يغلف تاج السن . . كما وأنه قد يؤدي إلى جرح النسيج اللثوي ، الأمر الـذي يكون من نتيجتـه تعرض الأسنـان للنخر ، واللثـة للالتهابات ، بفعل تلك الجراثيم الموجودة في الفم ، والتي تعد بالملايين . . ومن هنا نعرف أنه لا بد وأن يكون السواك والخلال بوسيلة لا صلابة فيها ، يؤمن معها جرح الجدار لتاج السن ، وجرح النسيج اللثوي . .وقد اختار الإسلام لهذه المهمة قضبان الشجر ، وبالخصوص عود الاراك ، « أو الزيتون » حيث يؤمن معها إلى حد ما . . ذلك . . كما أننا نعرف لماذا منع الإسلام عن السواك ، والخلال بالقصب وعود الرمان ، التي قد تجـرح النسيج اللثـوي وتؤثر في تـاج السن ولعل منعه عن عود الريحان يرجع إلى وجود مواد فيه تضر باللثة والأسنان على حد سواء . . هذا . .

ونلاحظ أن الإسلام قد أجاز السواك ولو بأن يكون بالدلك بالأصبع وهو وإن لم يكن محققاً للغاية المرجوة منه ، إلا أن الميسور لا يترك بالمعسور إذ هو على الأقل مفيد في تقوية اللثة ، وتحريك عضلاتها . .

ومن الأمور الملفتة للنظر هنا أن الرضا كان يستاك كل مرة بأكثر من مسواك واحد . . وأن أبا الحسن (عليه السلام) : كان يستاك بماء الورد ، وأمـا الاستياك للصائم ، فقد أشرنا فيما سبق إلى وجه الحكمة فيه . .

* * *

ثم إن لكيفية السواك مدخلاً في التنظيف الكامل وعدمه ؛ إذ أنه مرة يمر المسواك على الأسنان مروراً ظاهراً . . وهذا بطبيعة الحال لا يكفي في الوصول إلى الغاية التي شرع من أجلها السواك . . ومرة يصل المسواك إلى جميع تجاويف الأسنان ، ويخرج الفضلات منها . . وهذا هو الذي يرمي إليه قوله (عليه السلام) : استاكوا عرضاً ، ولا تستاكوا طولاً . . والمراد أن تدعك الأسنان

بالمسواك صعوداً ونزولاً ؛ من أجل أن تدخل شعب المسواك إلى جميع التجاويف ، والفجوات ، والخلايا ؛ حتى لا يبقى فيها أي شيء من الفضلات ، يمكن أن يسبب ضرراً على الأسنان ، أو أي من أجهزة الجسم الأخرى . . وقد تنبه علماء الطب حديثاً لهذه الطريقة ، وبدؤا ينصحون باتباعها . .

* * *

إلا أن من الواضح : أن مجرد إجراء هذه العملية ، لا يكفي في إخراج الفضلات من الفم وتنظيفه وتطهيره ، مع أن هذا هو أحد الأهداف الهامة من السواك ، كما صرحت به الكثير من الروايات . . بل لا بد لنا من القيام بعملية أخرى لأخراج هذه الفضلات من الفم، وليكون الفم من ثم نظيفاً طاهراً ، طيب الرائحة . . . إلخ . . وقد بين الأئمة (عليهم السلام) هذه الطريقة ، فأرشدونا إلى المضمضة بعد الوضوء : « فمن استاك فليتمضمض » . .

* * *

وكان أن لم يأمر الإسلام باتخاذ فرشاة ولا أرشد إلى صنع معاجين من مواد معينة ، معقمة ومطهرة للفم ، ومضادة إلى حد ما للجراثيم . . على النحو الشائع في هذه الأيام . . حيث لم يكن في ذلك الزمان معاجين ، ولا كان الناس يتخيلون ، أو يخطر في بالهم أنه لا بد في تنظيف الأسنان من الاستعانة بمواد كيماوية من نوع معين . . ولو أنه فعل صلى الله عليه وآله وسلم ذلك وقال لهم لا بد من فرشاة ومعاجين مركبة من كذا وكذا . . لم يسلم أن ينسب إلى ما لا يرضى أحد أن ينسب إليه . .

إلا أنه ـ أي الإسلام ـ أمرهم عوضاً عن ذلك باتخاذ عود الأراك مسواكاً ، وذكر له في الروايات منافع هامة ، أشرنا إليها في ما تقدم.

وإننا إذا ما أخذنا تلك المنافع وغيرها بنظر الاعتبار فإننا نحصل على القناعة التامة بأنه ليس من اللازم ، بل ولا من الراجح العدول إلى الفرشاة ولا إلى المعاجين التي يدعى أنها تساعد على التنظيف والتعقيم والتطهير . . بل لا بد من الاقتصار على عود الأراك ؛ حيث قد أثبتت المختبرات الحديثة أن عود الأراك

ـ الذي أمر به الإسلام ـ أفضل بكثير من الفرشاة ؛ إذ « قد وجد أحد معامل الأدوية في ألمانيا مادة خاصة في المسواك المأخوذ من شجر الأراك ، تكسب الأسنان مناعة على النخر ، شبيهة بمادة : « الفلور » ، وقاتلة للجراثيم . . ولوحظ أن نسبة نخر الأسنان لدى الذين يستعملون المسواك ، أقل بكثير من الذين يستعملون فرشاة الأسنان . وما زال هذا المعمل يواصل بحوثه وتحرياته ، ويحاول الاستفادة من هذه المادة ، واضافتها إلى معاجين الأسنان » .

أما الفرشاة : فليس فيها هذه المادة القاتلة للجراثيم ؛ ولهذا ينصح الأطباء بوضع الفرشاة في الماء والملح ، بعد تنظيف الأسنان بها ، حتى يقضي بواسطة ذلك على الجراثيم العالقة ، أو التي ربما وسوف تعلق بها ، وحتى لا تعود تلك المكروبات للفم مرة ثانية . .

أما عود الأراك فكل ما علق أو يعلق به يقضى عليه بواسطة تلك المادة التي فيه ، من دون حاجة إلى الماء والملح . . أو غير ذلك . . هذا إذا استطاع الماء والملح أن يقضي على جميع أنواع المكروبات ، وذلك مما لم يثبت حتى الآن . .

وأما بالنسبة لأوقات استعمال المسواك فقد ورد بالإضافة إلى ما تقدم من السواك عند وضوء كل صلاة أو عند كل صلاة ، أو عند قراءة القرآن ، وأنه لا بأس بالاستياك في النهار أي وقت يشاء ، وأيضاً بالإضافة إلى ما ورد من الإشارة إلى حسن الاستياك قبل النوم ، وهو ما ينصح به الأطباء اليوم ـ بالإضافة إلى ذلك ـ قد ورد التأكيد على استعمال المسواك عند الاستيقاظ من النوم ، والحكمة في ذلك واضحة ؛ فإنه يقضي بذلك على الجراثيم التي تصل إلى الفم حال النوم ؛ نتيجة لتلوث الهواء الذي يصل إليه بواسطة التنفس أو بدونه ، وليقضي على ما تبقى منها ، مما بقي يسرح ويمرح ، ويفتك ويقوي نفسه في خلايا الفم الليل بطوله ، بكل هدوء وراحة واطمئنان . .

* * *

وأخيراً . . فلعل من الأمور التي لا تحتاج إلى بيان . . أن السواك في الحمام غير صحي ولا صحيح ، لأن السواك عبارة عن تنظيف الخلايا والفجوات من الفضلات ، فإذا تعرضت لجو الحمام الذي يزدحم بالمكروبات فإنها سوف

تتعرض لغزو عنيف منها ، ولسوف لا يمكن إخراجها بعد بسهولة ويسر ، لا سيما وأنه وهو في ذلك الجو كلما أخرج فوجاً ، استقر فوج آخر في مكانه واتخذ مواقعه ، ولا يوجد هناك أي شيء يحجز هذه الميكروبات والجراثيم عن الوصول إلى الأمكنة الحساسة ، حيث تبدأ عملها رأساً . . أما لو كان هناك لعاب ؛ فإنه يمنعها إلى حد ما من الوصول إلى الأمكنة الحساسة ؛ وذلك بسبب تغطيته لها ، ولزوجته ، التي يحتاج اختراقها إلى بعض الوقت ؛ مضافاً إلى تبدله ـ أي اللعاب ـ وتغيره باستمرار ، ولو بقى شيء منها مع هذا التبدل فإن النوبة الثانية لاستعمال السواك تكون قد أزفت . . وأما أثناء السواك في الحمام فاللعاب لا يصل إلى المناطق التي عليها المسواك ، بل هي مكشوفة معرضة للعطب بأسرع ما يكون . . ومن هنا نعرف سر النهي عن منعهم (عليهم السلام) السواك في الحمام المعلل بأنه يورث وباء الأسنان .

ونفس هذا الكلام ـ تقريباً ـ يأتي بالنسبة إلى السواك في الخلاء فإن نفس تلك الرائحة عبارة عن جراثيم . . فإذا وصلت إلى الفم واستقرت فيه ، وتناسلت ، وتكاثرت ؛ فإن النفس يبدأ بقذف الزائد منها إلى الخارج ؛ فتلتقطه حواس الشم لدى الآخرين ، مما يكون سبباً في تنفرهم وانزعاجهم . . ومن هنا نهوا (عليهم السلام) عن السواك في الخلاء . . وهكذا . . يتضح أخيراً : أن السواك يؤثر في مظهر الإنسان وفي سلامته البدنية بل وحتى النفسية والروحية والعقلية إلى آخر ما هنالك مما تقدم . . فما أحرانا إذن . أن نلتزم به ، ونستفيد منه الكثير الكثير ، مما عرفنا ومما لم نعرف بعد . وليس ما ذكرناه بالنسبة إلى ما لم نذكره والذي لا نعرفه إلا بمثابة غيض من فيض . . ولم يكن ما ذكرناه إلا بمثابة خطوة أولى على طريق التعرف على كافة الحقائق التي ترتبط بهذا الموضوع ، الذي هو واحد من تلك التعاليم السامية ، التي أهملناها ، ولم نعد نلتفت إليها ، وأصبحنا نستوردها ـ فيما نستورد ـ من أوربا وغيرها من مناطق العالم . . ولا يسعنا هنا إلا أن نذكر بقول الله عز وجل : ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض . . .

الحروف المقطعة في القرآن

القي هذا البحث في مؤتمر الفكر الإسلامي
الذي انعقد في طهران بتاريخ الجمعة ١٤٠٤/٤/٩ هـ.

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

السلام عليكم أيها الأخوة المؤمنون ورحمة الله وبركاته .

وبعد . .

فإنني إذ اعتذر إليكم عن أنني لم استطع أن أوفر لهذا البحث ما يستحقه من وقت ، وجهد ، وتتبع . . أود أن أشير إلى أن مسؤولية ذلك تقع بالدرجة الأولى على عاتق الأخوة الذين أخبروني في وقت متأخر جداً ، بحيث لم يعطوني من الفرصة سوى يومين اثنين للتحقيق والكتابة .

فاليكم أيها الأخوة الشكوى ، ومنكم العذر . .

أما موضوع البحث ، فهو :

« الحروف المقطعة في فواتح السور من وجهة نظر قرآنية »

فلقد كثر الحديث عن الحروف المقطعة الواردة في فواتح السور القرآنية ، وتعددت ، وتشعبت الأقوال والآراء حولها . حتى عد المفسرون ما يقرب من عشرين قولاً حول المراد منها . .

فقيل :

١ ـ هي من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله سبحانه .

٢ ـ هي أسماء للسور التي وقعت في أوائلها .

٣ ـ إنها أسماء لمجموع القرآن . .

٤ ـ إنها أسماء لله سبحانه فـ « ألم » معناها : انا الله العالم و«ألمر» معناها : انا الله أعلم وأرى . . وهكذا . .

٥ ـ إنها أسماء لله مقطعة لو أحسن تأليفها لعلم اسم الله الأعظم ، فـ « ألر و حم و ن » . تصير : الرحمان . وهكذا .

٦ ـ إن هذه الحروف شريفة لكونها مباني كتبه المنزلة واسمائه الحسنى وصفاته العليا ، وأصول لغات الأمم . . وقد أقسم الله تعالى بهذه الحروف .

٧ ـ إنها إشارات إلى آلائه سبحانه ، وبلائه ، ومدة الأقوام وأعمارهم وآجالهم .

٨ ـ إنها إشارة إلى بقاء هذه الأمة بحسب حساب الجمل . .

٩ ـ إنها تسكيت للكفار الذين تواصوا فيما بينهم أن : « لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه » . فكانوا إذا سمعوا هذه الحروف استغربوها ، وتفكروا فيها ، فيقرع القرآن مسامعهم .

١٠ ـ إنها للإشارة إلى معان في السورة فكلمة (ن) إشارة إلى ما تشتمل عليه السورة من النصر الموعود وكلمة (ق) إشارة إلى القرآن أو إلى القهر[1] .

إلى غير ذلك من أقوال لا مجال لتتبعها . .

ولعل آخر ما يمكن أن يعتبر رأياً في هذا المجال . . هو ما ذكره بعض المتاخرين ، واعتبر بمثابة « اعجاز مدهش جديد للقرآن الكريم يكتشفه عالم

---

(١) تفسير الميزان ج ١٨ ص ٦، ٧ .

مصري » . وهو يعني : أن هذه الحروف المقطعة تدخل كعنصر هام وحاسم في موضوع الاعجاز العددي للقرآن . .

ونحن لا نريد أن نسيء الظن فيما يتعلق بهذا الرأي ، على اعتبار أنه يعتمد الرقم (١٩) ويتخذه محوراً في مجمل استنتاجاته ، وهو الرقم المقدس عند طائفة البهائية الضالة . .

كما أننا لا نريد المبالغة في التشاؤم إلى حد أن نعتبر ذلك يهدف إلى صرف الأنظار عن دقائق المعاني القرآنية الباهـرة إلى الاهتمام بـالظواهـر والقوالب اللفظية . .

لا . . لا نريد ذلك . . فإننا نأمل أن يكون ثمة قدر كبير من حسن النية ، وسمو الهدف . . وإنما نريد أن نؤكد على أن بعض الباحثين[1] قد تتبع هذه النظرية بالبحث والتمحيص ، حتى خرج بنتيجة حاسمة ، مفادها : الجزم بخطأ هذه النظرية ، وذلك لعدم صحة الأرقام التي قدمتها ، واعتبرتها أساساً صالحاً للتدليل على قيمتها العلمية .

فقد قال هذا المحقق الذي رمز لنفسه بـ « أبو محمد » :

قولهم : كلمة « اسم » تتكرر ١٩ مرة بالضبط . أقول : ذكر في المعجم المفهرس عدد ١٩ تحت كلمة اسم . وذكر أن كلمة « بسم » تكررت ثلاث مرات في قوله تعالى : بسم الله مجراها وبسم الله أو الحمد . وأنه من سليمان وأنه بسم الله . وذكر كلمة « اسمه » وقال أنها تكررت خمس مرات .

قولهم : إن كلمة الرحيم تتكر ١١٤ مرة . ونقول : بل تتكرر ١١٥ مرة بالضبط .

وقالوا : إن حرف (ن) قد تكرر في سورة القلم ١٣٣ أي ١٩×٧ .

ونقول : بل يتكرر ١٢٩ مرة فقط . ولو كررنا المشددات مثل أن ، فإن المجموع يصير أكثر من ذلك بكثير . .

---

(١) هو العلامة المحقق السيد مهدي الروحاني.

وقالو: إن حرف (ص) يتكرر في كل من: سورة الاعراف التي أولها (المص) وسورة ص وسورة مريم التي أولها (كهيعص) ١٥٣ أي ١٩×٨ .

ونقول : إن عدد الصادات في سورة الاعراف ٩٠ صاداً ، ولعله قد اشتبه علي واحد أو اثنان . وفي سورة مريم ٢٤ (كذلك) وفي سورة ص ٢٧ مرة فليس المجموع ١٥٣ ولا في كل واحدة منها ١٥٣ أيضاً[١] .

أما العلامة الطباطبائي قدس سره ، فقد أورد على الأقوال التي سلفت باستثناء هذا الأخير ، حيث لم يذكره قدس سره . . بأن :

دعوى كون الحروف المقطعة من المتشابهات لا يصح ، وذلك لأن التشابه من صفات الآيات التي لها دلالة لفظية على مداليلها، وليست الحروف المقطعة من هذا القبيل .

وأما سائر الأقوال ، فإنما هي تصويرات لا تتعدى الاحتمال ، ولا دليل يدل على شيء منها ، وأما الروايات التي ربما يستظهر منها بعض التأييد لبعض تلك الأقوال ، فقد ردها رحمه الله تعالى لضعف السند تارة ولضعف الدلالة أخرى ، حيث لا يوجد فيها تقرير من النبي (ص) لما فهمه الآخرون منها . . أو لأن مفاد الرواية أن هذه الحروف من قبيل الرمز لمعان تكرر بيانها ، ولا حاجة لاستعمال الرمز في التعبير عنها .

ثم استظهر رحمه الله تعالى : أن هذه الحروف هي رمز بين الله سبحانه وبين رسوله ، خفية عنا ، لا سبيل لأفهامنا العادية إليها إلا بمقدار أن نستشعر أن بينها وبين المضامين المودعة في السور ارتباطاً خاصاً ، حيث وجد رحمه الله تشابها في سياق وفي مضامين السور التي اشتركت حروف معينة في فواتحها ، كالطواسين والحواميم ، والميمات والراءات ونحو ذلك .

ونحن لا نستطيع الموافقة على ما ذكره رحمه الله تعالى ، فإن القرآن ليس كتاب الغاز ، أو أحاجي ، وإنما أنزله الله تعالى : ﴿ هدى للناس ﴾[٢] ،

---

(١) راجع مجلة المنطلق اللبنانية سنة ١٣٩٩ هـ العدد الخامس ص ٨٢ .
(٢) سورة البقرة ١٨٥ .

﴿ليدبروا آياته﴾[1] ﴿بلسان عربي مبين﴾[2]، قرآنـاً عربيـاً لعلكم تعقلون[3] ﴿كتاب فصلت أياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون﴾[4].

وقد لاحظ بعض المحققين : أن تعقيب هذه الأحرف بأن هذا الكتاب مبين وواضح ، وأنه قرآن عربي لقوم يعلمون ، أو لعلكم تعقلون ، لا يناسب كون تلك الألفاظ رموزاً ، أو من قبيل الألغاز والأحاجي ، قال تعالى في سورة يوسف : ألم. تلك آيات الكتاب المبين. إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون.

ومهما يكن من أمر ، فإن لدينا من الشواهد والدلائل ما يكفي لإعطاء فكرة عن المراد من هذه الحروف . ونستطيع بيان ذلك في ضمن النقاط التالية :

١ ـ إننا في نفس الوقت الذي نعتبر فيه أن ما سنـذهب إليه ليس هـو المقصود الأول من هذه الأحرف ، فإننا نؤكد على أننا لا نستبعد إرادة سائر المعاني ، مما ذكر أو لم يذكر منها ، إذا دل الدليل على إرادتها أيضاً ، فإن للقرآن ظهراً وبطناً ، ولعل لاختلاف الأزمنة ، وتقدم الفكر والعلم ، تأثير كبير في فهم الكثير من المعاني الأخرى ، التي يمكن أن تكون هذه الأحرف مشيرة إليها ، أو دالة عليها ، بنحو من أنحاء الإشارة والدلالة . .

٢ ـ إننا نلاحظ : أننا لم نجد في التاريخ ما يشير إلى أن أيا من الصحابة أو من غيرهم من المشركين أو من أعداء الإسلام قد تصدى للسؤال أو الاستفهام عن معاني هذه الأحرف ، وعما ترمي إليه . . ولو سلمنا جدلاً أن سكوت الصحابة يمكن أن يكون ناشئاً عن إيمانهم العميق ، وعن وصولهم إلى درجة التسليم والخضوع لكل ما يأتي به النبي (ص) نتيجة لما رأوه من الآيات الباهرة ، والمعجزات القاهرة ـ رغم أن ذلك لا ينطبق على كثيرين غيرهم . . ورغم عدم منافاة ذلك للسؤال الاستفهامي عن أمر كهذا ـ فإننا لا نستطيع أن نفسر سكوت المشركين وغيرهم من أعداء الإسلام عن أمر كهذا ، وهم في موقع

---

(١) ص ٣٨ .
(٢) سورة الشعراء ١٩٩ .
(٣) سورة يوسف ٢ .
(٤) فصلت ٣ .

التحدي والمجابهة ، ويحاولون التشبث ولو بالطحلب للطعن في الإسلام والنبوة والقرآن .

فسكوتهم هذا ـ والحالة هذه ـ لا يعني إلا أنهم قد فهموا منها معنى قريباً إلى أذهانهم وأن ذلك المعنى الذي فهموه كان يكفي للإجابة عما يمكن أن يراود أذهانهم من تساؤلات . .

٣ ـ إننا نجد : أن هذه الحروف قد وردت في تسع وعشرين سورة ، ستة وعشرون منها نزلت في مكة ، وثلاث منها نزلت في المدينة . وحتى هذه السور التي نزلت في المدينة يلاحظ : أن اثنتين منها قد نزلتا في أوائل الهجرة ، حيث كان الوضع الديني والإيماني فيها لا يختلف كثيراً عنه في مكة ، ولا سيما مع وجود اليهود وشبهاتهم ومؤمراتهم إلى جانب المشركين فيها . . .

وواحدة منها وهي سورة الرعد قد نزلت بعد أن كثر الداخلون في الإسلام رَغباً أوَ رهباً ، وكثر المنافقون حتى ليرجع ابن أبي بثلث الجيش في غزوة أحد . . وأصبح اليهود وغيرهم ممن وترهم الإسلام يهتمون بالكيد للإسلام من الداخل ، بعد أن عجزوا عن مقاومته عسكرياً وفكرياً ، وعقائدياً بشكل سافر . . فجاءت سورة الرعد لتكرر التحدي بهذه المعجزة : القرآن ، كأسلوب أمثل لبعث عمق عقيدي وإيماني جديد في المسلمين ، ومواجهة غيرهم بالواقع الذي لا يجدون لمواجهته سبيلاً إلا بالتسليم والبخوع والانقياد له .

وهذا ما يفسر لنا السر في أننا نجد اسلوب وأجواء سورة الرعد لا تختلف كثيراً عن أجواء وأسلوب غيرها من السور المكية ، وأن هناك توافقاً فيما بينها في إدانة وضرب كل أساليب التضليل أو التزوير ، والصدود عن الحق . .

ونستطيع بعد كل ما تقدم أن نصل إلى النتيجة التالية ، وهي :

أن ورود هذه الحروف في خصوص السور المكية ، وفي ثلاث سور نزلت في أجواء لا تختلف كثيراً عن أجواء مكة ليدل دلالة قاطعة على أنها إنما جاءت في مقام التحدي للمشركين ، ولأعداء الإسلام . . وإن عدم اعتراض هؤلاء ، أو حتى عدم سؤالهم ، وكذلك عدم سؤال أي من الصحابة المؤمنين عن معاني هذه

الحروف إنما يشير إلى أنهم إنما فهموا منها معان قريبة إلى أذهانهم ، كافية للإجابة على ما ربما يختلج في نفوسهم من أسئلة حولها . وليس ذلك إلا ما ذكرنا من التحدي بهذا القرآن ، المركب من أمثال هذه الحروف التي هي تحت اختيار الجميع ، مع أنه يعجز عن مجاراته والاتيان بمثله وحتى بسورة من مثله الجميع .

٤ ـ إننا إذا راجعنا الآيات التي وقعت بعد هذه الحروف ، فإننا نجد:

ألف : إن جميع السور التي وقعت الحروف المقطعة في فواتحها باستثناء سورتين أو ثلاث نجد الآيات التي وقعت بعد هذه الحروف تتحدث عن الكتاب وآياته ، أو القلم أو القرآن ، أو نحو ذلك ، كقوله تعالى :

﴿ المص * كتاب انزل إليك ﴾ (الاعراف) .

﴿ المر * كتاب أنزل إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴾ (ابراهيم) .

﴿ حم * والكتاب المبين . إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون ﴾ (الزخرف) .

﴿ الر * كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ (هود) .

﴿ حم * والكتاب المبين . إنا أنزلناه في ليلة مباركة ﴾ (الدخان) .

﴿ ص * والقرآن ذي الذكر ﴾ .

﴿ ن * والقلم وما يسطرون ﴾ .

وحتى تلك السور الاثنتان أو الثلاث يمكن أن يكون في تلك القصة ، أو التنبؤات، أو الحكم التي تذكر بعد هذه الحروف ـ فيها ـ من الاعجاز ما يكفي لأن يجعل تركيبها من أمثال تلك الحروف المذكورة ، وعجز الغير عن الاتيان بمثلها كافياً عن التصريح في ذلك . .

باء : إننا نجد أن بعض الآيات التي وقعت بعد الأحرف المقطعة قد

جاءت باسم الإشارة ليكون خبراً عن الحروف المقطعة ، لأنه إشارة لما قبله . ولا يصح أن يكون إشارة لما بعده لأن ما بعده ليس فيه الالف واللام ليكون بدلاً أو عطف بيان له . . وذلك مثل قوله تعالى :

﴿ الر * تلك آيات الكتاب المبين . إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون ﴾ (يوسف) .

﴿ الر * تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ﴾ (الحجر) .

﴿ الر * تلك آيات الكتاب الحكيم ﴾ (يونس) .

وكذلك الحال بالنسبة لسورة الرعد ، والحجر وغيرها من السور .

أما مثل قوله تعالى : ﴿ الم * ذلك الكتاب ﴾ ، فالكتاب بدل أو عطف بيان .

جيم : ما هو من قبيل قوله تعالى :

﴿ حم * تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون ﴾ (فصلت) . فإن قوله تنزيل خبر لقوله : ﴿ حم * ﴾ كما قاله الفراء ، وكما هو الظاهر . . وجعل كتاب خبراً لتنزيل لا يستسيغه الذوق السليم ، ولا ينسجم مع المعنى المقصود ، ولا سيما مع تنوين كلمة تنزيل وتنكيرها وكذلك الحال في قوله تعالى :

﴿ الم * تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ﴾ (السجدة) .

﴿ حم * تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ﴾ (المؤمن) .

وكذا الحال فيما ورد في أول سورة الجاثية والاحقاف . .

وقد أعرب المفسرون ، وغيرهم هذه الموارد على أن كلمة تنزيل خبر لمبتدأ محذوف ، أو نحو ذلك مع أن إعرابها على النحو الذي ذكرناه هو الأنسب والأظهر ، وإن كان إعرابهم لا ينافي ما ذكرناه أيضاً ، فإن تقدير كلمة (هو) أو كلمة : (هذا) المقدرة مبتدأ ظاهرها الإشارة إلى ما قبلها أيضاً . .

دال : قوله تعالى :

﴿ حم عسق * كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ﴾ (الشورى) .

فإن قوله (كذلك) يشار بها في القرآن عادة إلى ما قبلها . أي كتلك الحروف التي سبقت يوحي إليك الله تعالى . أي أن آيات الله هي من جنس هذه الأحرف .

هـ : وبعد فلقد جاء في رواية عن الإمام العسكري صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : « كذبت قريش واليهود بالقرآن ، وقالوا : سحر مبين تقوله . فقال الله : ﴿ الم * ذلك الكتاب ﴾ أي يا محمد هذا الكتاب الذي أنزلناه عليك هو الحروف المقطعة التي منها (ألف ، لام ، ميم) وهو بلغتكم وحروف هجائكم ، فأتوا بمثله إن كنتم صادقين ، واستعينوا على ذلك بسائر شهدائكم . ثم بين أنهم لا يقدرون عليه بقوله : قل : ﴿ لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً . . ﴾[1] . وضعف هذه الرواية لا يضر ما دامت مؤيدة بما قدمناه من الشواهد والدلائل . . هذا على الرغم من أننا نجد في كلام المجلسي ما يشير إلى امكان الاعتماد على روايات تفسير العسكري . . مع أننا لا نجد ما يبرر الوضع والجعل في أمر كهذا . .

والحمد لله وصلاته وسلامه على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطيبين الطاهرين.

الجمعة ١٤٠١/٤/٩

---

(١) معاني الاخبار ص ٢٢ ، وتفسير البرهان ج ١ ص ٥٤ وتفسير نور الثقلين ج ١ ص ٤٣ والبحار ج ٩٢ ص ٣٧٧ وتفسير الميزانج ١٨ ص ١٦ .

مصادر البحث

١ ـ القرآن الكريم . . . .

٢ ـ البرهان في تفسير القرآن . . . . للبحراني

٣ ـ معاني الأخبار . . . . للصدوق

٤ ـ المنطلق . . . . مجلة

٥ ـ الميزان في تفسير القرآن . . . . العلامة الطباطبائي

٦ ـ نور الثقلين (تفسير) . . . . للحويزي

بسم الله الرحمن الرحيم

لمن هذه الكتب

والحمد لله والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين ، واللعنة على أعدائهم أجمعين ، إلى قيام يوم الدين .

وبعد . .

فإن العديد من كتب التراث ـ ولأسباب مختلفة ـ قد نسبت إلى غير مؤلفيها الحقيقيين ، عن عمد تارة ، وعن غير عمد أخرى .

وكمثال على ذلك نشير في هذه العجالة إلى الكتب الثلاثة التالية :

١ ـ الكنز المدفون في الفلك المشحون :

لقد طبع الكتاب في القاهرة ، في سنة ١٣٧٦ هـ . ١٩٥٦م في مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده . .

ونسب إلى المؤلف المكثر المعروف : جلال الدين عبد الرحمان السيوطي .

ولكن الظاهر هو أن نسبته إليه لا تصح ، إذ :

أ ـ قد جاء في ص ٢٠٩ من نفس هذا الكتاب قوله :

« اجتمعت بالأخ في الله ناصر الدين بن الميلق بالقدس في ثالث عشرين

من شعبان ، سنة سبع وستين وسبع مئة ، ووقع بيننا مذاكرة الخ . . » .

ب ـ وقال في ص ٣٢٣ :

« أنشدني أبو العباس ، أحمد بن عبد المعطي ، نفع الله به لنفسه ، بالمسجد الحرام في شهر ذي القعدة ، سنة أربع وستين وسبع مئة ، فقال :

كم أقطع العمر في قيل وفي قال وكم أزين أقوالي وأفعالي

الأبيات . . . : .

ج ـ وقال في ص ١٤٧ :

« ورأيت لكاتبه عند زيارته سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، استغفر الله العظيم :

بشراك يا نفس هذا سيد الرسل جوزي حماه ونادي واطلبي وسلي

بشراك الخ . . ».

٥ ـ وقال في ص ٢٤٨ :

« أخبرنا شيخنا الحافظ الذهبي رحمه الله ، قال : أخبرونا عن القاسم عيسى بن عبد العزيز اللخمي ، أخبرنا أحمد بن محمد الحافظ هو السلفي الخ . . » .

ومعلوم أن الذهبي قد توفي سنة ٧٤٨ هـ .

والسيوطي قد ولد في سنة ٨٤٩ هـ . وتوفي سنة ٩١١ هـ . أي أن ولادته قد كانت بعد اجتماع المصنف بابن عبد المعطي بخمس وثمانيين سنة وبعد اجتماعه بابن الميلق باثنتين وثمانين سنة وبعد وفاة الذهبي بأكثر من مئة سنة ، وبعد زيارته لرسول الله بست وتسعين سنة .

أما عن مؤلف الكتاب فقد جاء في ص ٢١٦ قوله :

« الحمد لله . من كلام كاتبه جامع هذا الكتاب الفقير :

ى و ن س . ال م ا ل ك ى ، خدم بها سيدنا رسول الله (ص) ،

وأنشدها بالحضرة الشريفة ، فقال :

أيا ملجا الأنام بكل قطر ويا غوثاً لبدو ثم حضر

اتيتك اشتكى الخ . . » .

فهو يصرح هنا بأن مؤلف الكتاب هو يونس المالكي ، وليس هو جلال الدين عبد الرحمان السيوطي ، ويلاحظ أنه قد كتب اسم المؤلف بصورة الحروف المقطعة !!

وقد قال الزركلي في اعلامه ج ٩ ص ٣٤٧ : يونس المالكي (. . نحو ـ ٧٧٠ هـ . ـ ١٣٦٨م) .

« يونس المالكي ، شرف الدين ، صاحب الكنز المدفون » ، والفلك المشحون ط . « المنسوب إلى جلال الدين السيوطي » ، و« الجوهر المضمون ـخ ـ» كان من تلاميذ الذهبي (المتوفي سنة ٧٤٨) .

ثم قال في هامش الصفحة ما يلي :

« كشف الظنون ١٥١٩ ودار الكتب ٣ : ٣٠٨ و

قلت : اقتبست هذه الترجمة من المصادر المذكورة ، وأنا غير مطمئن إليها، لأني لم أر في كتابه «الكنز المدفون» أسلوب القرن الثامن في التأليف. أما تقدير وفاته، فاستخرجته من قول المصدر الثاني أنه كان من تلاميذ الذهبي». انتهى.

ونحن فيما يرتبط بهذا الهامش نشير إلى ما يلي :

أولاً : إن نفس المصنف قد أشار إلى تلمذه على يد الحافظ الذهبي وقد تقدمت عبارته . . . فالاستناد إليها كان أنسب ، ولكن عذر الزركلي هو أنه لم يطلع على هذه العبارة في الكتاب ولكن مع ذلك فإن ذلك لا يوجب تحديد وفاته بنحو عام ٧٧٠ هـ . نعم ما ذكره المصنف في ص ٣٢٣ من ملاقاته أحمد بن عبد المعطي سنة ٧٦٤ وما ذكره ٢٠٩ من اجتماعه بابن الميلق سنة ٧٦٧ هـ يقرب ذلك ، كما لا يخفى . . .

وثانياً: إنه قال: إنــه لم ير في كتــاب الكنز المـدفون أسلوب القـرن الثامن في التأليف ونقول : إننا لم نجد في الكتاب ما ينافي أسلوب ذلك القرن ولا سيما بملاحظة : أن الكتاب عبارة عن كشكول يهتم مؤلفه بإيراد الفرائد والخرائد التي تمتاز بنوع من الطرافة والجاذبية ، ولم يتخذ موضوعاً خاصاً للمعالجة والتمحيص ليقارن فيه بين أسلوب القرن الثامن وغيره من القرون . .

هذا . . . ولا بد من الإشارة هنا إلى نصوص أخرى وردت في الكتاب من شأنها أن تلقي ظلالاً من الشك والريب على الكتاب ومؤلفه وهي :

١ ـ النص الأول : قال في ص ٦٥ حتى ص ٦٧ : حول زيادة النيل ونقصانه على مر السنين :

« فائدة : الذي كشف عنه من التاريخ من انتهاء الانيال المباركة ، من الأكثر والأقل ، من الهجرة النبوية إلى الآن . . » .

من الأعلى خمسمائة عام وستة أعوام . تفصيله من إحدى وعشرين ذراعاً وكسر عام واحد وذلك في سنة اثنتي عشرة وثمان مئة الخ . .

ثم يستمر في ذكر الزيادة والنقصان حسب السنين حتى ينتهي إلى سنة أربع وخمسين وثمانمائة . . .

وهذا يعني أن المؤلف الذي تلمذ على الذهبي المتوفي سنة ٧٤٨ قد كان حياً في سنة ٨٥٤ وهذا أمر بعيد جداً ، ولا مجال للتسليم به . .

ولكن الأمر الذي لا بد من الإشارة إليه هو : أن ما ذكر هنا حول زيادات النيل لا يؤيد كون السيوطي هو مؤلف الكتاب أيضاً فإن السيوطي إنما ولد سنة ٨٤٩ هـ . حسبما تقدم . هذا بالإضافة إلى النصوص التي تقدمت في أوائل هذا البحث .

٢ ـ النص الثاني : قال في ١٥٤ :

« ثم الملك الأشرف قانصوه الغوري ، فصار بعسكره إلى مرج دابغ لملاقاة

السلطان الملك المظفر سليم بن عثمان ، فلما التقيا خرّ ميتاً ، وجهل أمره ولم يوجد . ثم مات الملك المظفر سليم بن عثمان بجمرة في ظهره ، وولي ولده السلطان الملك المظفر سليمان شاه أدام الله تعالى أيامه وأصلحها ، وأبعد عنه قرناء السوء الخ . . . » .

ومعلوم أن سليمان شاه هذا قد تولى الحكم في سنة ٩٢٦ هـ . وأن المؤلف قد كان حياً في عصره ويدعو له في كتابه .

ولكن ذلك لا يعني كذلك أن السيوطي هو المؤلف للكتاب أيضاً ، فإن السيوطي قد توفي قبل هذا التاريخ بخمسة عشر سنة ، أي في سنة ٩١١ هـ .

ومن الواضح كذلك : أن المؤلف لا يمكن أن يكون هو تلميذ الذهبي المتوفي سنة ٧٤٨ حسبما أسلفناه . .

٣ ـ **النص الثالث** : قال في ص ٣٠٠ : بعد ذكره مواضع الامالة في القرآن :

« . . . وقد نظم تلك المواضع المذكورة عند مطالعة هذه الفائدة كاتبه العبد الفقير إلى الله تعالى محيي الدين الغزى ، فقال :

إن شئت أن تعرف ما يمال خذه مجملاً
شليته الخ . . . » .

وهذا النص معناه أن مؤلف الكتاب ليس هو السيوطي ولا يونس المالكي ، وإنما هو محيي الدين الغزى . . . ولم أجد له ترجمة فيما لدي من الكتب ، حتى أعرف تاريخ مولده أو وفاته . . . إلا أنه يمكن أن يستظهر من كلامه أنه ليس هو مؤلف الكتاب ولكنه أحد من استنسخه وكتبه ، بدليل قوله : « عند مطالعة هذه الفائدة كاتبه العبد الفقير الخ . . » .

فالظاهر أنه حينما انتهى في استنساخه الكتاب إلى هذه الفائدة نظم هذه الأبيات وأضافها في الهامش ثم جاء النساخ بعده فأدرجوها في المتن . . . إن لم يكن هو نفسه قد أدرجها فيه أملاً بخلود الذكر على مر الزمان . .

ومهما يكن من أمر فإن الظاهر هو أن هذا الكتاب قد عبثت به الأيدي وعدت عليه الخطوب . . ولعله قد اختلطت أوراقه بأوراق كتب أخرى ، أو لعله ابتلي بالزيادات والتصرفات المطردة من قبل الأيدي التي تعاقبت عليه ، رغبة في جمع الفوائد واستكمالها قدر الامكان ولعلها هوامش أدرجت في الأصل من قبل النساخ ، ويكون مؤلفه الحقيقي هو يونس المالكي . .

ويمكن نسبة معظم ما جاء في الكتاب إلى هذا المؤلف ، وإن لم يمكن نسبة جميعه إليه . .

والله هو الموفق . . وهو الهادي إلى الصواب .

٢ ـ سر العالمين:

طبع هذا الكتاب في إيران ، وفي الهند ، وفي مصر ، ثم في النجف الأشرف في العراق . . ونسب إلى أبي حامد ، محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، والمولود سنة ٤٥٠ هـ . المتوفي سنة ٥٠٥ هـ .

وقد نسبه إليه « في تذكرة خواص الأمة ، وتاج العروس ، والاتحاف في شرح الأحياء فراجعه[١] » .

وإن كانت عبارة تذكرة الخواص التي ذكرها كاتب مقدمة كتاب سر العالمين ليس فيها دلالة على ذلك . . . فالعبارة قد جاءت على النحو التالي : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام يوم غدير خم : من كنت مولاه فعلي مولاه . فقال عمر بن الخطاب : بخ بخ يا أبا الحسن أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة . . إلى أن قال ابن الجوزي : هذه صورة كلام الغزالي . انظر القصة في كتابنا هذا »[٢] .

فإن سبط ابن الجوزي لم يعين في أي كتب الغزالي ورد هذا النص .

---

(١) الذريعة ج ١٢ ص ١٦٨ .
(٢) مقدمة كتاب سر العالمين ص ٦ عن تذكرة خواص الأمة ط سنة ١٣٨٥ هـ ص ٣٦ .

ونسبه إلى الغزالي أيضاً : القاضي نور الله التستري في مجالس المؤمنين ، والشيخ علي بن عبد العالي الكركي ـ فيما نقل عنه ـ والمولى محسن الفيض الكاشي صاحب الوافي ، والطريحي في مجمع البحرين ، زاعمين أنه تشيع في آخر عمره[1] .

ولكننا بدورنا نشك في صحة نسبة هذا الكتاب إلى الغزالي إذ :

١ ـ قد قال في نفس هذا الكتاب في ص ١٤٢ :

« أنشد المعري لنفسه ، وأنا شاب في صحبة يوسف بن علي شيخ الإسلام :

أنا صائم طول الحياة وإنما ... فطرى الحمام ويوم ذاك أعيد

لو فزت الخ . . . » .

ومن المعلوم أن المعري قد توفي في سنة ٤٤٩ هـ . والغزالي إنما ولد في سنة ٤٥٠ هـ . فلم يكن شاباً في حياة المعري ليسمعه ، وهو ينشد لنفسه ذلك . .

٢ ـ أضف إلى ذلك : أنه يقول وهو يعد علماء الآخرة : « والقفال ، وأبو الطيب ، وأبو حامد ، واستاذنا امام الحرمين أبو المعالي الجويني » .

فإن المقصود بأبي حامد هو الغزالي نفسه ، وليس من المألوف أن يذكر مؤلف الكتاب نفسه في موارد كهذه ، وبأسلوب كهذا « أبو حامد ، واستاذنا الخ . . » فهذا قرينة على أن مؤلف الكتاب رجل آخر . .

إلا أن يقال : أن ثمة خطأ من النساخ ، وأن الصحيح هو ابن حامد ، ويكون المقصود الحسن بن حامد ، امام الحنابلة في زمانه . . وما أكثر ما يتفق للنساخ تصحيفات من هذا القبيل . . ولكنه على أي حال مجرد احتمال . .

٣ ـ وبعد . . فإننا نلاحظ : أن مؤلف هذا الكتاب ينسب لنفسه كتباً

---

(١) المصدر السابق .

(٢) سر العالمين ص ١٧٦ .

كثيرة لم نجدها في قائمة كتب الغزالي ، وذلك مثل :

١ ـ السلسبيل لأبناء السبيل ذكره في ص ٣٤ و ٣٥ و ٣٨ و ٣٩ و ٥٨ و ٦٨ .
٢ ـ قواصم الباطنية ص ٥٨ .
٣ ـ الأشراف في مسائل الخلاف ص ٨٧ .
٤ ـ المنتخل في علم الجدل ص ٨٧ .
٥ ـ نهاية الغور في مسائل الدور ص ٨٩ .
٦ ـ عين الحياة ص ١٠٢ و١٠٤ في موضعين و١٠٦ و ١١٠ .
٧ ـ معايب المذاهب ص ١٨١ .
٨ ـ نسيم التسنيم ص ١٨٣ .
٩ ـ خزانة سر الهدى ، والأمد الأقصى إلى سدرة المنتهى ص ١٨٩ و١٨٨ .
١٠ ـ نجاة الأبرار ص ١٨٨ .

ولعل المتتبع في الكتاب يعثر على أسماء مـؤلفات أخرى لا يجدها في قائمة مؤلفات الغزالي. ولعل الذين نسبوا بعض الكتب المتقدمة إلى الغزالي قد اعتمدوا على ورودها في هذا الكتاب.

هذا كله . . عدا عما يظهر في الكتاب من هنات ، ولا سيما ما فيه من الخلط وعدم الإنسجام فليلاحظ ذلك .

٣ ـ المعيار والموازنة :

لقد طبع الكتاب في بيروت على ما يظهر سنة ١٤٠٢ هـ. ١٩٨١ م ، ونسب إلى أبي جعفر الاسكافي، محمد بن عبد الله المعـتزلي ، المتوفي سنـة ٢٤٠ هـ .

ولكن الظاهر ـ حسبما أشار إليه بعض المحققين ـ هو أن نسبة هذا الكتاب لا تصح ، وإن أبا جعفر الاسكافي لم يؤلف كتاباً بهذا الأسم.

والكتاب على ما يظهر إنما هو لـ « ابن الاسكافي » قال ابن النديم « وهو

أبو القاسم جعفر بن محمد الاسكافي ، وكان كاتباً بليغاً، ورد إليه المعتصم أحد دواوينه ، وتجاوز كثيراً من الكتاب ، وله من الكتب كتاب : المعيار والموازنة في الامامة »[1] .

وقد ذكر محقق الكتاب حفظه الله العبارة الآنفة الذكر حول أبي القاسم ، بعد أن ذكر ترجمة أبي جعفر مباشرة . . فيظهر أنه تخيل الرجلين واحداً ، مع أن الأول اسمه : أبو جعفر محمد بن عبد الله ، والثاني اسمه : أبو القاسم ، جعفر بن محمد بن عبد الله . .

ويظهر : أن الثاني كان ابن الأول ، ولذا يقال له : ابن الاسكافي . . ولا سيما إذا لاحظنا : أن الأول اسمه محمد وكنيته أبو جعفر ، واسم الثاني جعفر ، واسم أبيه محمد . .

وأخيراً . . فيلاحظ أن النجاشي ذكر في جملة كتب الفضل بن شاذان كتاب : المعيار والموازنة[2] . فراجع .

(١) الفهرست لابن النديم ص ٢١٣ .
(٢) رجال النجاشي ط مركز نشر لكتاب ص ٢٣٦ ، وراجع الذريعة ج ١ ص ٢٧٧ .

مصادر البحث

١ ـ سر العالمين . . . .

٢ ـ الذريعة . . . . للطهراني

٣ ـ مقدمة كتاب سرّ العالمين . . . .

٤ ـ تذكرة الخواص . . . . لسبط ابن الجوزي

٥ ـ الفهرست . . . . لابن النديم

٦ ـ رجال النجاشي . . . . للنجاشي

فلسفة الأخلاق في الإسلام

محاضرة ألقيت في أمريكا سنة ١٤٠٤ هـ
في المؤتمر السنوي للجماعة الإسلامية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين ، واللعنة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين . .

السلام على سيدنا وإمامنا الحجة ابن الحسن المنتظر ، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، بعدما ملئت ظلماً وجوراً ، عجل الله تعالى فرجه الشريف ، ورحمة الله وبركاته . .

جعلنا الله من أعوانه وأنصاره والمجاهدين والمستشهدين بين يديه حتى يظهر الله دينه ، ويعز جنده . . إنه ولي قدير . .

والسلام على إمام الأمة وقائدها ، ومفجر الثورة الإسلامية في إيران ، سيدنا نائب الإمام الخميني العظيم حفظه الله تعالى .

والسلام عليكم أيها الأخوة المؤمنون ورحمة الله وبركاته . . وبعد : .

فإنني أحمل لكم من إيران بلد الإيمان والإسلام تحيات أمل الإمام والامة سماحة آية الله العظمى الشيخ المنتظري حفظه الله تعالى وتمنياتة لكم بالتوفيق والتسديد ، وإعجابه بموافقكم الرسالية ، وبإيمانكم المعمق ، الذي دفعكم لإقامة مؤتمرات إسلامية ، تبحث في قضايا وموضوعات إسلامية هامة ومتنوعة ، وبالذات في موضوع « الأخلاق في الإسلام » مع أنكم تعيشون في البلد المتخم

بالانحرافات الخلقية والمفاسد الاجتماعية ، الغارق بالمادة ، الزاخر بالمغريات إلى حد بعيد . .

فمن بلد الإيمان والإسلام ، ومن الشيخ المنتظري إليكم أيها الأخوة أعطر التحيات ، وأعظم التهاني والتبريكات ، مع المزيد من التقدير والإكبار لهذه الأرواح الصافية ، والمطمئنة ، ولتلك الإنسانية الرفيعة النبيلة .

أما فيما يتعلق بموضوع البحث ، وهو « الأخلاق في الإسلام » فإننا نقول :

إنه لا ريب في أن كثيراً من الأعمال لها قيمة مادية ، يحددها الناس والعقلاء ، بملاحظة خصوصيات ، وظروف معينة ، تختلف وتتفاوت من عمل لآخر ، ومن ظروف لأخرى . . فإذا كان العامل الذي يشتغل في البناء ثمان ساعات مثلاً يستحق بنظرهم عشر ليرات مثلاً ، بحيث لو زاد عليها زيادة فاحشة عد ظالماً ، أو نقص عنها كذلك عد مظلوماً . . فإن الطبيب الذي يجري عملية جراحية معقدة في وقت أقل ، يستحق ـ بنظرهم أيضاً ـ أضعاف ما يستحقه عامل البناء ذاك . . وهكذا . .

وفي المقابل . . فإنه لا ريب أيضاً في أن بعض الأمور لا يمكن تقييمها بالمادة مهما عظمت وكثرت ، ولا تكافأ ولا تعوض إلا بمثلها أو بما هو من سنخها ، كالايثار على النفس ، والعفو ، والتضحية في سبيل الآخرين . . فإنها لا تعوض إلا بمثلها ، ولا يوازيها مال ، ولا تعوضها المادة أما المكافأة على ذلك باللامبالات أو بالسوء[1] . . فإنه قبيح ومرفوض من الناس كل الناس ، على اختلاف اتجاهاتهم ، ونحلهم ، وأذواقهم . .

أما إذا استطعنا التعرف على تلك الخصوصية ، وعلى المنطلقات والقيم ، التي تعطي لهذا العمل قيمته المعنوية، فلسوف يساعدنا ذلك على التقييم الصحيح ، والتخطيط السليم في مجال العمل المنسجم ، والمدروس على بعث الأخلاق في المجتمع ، وتقويتها ، وترسيخ قواعدها بحيث تتخذ صفة الأصالة

(١) ليس الاختلاف فيما بينه وبين سابقه بالذات والحقيقة إنما في الكم والمقدار .

وتساهم في الحركة ، وفي الموقف ، وفي صنعها . . وإن اختلاف الأنظار في فهم ذلك يستتبع اختلافاً في مجالات العمل والنشاط، واختلافاً في التركيز على المنطلقات الضرورية ، التي تساهم في دفع الإنسان ليكون عمله نبيلاً ، واخلاقياً . . الأمر الذي ربما يؤدي الخطأ فيه إلى أضرار كبيرة ، وخسائر فادحة على الصعيد النفسي وفيما يرتبط بالنظام الاجتماعي بصورة عامة . . وكشاهد على هذا الاختلاف في الرأي والنظر بالنسبة للركائز والمنطلقات ، الذي يستتبع الاختلاف في العمل لتقويتها وترسيخها ، فإننا نشير إلى المثال التالي :

إننا نجد المسيحية مثلاً تركز على تقوية روح الحب والعطف والحنان بين الناس ، وذلك إنطلاقاً من نظرتها وتقييمها للعمل الأخلاقي ، ولما يرتكز عليه ، ولمقاييسه ومعاييره بصفة عامة . .

فالمسيحية ترى : أن كل فعل لا بد أن ينشأ عن ميل ورغبة ، وعاطفة ، واندفاع من جهة . . كما أنه لا بد له من غاية وهدف من جهة أخرى . . فإن كانت الغاية للعمل والهدف هي نفس الشخص الفاعل له ، كالعمل من أجل الحصول على مال أو مقام ، أو نحو ذلك ، فإن ذلك العمل لا يكون أخلاقياً . . وإن كان الهدف هو الغير من سائر بني البشر (الإنسان) ، كان عملاً أخلاقياً . . إن كان منشؤه هو العاطفة لا غيرها من سائر الدوافع .

ولأجل ذلك تعمل المسيحية على تقوية روح المحبة بين الناس وربط الإنسان بسائر بني جنسه برباط العاطفة والحنان. . كما قلنا. . ولكنهم لم يلتفتوا إلى أن نظريتهم هذه غير وافية ولا سليمة . . فإن الحب وإن كان أمراً أساسياً وضرورياً وهاماً جداً في حياة الإنسان . . وقد اهتم الإسلام به بصورة فائقة ، كما يظهر من عشرات الآيات والروايات . . ولكنه ليس هو كل شيء في مجال تقييم العمل الخلقي إذ أنه :

أولاً : إننا نجد : أن عملاً قد يكون ناشئاً عن اندفاع عاطفي ، ويكون هدفه هو الغير . . ولكنه ليس أمراً أخلاقيا كالعطف على المجرمين ، الذي يتبعه التدخل لمساعدتهم أو لمنع تعرضهم للعقاب الذي يستحقونه ، من أمثال :

يـزيد بن معـاوية ، والحجاج بن يوسف ، وصـدام المجرم . . وغـيرهم من الطواغيت والمجرمين . .

بل إن التدخل لصالح أمثال هؤلاء يكون أمراً منافياً للأخلاق ، ومضاداً لها . . وقد قال تعالى في مقام الإشارة إلى المنع من التأثر بعاطفة كهذه .

« الزانية والزاني ، فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله الخ . . »[1] .

ثانياً : إنه ليس كل عاطفة تؤثر أثرها تجاه الغير ، يكون ما ينشأ عنها عملاً أخلاقياً . . فإنه حتى عاطفة الأم المؤثرة إنما هي ناشئة عن الإحساس الغريزي الطبيعي ، الذي هو أمر غير اختياري ، ويوجد حتى لدى الحيوان ، من أجل حفظ الحياة والوجود ، كسائر الغرائز الأخرى التي لا بد منها من أجل ذلك أيضاً ، مثل حب الإنسان لنفسه ، وغريزة الجنس ، ومثل الجمال ، والقوة ، وغير ذلك . .

ثالثاً : إن عاطفة كهذه قد تؤثر في اتخاذ موقف ما تجاه غير الإنسان أيضاً ، فإن المنع من إطالة الأظافر حتى لا تؤذي ضرع الحيوان حين حلبه . والذي هو من تعاليم الإسلام الزاخر بأمثال هذه التعاليم . إن هذا . . لا شك في كونه عملاً أخلاقياً ونبيلاً ، فلا معنى لتخصيص العمل الأخلاقي ، بما كان يهدف إلى خدمة خصوص الإنسان . .

أما « كانت » فيرى :

أن الأخلاق تنبع من ضمير الإنسان ووجدانه، فكل ما يحرك الوجدان فهو عمل أخلاقي.

وهو يقول : أن العقل العملي ، والوجدان ، توأمان ، فالأول يحكم بحسن العمل ، وأنه مما ينبغي المبادرة لإيجاده خارجاً (وهو ما يسمى بالعقل

---

(١) سورة النور : الآية ٢ .

العملي) . والوجدان يحرك نحو تحقيق ما يحكم به العقل العملي . . وأحكام العقل العملي هذه أحكام عامة مطلقة ، فهو يحكم بحسن الصدق مطلقاً ، أي أنه يكون حسناً على كل حال ، وفي كل مورد . .

أما العقل النظري (والمراد به : الذي يتصدى للأمور العقلية النظرية الصرفة ، فيستدل عليها بالدور أو بالتسلسل مثلاً ، من أجل أن تعلم ، لا من أجل أن تعمل وتفعل ، كما في الاستدلال على وجود الله سبحانه وغير ذلك . .)

هذا العقل النظري لا وجود له عند« كانت » على الاطلاق . .

ويضيف : أن الأخلاق إنما تدعو إلى الكمال ، لا إلى السعادة ، أي أن الإنسان يتطلب بعمله الأخلاقي الوصول إلى الكمال . . وليس ثمة تلازم بين الكمال والسعادة عنده ، فقد يصل الإنسان إلى الكمال بواسطة عمل أخلاقي ما ، ولكنه لا يكون سعيداً ، بل يكون في ألم وعناء ، وشدة وبلاء . .

وهو يقصد بالسعادة خصوص اللذة والراحة الجسدية والمادية . .

ولكن جميع ما تقدم مما لا تمكن الموافقة عليه بأي وجه ، وذلك بملاحظة النقاط التالية :

١ ـ إن إنكار العقل النظري ما هو إلا إنكار لأمر بديهي ، إذ بهذا العقل يمكن إثبات وجود الله تعالى ، وإثبات أن الإنسان مختار ، وأنه مريد ، وغير ذلك من أمور كثيرة وضرورية .

٢ ـ إن معنى كون الأحكام الأخلاقية مطلقة ، هو أن يكون الصدق حسناً مطلقاً حتى ذلك الصدق الذي يوجب هلاك نبي أو مصلح اجتماعي كبير أو هلاك أمة بأسرها ـ نعم هلاكهم ـ بلا ذنب وبلا سبب وبفعل عمل طاغوت متجبر . . .

٣ ـ إن ما ذكره من عدم التلازم بين الكمال والسعادة ، واعتبار السعادة ، منحصرة بالأمور المادية . . لا يصح . . أيضاً . . فإن لذة الروح والنفس هي اللذة الحقيقية ، وهي الأبعدُ أثراً ، وأكثر أصالة . . فقد يكون الإنسان معذباً

جسدياً ، لكنه سعيد روحياً ، وهذا هو السر في أن طعم الموت يكون أحلى من العسل لدى القاسم بن الحسن . وهو ما يفسر لنا قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، حينما ضربه ابن ملجم . . « فزت ورب الكعبة » .

كما أننا نجد الشباب المؤمن في الجمهورية الإسلامية يتسابقون للموت ، ويرون أعلى درجات سعادتهم هو استشهادهم ، حتى إن من لا ينال هذه الدرجة منهم يكون كئيباً وحزيناً وغير سعيد . .

وبعد . . فإن لذة العلماء في اكتشافاتهم العلمية ، وكذلك لذة العباد والزهاد في عبادتهم وتهجدهم، لا يمكن أن ينكرها أحد، رغم أنهم قد يكونون يعانون الكثير من التعب، والعناء، والجهد والبلاء الجسدي في ذلك.

بل إن نفس وصول الإنسان إلى درجة الكمال يمثل لذة روحية عالية ، لا يمكن إنكارها ، ولا المماراة فيها[1] .

وثمة نظريات أخرى حول الأخلاق . . فإن الأخلاق عند الشيوعيين تقوم على أساس مادي بحت ، إنطلاقاً مما أسموه فلسفة لهم عن الكون وعن الحياة . . .

وقد ناقش العلماء والمفكرون ، ونخص بالذكر منهم : العلامة الطباطبائي ، والشهيد الصدر ، والشهيد المطهري ـ ناقشوا نظريات الشيوعيين هذه ، وأبطلوها بالبراهين الساطعة ، والحجج القاطعة ولم يبقوا عذراً لمعتذر ، إلا من مداج أو مكابر متكبر ، لا يؤمن إلا بما يمليه عليه الهوى ، وتفرضه عليه الرغبات والميول . .

كما أن بعض النظريات قد حاولت إنكار الأخلاق من الأساس . . وبعضها حاول إعطاءها صفة غير إنسانية . . ونحن لا نرى حاجة للتعرض

---

(١) قد استفدنا في كثير مما تقدم من بعض أفكار الشهيد المفكر الإسلامي الكبير الشيخ المطهري رحمه الله تعالى ، مع بعض التقليم والتطعيم ، فليلاحظ ذلك . .

لتفنيدها في عجالة كهذه معتمدين على تنبه وحصافة من يتسنى له الاطلاع عليها . .[1] .

ويبقى أن نشير إلى رأي الإسلام في الأخلاق فنقول :

١ ـ إن الإسلام يمتاز بالشمولية ، وبالعمق ، وبأنه كل مترابط لا يتجزأ . . وهذا يعني : أن التعرف على رأيه في أية قضية كانت يتطلب جهداً خاصاً وكبيراً ، ومزيداً من البحث والدراسة والتمحيص ، ولا سيما إذا لاحظنا أن كلام الله سبحانه ، وكلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكلام الأئمة عليهم السلام دقيق وعميق ، يحتاج إلى المزيد من الدقة في فهم معانيه ومراميه ، حتى إن تغير كلمة واحدة في جملة صغيرة لربما يغير المعنى تغييراً أساسياً له آثاره على الصعيد العلمي بشكل واسع .

ولأجل ذلك . . ولأجل عوامل أخرى ، لا مجال لبحثها الآن ، نقول : إنه ليس منطقياً ـ إذا أردنا معرفة رأي الإسلام في قضية ما ـ أن نكتفي بمراجعة بسيطة وعابرة وساذجة لآية أو لحديث أو أكثر ، ثم إصدار الأحكام وإعطاء النظريات والضوابط على أنها هي كل رأي الإسلام في ذلك .

فمثلاً : العفو عن الآخرين ، وإن كان لا ريب في رجحانه على وجه العموم . . ولكن إذا أردنا تحري التفاصيل والجزئيات فيه ، فإننا نحتاج إلى مزيد من البحث ، والمزيد من الدقة في الآيات والروايات لنستخلص ممن ، وعمن يكون العفو ، وما هي غايته ؟ وما هي آثاره على العافي ، من جهة ، وعلى المعفو عنه من جهة أخرى ؟ وما هي آثار العفو على صعيد الواقع العام ؟ وما هي شرائطه وحدوده ؟ وما هو مدى ربطه بأخلاق وخصائص الإنسان ؟ وكيف ؟ وهكذا . .

ولأجل كل ما تقدم : فإننا سوف نكتفي في هذه العجالة بعرض سريع لما أمكن فهمه فيما يرتبط بالأخلاق في الإسلام . . مع تأكيدنا على مسيس الحاجة

(١) راجع على سبيل المثال : مجلة « التوحيد » ، السنة الأولى العدد الخامس .

للتوفر على دراسة هذا الموضوع بشكل أعمق ، وبصورة أتم وأوفى . .

٢ ـ إن الإنسان في مسيرته الحياتية ، وفي كل حركاته ، وأفعاله ، ومواقفه يحتاج إلى دافع ومحرك ، وإلى هدف وغاية . . ولا بد من التعرف على كلا الأمرين من وجهة نظر الإسلام أولاً . .

فأما بالنسبة للهدف والغاية . . فإننا نبادر إلى القول : إن هدف الإسلام هو إيصال الإنسان كفرد ، وكأمة إلى السعادة التامة والشاملة ، والحقيقية ، بكل ما لهذه الكلمات من مدلول ومعنى . .

وهذه السعادة لا تنتهي بانتهاء حياة الإنسان في هذه الدنيا ، وإنما تتجاوزها ، لتكون دائمة وخالدة وأبدية ، ليست الدنيا إلا مرحلة تهيؤ وإعداد لها ، حيث ينتقل الإنسان منها إلى مرحلة أخرى ، أكبر وأوسع تتجسد فيها إنسانية الإنسان ، ليعيش واقعه وأصالته ، بحيوية ، وواقعية وعمق . .

وفي الحقيقة : فان هذه السعادة لا يمكن الحصول عليها إلا في ظل الرعاية الالهية ، والهيمنة والتربية الربانية ، فإليه القصد ، وهو الهدف والغاية ، وكل شيء يجب أن يكون في سبيل الله ، ولوجه الله ، وباتجاه الله سبحانه ، وبذلك يحصل التكامل لإنسانية الإنسان ويحصل السمو له . .

﴿ يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً ، فملاقيه ﴾[1] .

نعم . . هذا هو الهدف ، وهذه هي الغاية بنظر الإسلام . وإدراك ذلك ، وإدراك كثير من خصوصياته إنما هو من معطيات العقل النظري ليس إلا . .

وواضح : أن للهدف والغاية من الفعل دوراً أساسياً في كون الفعل أخلاقياً أولاً . فالعمل المعبر عن الشجاعة قد يكون لإذلال الآخرين ، والتعدي عليهم ، وقد يكون لاحقاق الحق ، والدفع عن المستضعفين . كما أن بذل المال مثلاً ، حين يقصد بها الرياء والسمعة ، أو إذلال الآخرين واستعبادهم أو ليشوه

(١) سورة الانشقاق ٦ .

حقيقة ، أو ليقتل إنساناً ، أو شعباً ـ ولذلك الكثير من الشواهد التاريخية ـ إنه حين يكون كذلك ، فإنه يكون عملاً منافياً للأخلاق ومضاداً لها .

وأما إن كان لعاطفة جاشت بسبب رؤية عجز وحاجة وضعف الآخرين ، وليس وراء ذلك أي شيء آخر ، فهو من قبيل عواطف الأم تجاه ولدها حسبما قدمناه . أما إذا كان لله سبحانه وفي سبيله ، ولمحض رضاه ، فإنه يكون عملاً أخلاقياً ، يستحق فاعله الأجر الجميل والثواب الجزيل . . قال تعالى وهو يمدح أمير المؤمنين ، والزهراء ، والحسنيين عليهم السلام على إطعامهم اليتيم ، والمسكين ، والأسير ، في حين أنهم عليهم السلام كانوا بأمس الحاجة إلى ذلك الطعام حيث إنهم كانوا يصومون تلك الأيام ، ولا يجدون إلا الماء ليفطروا عليه ـ قال تعالى : ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ، ويتيماً وأسيراً ، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً ، فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً ، فجزاهم بما صبروا جنة وحريراً ﴾[1] .

وقال تعالى في موطن آخر : ﴿ الذين آمنوا ، وهاجروا ، وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم ، وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ والذين آمنوا وهاجروا في سبيل الله ، والذين آمنوا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً ﴾[3] .

والآيات والروايات التي تدخل في هذا المجال كثيرة جداً لا مجال لإحصائها .

وبالنسبة للأمر الثاني ، وهو الدافع والمحرك ، فإننا نقول : إن من الطبيعي أن تكون إطروحة الإسلام في مجال الدفع ، وتنظيم الحركة نحو ذلك الهدف منسجمة مع نظرته تلك ، ومع حجم المسؤولية التي يتحتم عليه

---

(١) سورة الإنسان ٨ ـ ١٢ .
(٢) سورة التوبة ٢٠ .
(٣) سورة الأنفال ٧٤ .

الاضطلاع بها في هذا المجال . . الأمر الذي يعني : أنه يقيم علاقات الإنسان بالدنيا ، وبكل ما يحيط به ، وحتى بنفسه تقييماً صحيحاً ، يعطيها حجمها الطبيعي ، الذي ينسجم مع حجم الدور الذي يؤهله الله للقيام به ، في مسيرته نحو هدفه الأسمى في حياته الخالدة والدائمة والباقية .

وواضح : أن الإنسان تارة ينساق نحو إيجاد فعل من نوع ما في الخارج ، بدافع العاطفة ، كما في اندفاع الأم لإرضاع طفلها ، وأخرى ينساق إلى ذلك استجابة لأمور طبيعية ، أو غريزية كداعي غريزة الجنس ، أو دافع الجوع ، أو العطش ، أو نحو ذلك ، فيأكل ، ويشرب ، ويمارس الجنس الخ . . . وقد يكون العقل هو الذي يدرك المصلحة في عمل ما فيصدر الأمر للإرادة للتحرك نحو إيجاد ذلك الفعل ، حتى ولو كان ذلك على خلاف المشاعر العاطفية ، والمتطلبات الغريزية فعلاً . . فنجد الأم تقدم على إجراء عملية جراحية لولدها ولو ببتر أحد أعضائه لتنجيه مما هو أقسى وأدهى ، رغم أن ذلك لا ينسجم مع انفعالاتها العاطفية ، وميولها ورغباتها الطبيعية . . وكذلك فيما يرتبط بالإقدام على شرب الدواء المر من أجل الحصول على الشفاء .

وذلك لأن العقل قد أوضح لها : أن الأقرب إلى حفظ ولدها وسعادته وكماله هو هذا العمل بالذات ، والشواهد على ذلك كثيرة .

وعلى هذا الأساس . . فإن العقل لا بد وأن يكون هو المهيمن على جميع القرارات ، والتصرفات ، التي يكون الدافع إليها هو الرغبات والعواطف والنزعات الغريزية والطبيعية ، فهو المبدأ ، وإليه المنتهى ، وهو صاحب القرار النهائي ، الذي يصدر تعليماته للإرادة سلباً أو إيجاباً وعليه أن يستفيد من هذا الرصيد العاطفي ، والطبيعي والغريزي ـ كالحب والجمال ، والشجاعة والجنس ، وغير ذلك ـ في مجال تنفيذ أحكامه ، وتطبيق قراراته ، التي تقوم على أساس إدراكه للواقع الموضوعي وترجيحاته فيما بين المصالح والمفاسد التي يواجهها ، ويوجهها بمساعدة العقل النظري نحو الهدف الأقصى ، وهو المولى جل وعلا : ﴿ يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه ﴾ . .

وأما إذا كان لا بد من إطلاق العنان لتلك الرغبات والغرائز ، والعواطف والميول ، واعتبار الأعمال والمواقف التي تنشأ عنها ـ بمفردها ـ من الأخلاق . . فإن معنى ذلك هو أن يصير عقاب المجرمين قصاصاً حتى يزيد بن معاوية ، والحجاج بن يوسف ، عملاً غير أخلاقي .

بخلاف ما لو كانت الهيمنة ، وكلمة الفصل هي للعقل ، فإن عدم قصاص المجرم يكون عملاً منافياً للأخلاق ، ومضاداً لها . . حتى إننا نجد جميع العقلاء لا يرضون عن موقف كهذا ، ويقبحونه ، ويقفون ضده . .

وإذن . . فقد يقتل الإنسان المئات أو حتى الالف والالآف من الأشخاص في ساعة واحدة ، كما فعل رسول الله (ص) في بني قريظة ويكون عمله أخلاقياً . . ثم هو في نفس الوقت يذوب حناناً وعطفاً على من قتلهم بالذات ، حتى ليعاتبه الله على شدة حزنه على أعدائه الذين أخرجوه، وحاربوه، ويبغون له الغوائل : فيقول : ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾[1] ، ويقول : ﴿ فلعلك باخع نفسك على آثارهم ، إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً ﴾[2] . .

وكذلك بالنسبة لمواقف الحسين عليه السلام ، وتقديمه أصحابه ، وأولاده وأهل بيته ونفسه ضحايا في سبيل اعزاز الدين ، وإعلاء كلمة الله سبحانه . . وكذلك يقال في آباء وأمهات الشهداء في الجمهورية الإسلامية المباركة . . وكل ذلك عمل أخلاقي ، غايته وهدفه هو الله ، ومبدؤه الفكر الصحيح وحكم العقل بحسن ذلك وجدواه . .

٣ ـ ولكن . . يبقى أن نشير إلى أن هذا العقل ، نتيجة لمحدوديته وقصوره ، بسبب كثير من العوامل الأخرى . . قد يعجز عن إدراك كثير من الأمور والملابسات ، التي لها مساس مباشر أو غير مباشر في امكانية إصداره للقرارات أو في صحة وسلامة ، واستيفاء سائر الجوانب التي لا بد من ملاحظتها في القرارات الصادرة . . الأمر الذي يحتم عليه الاستعانة بمن هو أكثر إطلاعاً

---

(١) سورة فاطر ٨ .

(٢) سورة الكهف ٦ .

منه ، وأكثر إداركاً لـحقيقة الظروف الموضوعية وملابساتها التي تفرض نفسها . . ومَن غير الله العالم بكل شيء ، والمهيمن على كل شيء ، يعلم بحقائق الأمور ، وبحقيقة العوامل والظروف والملابسات المؤثرة فيها ، سلباً أو إيجاباً ؟ !

فعلى العقل بعد أن يدرك نظرياً حقيقة التوحيد ، ويلم بالقدرة والصفات الالهية ، ـ عليه ـ أن يستمد من ناحيـة المولى جل وعلا ، وأن يستعين بالوحي للوصول إلى كنه ما يعجز عن الوصول إليه لولاه . .

فإذا أمده الوحي الإلهي ، فإن عليه أن يصدر تعليماته الحاسمة للإرادة لتتحرك نحو تحقيق وإيجاد ذلك الفعل لوجه الله ، وفي سبيله ، ولمحض القربة له سبحانه . .

وهكذا . . فإنه حتى قطع يد السارق ، وقتل القاتل يصير عملاً إنسانياً وأخلاقياً ، إذا نشأ عن حكم العقل ـ ولو بمعونـة الوحي ـ بحسنه ، وبـتحقق المصلحة فيه . . إذا كان تحقيقه وإيجاده بداعي القربة إلى الله ، وفي سبيله سبحانه وتعالى . .

وهكذا . . يتضح : أن الأخلاق لا تختص بالأفعال الراجحة ، التي تتخذ صفة الرجحان مـن خلال تعبيرها عن السهولة في التعامل ، وعن المشاعر المرهفة ، والعواطف الجياشة ، وما أشبه ذلك . . وإنما تشمل كل الأحكام التي تـوصل إلى السعادة، وإلـى الهدف الأسمى الذي هو لقاء الله سبحـانه. فهي إذن تشمل جميع أحكام الشرع ، وتعاليم الدين حتى السياسية منها ، وحتى أحكام القصاص والحدود ، والديات وغير ذلك . .

ويؤيد ذلك بل يدل عليه . .

أ ـ قوله تعالى بالنسبة لقوم هود ، حينما دعاهم للإيمان ، والتقوى ، والطاعة ، وأنذرهم فكذبوه . . قال تعالى بعد عدة آيات مباركة :

﴿إني أخـاف عليكم عذاب يومٍ عظيمٍ . قالـوا: سواء علينا، أوعظت أم لم تكن من الواعظين . إن هذا إلا خلق الأولين. وما نحن بمعذبين فكذبوه

فأهلكناهم . . . الخ . . ﴾[1] .

فقد كان جوابهم لهود (ع) : أن الدين الذي يلزمون به أنفسهم هو دين الأولين من الآباء والأجداد ، ولا يريدون التحول عنه ، كما قال تعالى : ﴿ اجئتنا لنعبد الله وحده ، ونذر ما كان يعبد آباؤنا ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم: اتبعوا ما أنزل الله قالو: بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾[3] .

ب ـ قوله تعالى : ﴿ ن . والقلم ، وما يسطرون . ما أنت بنعمة ربك بمجنون . إن لك لأجرا غير ممنون . وإنك لعلى خلق عظيم . فستبصر ويبصرون . بايكم المفتون . إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين ﴾[4] .

فإن سياق الآيات يعطي : أن المقام مقام الموازنة والمقارنة بين ما هم عليه وبين ما جاء به النبي (ص) وأن النبي ليس بمجنون كما يدعون وإنما هو مدرك وعاقل ، وملتفت لما جاء به . . وهذا يناسب أن يكون المراد بقوله : ﴿ وانك لعلى خلق عظيم﴾ هو الدين، والنبي (ص) ليس بمجنون * ولسوف يبصر ويبصرون صحة ذلك. . والله هو العالم بالضال من المهتدي .

وليست الآيات في مقام مدح الخصال الخلقية للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وليس فيها ما يناسب ذلك وقد روى عن أبي جعفر في قوله تعالى: ﴿وانك لعلى خلق عظيم قال: هو الإسلام﴾ وروى أن الخلق العظيم: الدين العظيم . وفي رواية أخرى عن أبي جعفر الباقر (ع) في تفسير الآية قال : أي على دين عظيم[5] .

(١) سورة الشعراء ١٣٥ ـ ١٣٩ .
(٢) سورة الاعراف ٧.
(٣) سورة البقرة ١٧٠ وراجع سورة المائدة ١٠٤ .
(٤) القلم : ١ ـ ٧.
(٥) راجع تفسير البرهان ج ٤ ص ٣٦٩ .

ج ـ ما روى عنه صلى الله عليه وآله وسلم ، من أنه قال : « إنما بعثت لاتمم مكارم الأخلاق »[1] . . وذلك بملاحظة حصر ما جاء به صلى الله عليه وآله وسلم بذلك ، بواسطة كلمة إنما . كما ويفهم من ذلك أن ما جاء به الأنبياء السابقون هو ذلك أيضاً . . ويؤيده أيضاً ما روى من طريق أهل البيت عنه (ص) من أنه قال « عليكم بمكارم الأخلاق فإن ربي بعثني بها . . » .

والحمد لله وصلاته وسلامه على عباده الذين اصطفى ، محمد وآلـه الطاهرين .

المصادر والمراجع :

١ ـ القرآن الكريم . . . .

٢ ـ تفسير البرهان . . . . للبحراني

٣ ـ التوحيد . . . . (مجلة)

٤ ـ سفينة البحار . . . . للقمي

٥ ـ مكارم الأخلاق . . . . للطبرسي

بالإضافة إلى بعض كتب الشهيد المطهري .

(١) راجع : مقدمة كتاب مكارم الأخلاق للطبرسي ص ٨ سنة ١٣٩٢ هـ وسفينة البحار ج ١ ص ٤١٠ و ٤١١ .

بسم الله الرحمن الرحيم

نحن .. ونهج البلاغة

كتب هذا البحث ليكون مقدمة لكتاب حول موضوعات نهج البلاغة ألفه سماحة آية الله المشكيني حفظه الله، ونحن نورده هنا أيضاً رجاء أن ينفع الله به، إنه ولي التوفيق .

بتاريخ ١/شوال/١٤٠٤ هـ.

بداية :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين ، محمد وآله الطيبين الطاهرين ، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين ، إلى قيام يوم الدين . .

وبعد :

فإنه إذا كان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه ، هو ذلك التجسيد الحي ، والنموذج الفذ للإنسان الكامل في إنسانيته ، الذي أراد الله له أن يكون منار السالكين ، ومدرسة الأجيال ، وقدوة الأمم . . فإن نهج البلاغة ـ كتاب علي عليه السلام ـ هو ذلك الكتاب الغني عن التعريف والتوصيف ، بعد أن كان دون كلام الخالق ، وفوق كلام المخلوق . . ولقد كان وسيبقى على مر العصور نوراً تشرق به دروب العارفين، وبصيرة وهدى للمستبصرين . .

وكذلك . . فإنه إذا كانت معرفة علي عليه السلام ضرورة لا بد منها لكل مسلم مؤمن بربه ، تابع لدينه ، فإن معرفة نهج البلاغة ـ كتاب علي (ع) ـ وهو فكر علي (ع) وعقله ، وأسلوبه ، وحياته . . وغير ذلك ضرورة لا بد منها لكل

مؤمن تقي، وعارف وفي، بل وحتى لكل كيس عاقل، ومتعلم عامل..

كما أنه بمقدار استغناء أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام عن الناس ، كل الناس . . ـ نعم . . بهذا المقدار إن لم يكن بأزيد منه ـ كانت حاجة الناس إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، وافتقارهم إلى النهل من معينه الذي لا ينضب ، وإلى التأسي والاقتداء به ، وهو الأمثولة التي لا تجارى ، وإلى الاقتباس من نوره ، وهو الشعلة التي لا تخبو . .

الظلم المزدوج :

ولكن الحقيقة هي : أن نهج البلاغة قد ظلم في علي عليه الصلاة والسلام . . تماماً كما ظلم علي عليه السلام في نهج البلاغة . . فأما ظلم نهج البلاغة في علي عليه السلام ؛ فلأن أعداء علي عليه السلام ، والحاقدين عليه ، قد طعنوا في هذا الكتاب وأثاروا الشبهات حوله ، سعياً في إبطال آثار أمير المؤمنين عليه السلام ، والتعتيم على مناقبه الجليلة ، وآثاره الفريدة والنبيلة .

هذا . . عدا عن أنهم أرادوا التمويه والتشويه في حقيقة موقفه صلوات الله وسلامه عليه من كثير من القضايا ، التي صرح في نهج البلاغة ، وفي غيره بما يخالف هوى نفوسهم فيها ، وبما ينافي ما يعتقدونه ، أو ما بنوا عليه أفكارهم وعقائدهم ، ولا سيما فيما يتعلق بموقفه من الخلفاء ، الذين تسلموا أزمة الأمور قبله، وبالأخص ما جاء في الخطبة الموسومة بالشقشقية، التي ربما يكون فيها من شيء القسوة والمرارة ، الأمر الذي دعاهم لأن ينكروا هذا الكتاب وغيره من مواقفه وآثاره عليه السلام من الأساس ؛ ظناً منهم : أن ذلك سوف ينهي بشكل أو بآخر أمر ذلك الذي رأوا فيه مصدراً لمتاعبهم ، ومناقضة لأفكارهم وعقائدهم ، أو فقل هكذا خيل لهم .

وقد يكون الكثيرون منهم إنما يفعلون ذلك بحسن نية ، وسلامة طوية ؛ وذلك لأن اعتقادهم بأنه عليه السلام يذهب إلى نفس رأيهم في الخلافة والإمامة

بعد رسول الله (ص)، وفيمن تصدى لها قبله (ع)، وفي غير ذلك من أمور ـ إن اعتقادهم بذلك ـ قد جعلهم يقتنعون ـ ومن دون أي تبين أو تحقيق ـ بافتئات ذلك عليه ، وعدم صحة نسبته إليه عليه السلام . .

ولا نريد أن نفيض في الرد على هؤلاء وأولئك ، ولا أن نسهب القول في إثبات صحة نسبة ما في نهج البلاغة إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فقد كفانا العلماء الأبرار ، والمحققون المنصفون الأخيار مؤنة ذلك ، حيث قد أثبتوا بالأدلة القاطعة ، والبراهين الساطعة : أن النهج لا يمكن أن يكون من إنشاء الرضي ، ولا من إنشاء غيره عدا أمير المؤمنين عليه السلام ، وأثبتوا أن مضامينه ونصوصه موجودة في عشرات بل في مئات المصادر التي ألفت قبل عهد الشريف الرضي بزمان ، أو ألفت بعده . . لكنها لم تعتمد على كتاب الرضي فيما أوردته من نصوص . إلى غير ذلك من الدلائل والشواهد القاطعة فيما يرتبط بذلك . .

وأما ظلم علي عليه السلام في نهج البلاغة . . فقد كان من الأعداء والحاقدين ـ على النحو الذي قدمناه آنفاً ـ ومن الأصدقاء والمحبين أيضاً ، على حد سواء ، وما ذلك إلا لأن هذا الكتاب لم ينل بعد من الأصدقاء والمحبين ما يستحقه من عناية واهتمام ، ولا نظروا إليه تلك النظرة الشمولية والواعية ، التي تمنحهم القدرة على استخراج كوامنه ، والاستفادة من كنوزه وجواهره . .

كلام علي عليه السلام :

وإذا كان الإمام أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام هو القرآن الناطق ، وهو ذلك التعبير الصادق ، والتجسيد الحي للإسلام ، كل الإسلام . . حيث إن الإسلام قد ذاب في علي عليه السلام ، كما ذاب علي عليه السلام في الإسلام . . فكان الإسلام في سلوكه ومواقفه ، والإسلام في فكره ووجدانه ، والإسلام في كلماته وتوجيهاته .

وكذلك . . إذا كان الإسلام هو ذلك الكل المترابط الذي لا يتبعض ولا يتجزأ . . وإذا كان لا يقبل من أحد أن يؤمن ببعض الكتاب ، ويكفر ببعض ،

بل هو يصدق بعضه بعضاً ، ويفسر بعضه بعضاً . .

إذا كان كذلك . . فإن فهم فكر ، ومواقف ، وسلوك وعواطف ، وكلام وتوجيهات علي عليه السلام يحتاج إلى استيعاب وشمولية في الإطلاع على ذلك كله ، وكذلك إلى عمق في التفكير ، ودقة في الملاحظة ، وسلامة في المقارنة والربط بين ذلك كله . . حتى بالنسبة لما ربما يبدو للوهلة الأولى سهلاً ، وواضحاً ، وحتى بديهياً أيضاً . . ولكنه بعد التأمل والتدقيق ، وملاحظة مدى ارتباطه بغيره يعلم : أنه ليس بتلك السهولة ، ولا هو بذلك الوضوح .

بين اختيارات الرضي . . واختيارات غيره :

ولعل أول من صنف في كلام أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام هو أصحابه الميامين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، مثل زيد بن وهب الجهني ، الذي أدرك الجاهلية والإسلام ، الذي له كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر في الجمعة والأعياد وغيرها[1] ؛ كما أن لعبد الله بن الحر الجعفي كتاباً عن علي عليه السلام[2] ؛ ومنهم أيضاً الحارث الأعور الهمداني رحمه الله ؛ فقد روى الكليني والصدوق : أن أمير المؤمنين عليه السلام خطب مرة خطبة بليغة ؛ فقال أبو اسحاق السبعي للحارث الأعور : « أو ما حفظتها ؟ قال : قد كتبتها ، فأملاها علينا الحارث من كتابه »[3] .

وغير هؤلاء ممن جاء بعدهم كثيرون وكثيرون جداً ، كما يعلم من مراجعة كتاب مصادر نهج البلاغة (ج ـ ١) ، و « يادنامه كنگرهٔ هزارهٔ نهج البلاغة » مقال العطاردي (فارسي) ، وغير ذلك . .

وإنه وإن كان الكثيرون قد سبقوا الشريف الرضي (رض) إلى جمع كلام أمير المؤمنين عليه السلام وخطبه ومواعظه ، إلا أن أفضل ما وصل إلينا منها ،

---

(١) الفهرست للشيخ الطوسي ص ١٤٨ ومصادر نهج البلاغة ص ٥١ .
(٢) رجال النجاشي ص ٧ .
(٣) الكافي ط . الإسلامية ج ١ ص ١٠٩ وبهج الصباغة ج ١ ص ٥ . عنه وعن الصدوق ، وراجع أيضاً سفينة البحار ج ١ ص ٣٩٢ .

وأكثرها نفعاً واتقاناً ، وأعظمها بركة كان كتاب الرضي (رض) هذا .

ولعل امتياز هذا الكتاب يكمن في أنه عدا عن أنه من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، وحسبه ذلك عظمة وسمواً وخلوداً ، قد اختاره الشريف الرضي على أنه يمتاز ـ بنظره ـ بصفة كونه في أرقى درجات الفصاحة والبلاغة ، وحسن السبك ، وجمال الأداء ، مع كونه جامعاً لمختلف ضروب الحكمة ، وسائر فنون الكلم ، وكافة روائع الأدب ، هذا عدا عن أن جامعه هو علم من الأعلام ، وغرة زاهرة في جبين الأيام ، معروف بالعلم والأدب والفضيلة ، مع كرم وإباء ، وعزة وسناء ، ووفاء وإخاء .

شروح نهج البلاغة :

ولقد أدرك العلماء والباحثون ـ نسبياً ـ مكانة وأهمية نهج البلاغة ، فشمروا عن سواعد الجد ، للكشف عن مراميه ، وشرح معانيه ، وقد ظهر له من الشروح حتى الآن ما يعد بالعشرات . . وقد بدأ ذلك من عصر الرضي نفسه ، حيث كتب معاصره السيد علي بن ناصر ، شرحاً لهذا الكتاب ، وشرحه أيضاً القاضي عبد الجبار والموبري وهما من أعلام القرن الخامس ثم توالت الشروح له ، وتتابعت ، فشرحه البيهقي الشهير بفريد خراسان ، والراوندي والكيدري . والفخر الرازي ، وابن أبي طي ، وابن أبي الحديد المعتزلي الحنفي ، وابن طاووس وابن الساعي ، وابن ميثم البحراني ، والصغاني العمري الحنفي[1] وغيرهم كثيرون . .

إلا أن ملاحظة ما انتهى إلينا من هذه الشروح ، يعطي : أنهم عموماً يعتمدون طريقة التفسير التجزيئي . وإن كان بعضهم يكتفي بشرح كلماته لغوياً ، وآخر يهتم بإبراز الجانب التاريخي أكثر من سائر الجوانب ، كما هو الحال بالنسبة لابن أبي الحديد المعتزلي الحنفي ، وثالث : يطغى على شرحه طابع

---

(١) راجع في ذلك كله كتاب : مصادر نهج البلاغة ج ١ من ص ٢٠٢ حتى ص ٢٢٦ . وذكر أثناء ذلك ، وبعده شروحاً كثيرة أخرى زادت على المئة . .

خاص فرضته عليه طبيعة تكوينه الثقافي والفكري ، كالناحية الفلسفية ـ كابن ميثم ـ.

أما التستري ، فيقول عن نفسه : « فرأيت أن أكتب بعون الله تعالى شرحاً جامعاً فيه من التاريخ ، والأدب والأخبار القوية ، والأخبار التي تكون حجة بقدر الحاجة الخ »[1] إلى غير ذلك من نواح فكرية وعقائدية ، وأدبية وغيرها ، تركت بصماتها ظاهرة على ما ظهر لهذا الكتاب من شروح .

وأما عن البحوث التي كتبت ، وتكتب حول نهج البلاغة وموضوعاته ، فهي تعتمد في أكثرها ـ فيما أعلم ـ أسلوب الملاحظة العامة المبني على بعض المقارنات . والمرتكز بالدرجة الأولى على الأجواء والمنطلقات ، والأفكار والرواسب التي يحملها ذلك الباحث نفسه من دون التفات إلى حقيقة فهم الإمام علي عليه السلام نفسه للقضية ، ومنطلقاته في التفكير فيها ، ونوعية تفاعله معها ، وكيفية وأسلوب معالجته لها .

فهي تفتقر إلى المزيد من التحري والدقة ، وإلى المزيد من العمق في فهم حقيقة ما يرمي إليه عليه السلام ، وإلى التعامل مع النص من نفس منطلقاته عليه السلام ، وبنفس أسلوب معالجته .

هذا كله . . إلى جانب : أن الكثيرين من الباحثين يكررون الكثير من الأفكار والأبحاث ، ولا يأخذون بمبدأ توفير الوقت والجهد ، وعدم الحاجة إلى تكرار التجربة ، وهدر الطاقات . .

ولعل من المفيد في هذا المجال : أن يزوَّد الباحثون الذين يطلب منهم تقديم دراسة في ، أو عن نهج البلاغة ـ يزودُّون ـ بما كتبه الآخرون ، وتوصل إليه العلماء والباحثون .

أضف إلى ذلك : أن من الضروري التوجه لإبراز كافة جوانب نهج البلاغة ، ولا سيما ما كان منها أسلوباً وحركة ، وحياةً ، وموقفاً . . حتى وإن

---

(١) بهج الصباغة ج ١ ص ٨ .

كان ذلك على شكل بحوث جزئية ومتناثرة في البداية ، لتكون النواة والبداية للنظرة الشمولية الواعية والمتكاملة . .

الشريف الرضي ونهج البلاغة ؛

هذا ولا بأس بالإشارة هنا إلى الأمور التالية :

ألف : إن الشريف الرضي قد اهتم في اختياراته لخطبه وكتبه وكلماته عليه السلام بالجانب البلاغي ، فاختار من ذلك ما يدخل في هذا السياق ، وما رآه واضح النهج والأسلوب ، تام الظهور والدلالة في الناحية المشار إليها . . وأهمل ذكر الأسانيد التي اعتمد عليها ، إما لشهرة ذلك عنه عليه السلام ، أو لكونه موجوداً في الكتب والمصادر المتداولة في زمنه رحمه الله تعالى بشكل مكثف . وإن كان الكثير من تلك المصادر لم يصل إلينا حتى الآن ، بسبب طول المدة ، وتوالي عوادي الزمن .

هذا : ولكن بعد أن ظهرت بعض الشبهات والتشكيكات من بعض المتعصبين والحاقدين ـ وليس ذلك بالأمر العجيب ، فقد حاول المشركون من قبل والمستشرقون وتلامذتهم من السطحيين الحاقدين من بعد التشكيك حتى بالقرآن ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـ بعد أن ظهرت هذه التشكيكات ـ قام عدد من العلماء والباحثين بتحري المصادر التي أوردت نفس النصوص الموجودة في نهج البلاغة . .

حسبما أشرنا إليه فيما سبق ـ بعد ذلك كله ـ فإننا نجد : أن ما جاء منها في هذه المصادر يختلف جزئياً عما جاء في نهج البلاغة ؛ وذلك بسبب أن الشريف الرضي قد اعتمد فيما نقله على مصادر أخرى غيرها على ما يظهر ، فلا بأس بالمقابلة والمقارنة بين النصوص ، والتحقيق قدر الإمكان فيها .

باء : وإننا في نفس الوقت الذي نشكر فيه لهؤلاء العلماء جهودهم الكريمة في الدفاع عن نهج البلاغة ، وحشدهم الكثير من الأدلة القاطعة ، والبراهين الساطعة ، التي تؤكد على أنه لا مجال لأي من تلك الشبهات التي أثيرت حول

هذا الكتاب . . إلا أننا لا بد وأن نعبر عن مزيد أسفنا حين نجد : أنهم قد اكتفوا بذكر المصدر ، ورقم الجزء والصفحة ، مع بعض الإيضاحات ، التي لا ترتبط بالتوثيق السندي ، بل ومن دون أن يتعرضوا لذكر الأسانيد أصلاً . . فضلاً عن أن يهتموا أو يلتفتوا إلى مناقشتها ، وتوثيق ما أمكن توثيقه منها .

وطبيعي أن هذه المناقشة وذلك التوثيق ـ لو كان ـ فإنه يساعد كثيراً على تقوية النصوص الأخرى ، التي يمكن بمساعدتها رفع مستوى الإطمئنان فيما يرتبط بدلالة ومرامي ذلك النص الصحيح نفسه ، والذي ربما ، بل كثيراً ما يكون منقولاً بالمعنى ، أو قد تعرض لشيء من التصحيف أو التحريف في العصور المتمادية .

جيم : إن المراجع للنسخ المختلفة لنهج البلاغة ، سواء المطبوع منها أو المخطوط ، يجد الكثير من التفاوت والاختلاف فيما بينها ، وذلك يرجع إلى :

أن الظاهر من بعض الدلائل والشواهد ، هو أن الشريف الرضي رحمه الله تعالى قد جمع هذا الكتاب أولاً . . ثم كان يزيد وينقص ، ويغير ويبدل فيه باستمرار . . حيث إنه أيضاً كان يعمل باستمرار على اقتناص الشارد ، واستلحاق الوارد ، كلما سنحت له فريدة من الفرائد ، أو لاحت له آبدة من الأوابد . وكانت هذه النسخ المختلفة والمتفاوتة تنتشر في عهده ويتداولها الناس . .

هذا كله . . بالإضافة إلى خلط بعض الحواشي بالمتن من قبل النساخ في بعض الموارد . ولأجل ذلك ولغيره من أمور لا مجال لذكرها الآن . . فإن الحاجة تمس كثيراً للتحقيق حول نسخ النهج ، المطبوع منها والمخطوط على حد سواء ، ومقابلتها مع بعضها البعض ، مع تبيين موارد هذه الإختلافات بدقة وأمانة ، وبيان تلك الموارد ، التي وقع فيها التصحيف أو التحريف ، أو خلط فيها بعض الحواشي بالمتن نتيجة لتعدد استنساخ الكتاب في الأزمنة المتمادية ، أو لغير ذلك . .

دال : إن الشريف الرضي رحمه الله تعالى قد ركز في اختياراته على ما رآه

منسجماً مع هدفه الذي يرمي إليه . وهو ما كان واضح النهج والأسلوب ، تام الظهور في تلك الناحية التي أراد ، وهي « الفصاحة ، والبلاغة » فكان أن أختار من خطبة عليه السلام، ومن كتبه، وكلماته ، خصوص الفقرات التي تدخل في هذا السياق ؛ فأوجب ذلك أن لا يتمكن الباحث من الإطلاع على تمام مراداته ومراميه عليه السلام ؛ فتمس الحاجة إلى اتخاذ طريقة يعرض فيها النص الكامل لكلامه عليه السلام ، مع إعطاء لمحة ، مهما كانت خاطفة وموجزة عن بعض الظروف التي أحاطت بالنص إبان صدوره ، سواء في ذلك الظروف السياسية ، أو الثقافية ، أو الإجتماعية ، أو النفسية والعاطفية ، أو غيرها . .

هاء : إننا نجد أن ما يكتب حول نهج البلاغة يختص في معظمه بفئات معينة من ذوي الاختصاصات العالية عموماً . . حتى لقد أصبح نهج البلاغة الذي خاطب به أمير المؤمنين عليه السلام الناس كل الناس : كبيرهم وصغيرهم ، عالمهم وجاهلهم ، ويعالج به قضاياهم ، ويعيش من خلاله مشاكلهم ـ أصبح ـ لفريق بعينه ، ولا يعالج إلا أموراً نظرية عالية ، وقضايا فكرية خاصة ، لا تهم إلا أهلها ، ولا يستفيد منها عامة الناس .

فتمس الحاجة لمزيد من الاهتمام بتبسيط هذا الكتاب على مراحل يمكن معها لـلنشء الصاعد ولغيره من المستويات ، الإستفادة منه على النحو الأكمل والأفضل ، مع لزوم مراعاة الأهم فالأهم في مجال عرض الموضوعات التي تمس إليها الحاجة ، وتقضي بها الضرورة .

واو: إننا نجد أن الباحثين لم يهتموا كثيراً كذلك بإعداد الفهارس الفنية لهذا الكتاب وموضوعاته ، والتي من شأنها أن تسهل على القارىء والباحث الإستفادة منه بالشكل المناسب والمطلوب .

هذا الكتاب :

أما هذا الكتاب ، الذي بين يدي القارىء الكريم ، والذي هو من تأليف سماحة آية الله المشكيني ، الذي هو علم فذ ، من أعلام الإسلام ، والثورة

الإسلامية في إيران الإسلام ـ أما هذا الكتاب ـ فهو محاولة جديرة بالاحترام وبالتقدير ، حيث إنها جاءت جديدة وجليلة ، تعنى بتسهيل الإستفادة من نهج البلاغة ، أعظم كتاب بعد القرآن الكريم ، وتحمل في طياتها التنبيه ـ تلويحاً ـ على ما يحويه هذا الكتاب من طروحات جامعة ومستوعبة لمختلف شؤون الحياة ؛ حيث أخذ على عاتقه مهمة تبويب هذا السفر الجليل على أساس ما جاء فيه من موضوعات ؛ فيجمع النصوص التي تشير إلى موضوع واحد ، في صعيد واحد ، متوخياً التركيز على الموضوعات الكلية البارزة ، التي رأى فيها المؤلف مناسبة وخصوصية من نوع ما . وإن كان البحث العميق لربما يشير إلى خصوصيات أخرى هامةٍ أيضاً ؛ فإن ما كان من هذا القبيل إنما يوكل إلى مناسبته عادة ، ولا مجال لتحمل أعباء البحث عنه والالتزام بتقصي موارده في عمل يخضع لقيوده الخاصة ، ولمنهجيته المحددة والملتزمة ، التي تفرض نفسها على الكتاب وعلى الكاتب بصورة عامة . .

خطوة رائدة :

وأخيراً . . فإن « بنيـاد » ، أو فقل : « مؤسسة نهج البلاغة » قد كانت في مضمونها هي تلك الخطوة الرائدة والفذة على طريق العمل الجاد والدائب ، من أجل الإستفادة على النحو الأكمل والأشمل من فكر وطروحات الإمام أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام . . ولعلها توفق للإجابة على جل ، إن لم يكن كل التساؤلات والتوقعات منها ، في نشاطاتها المستقبلية في هذا المجال ، إن شاء الله تعالى .

والله هو الموفق ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

(والحمد لله رب العالمين)

مصادر البحث

١ ـ بهج الصباغة .... للتستري

٢ ـ رجال النجاشي ....

٣ ـ سفينة البحار .... للقمي

٤ ـ الفهرست .... للنجاشي

٥ ـ الكافي .... للكليني

٦ ـ مصادر نهج البلاغة .... للخطيب



بسم الله الرحمن الرحيم

الوحدة الإسلامية أسسها ومنطلقاتها

كتب هذا البحث ليكون مقدمة لكتاب ألفه سماحة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي الأحمدي حفظه الله أسماه تبرك الصحابة والتابعين بآثار الأنبياء والصالحين، ونحن نورده هنا أيضاً رجاء أن ينفع الله به ، إنه ولي التوفيق

٢٣/ جمادي الأول/ ١٤٠٤ هـ . ق

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين ، واللعنة على أعدائهم أجمعين ، من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين .

بداية :

قال الله تعالى في كتابه المجيد : ﴿ إن هذه امتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون ﴾[1] .

وقال تعالى: ﴿ إن هذه امتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاتقون ﴾[2].

ومن البديهي : أن الله سبحانه يريد للإسلام أن يحكم العالم ، ويهيمن على كل سلوك ومواقف البشرية جمعاء ، بهديه وتعاليمه المعمقة للإيمان ، والمثمرة للعمل الصالح ، ولا يختص ذلك بأمة دون أمة ، ولا يقتصر على جيل دون جيل ، قال تعالى : « وما أرسلناك إلا كافة للناس ، بشيراً ونذيراً ﴾[3] . فالإسلام يريد وحدة الأمة ، ووحدة الهدف ، ووحدة المصير ، وعلى أساس ذلك

---

(١) سورة الأنبياء ٩٢ .

(٢) سورة المؤمنون ٥٢.

(٣) سورة سبأ ٢٨ .

تقوم وحدة الرسالة والدعوة . ولكن ما هو الرابط الذي يشد الأمة بعضها ببعض ، ثم يربطها بما سبق ويأتي . . وعلى أي أساس يقوم ذلك الربط بنظر الإسلام . .

نعم . . لا بد من طرح هذا السؤال أولاً ثم الإجابة عنه بوعي وموضوعية وعمق . إذ أن الإجابة عليه هي التي تحدد اتجاه العمل ، وبها تنضبط كل المواقف والحركات الهادفة ، من خلال الإحساس بالمسؤولية الشرعية ، والإنسانية ، والوجدانية ، حيث تتوجه الطاقات كلها نحو تركيز تلك الأسس ، وتحقيق هاتيك المنطلقات التي لا بد وأن تقوم عليها عملية الربط الضرورية التي تحدثنا عنها . .

وفي مجال المساهمة في التعرف على ما ذكر ، فإننا نشير إلى ما يمكن أن نعتبره يمثل رأي الإسلام في هذا المجال ، بقدر ما تسمح لنا به الفرصة في عجالة كهذه . . فنقول :

الأخوة مسؤولية :

إننا إذا رجعنا إلى القرآن الكريم ، ثم إلى سنة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، فلسوف نجد : أن الإسلام يعتبر الأمة المؤمنة المسلمة بمثابة أسرة واحدة ، لها قيم ومرب واحد ، يشرف على شؤونها ، ويدبر أمورها ، وهو النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم وصيه عليه الصلاة والسلام ، وقد روى عنه (ص) قوله : أنا وعلي أبوا هذه الأمة[1] . وبهذا المعنى أيضاً روايات كثيرة فلتراجع في مظانها[2] .

أما ما يشد هذه الأسرة بعضها إلى بعض ، فهو روح الأخوة النبيلة ، التي ليس فقط يغمرها العطف والمحبة والحنان ، وإنما هي أخوة مسؤولـة ، تتحمل

---

(١) تفسير البرهان ج ١ ص ٣٦٩ عن الفائق للزمخشري وعن ابن شهر أشوب وتفسير الميزان ج ٤/٣٥٧ عنه وعن العياشي ، والبحار ج ١٦ ص ٩٥ وج ٤٠ ص ٤٥ ومعاني الاخبار ص ٥٢ وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٨٥ وعلل الشرائع ص ١٢٧ وراجع لسان الميزان ج ٢ ص ٤٠ .

(٢) راجع هذه المصادر في : موقع ولاية الفقيه من نظرية الحكم في الإسلام ص ٣٣ .

مسؤولياتها بوعي ، وحيوية ، وعمق ، وتؤثر آثارها الإيجـابية عـلى الصعيد العملي ، والواقع الخارجي ، كما قال سبحانه : ﴿ إنما المؤمنون أخوة ﴾ ثم فرع على ذلك قوله : ﴿ فاصلحوا بين أخويكم ﴾[1] .

وفي موضع آخر نجده تعالى بعد أن قرر القاعدة الأساسية : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم من بعض ﴾ نجده قد فرع على ذلك ـ قوله : ﴿ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾[2] .

وعن الصادق عليه السلام : « إنما المؤمنون أخوة بنو أب وأم ، وإذا ضرب على رجل منهم عرق سهر له الآخرون »[3] .

وعنه عليه السلام : « المؤمن أخو المؤمن ، كالجسد الواحد ، إذا اشتكى شيئاً منه وجد ألم ذلك في سائر جسده »[4] .

وعنه عليه السلام : « المؤمن أخو المؤمن : عينه ، ودليله ، لا يخونه ، ولا يظلمه ، ولا يغشه ، ولا يعده ؛ فيخلفه »[5] .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم : « من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم »[6] . وبمعناه غيره .

والروايات التي تدخل في هذا المجال كثيرة ، لا مجال لتتبعها وحصرها . .

مرتكزات الأخوة المسؤولة :

وبعد كل ما تقدم . . وبعد أن تأكد لدينا عالمية الإسلام ، وأنه يسعى لإيجاد وحدة حقيقية ، تقوم على أساس الأخوة المسؤولة والواعية . . فإننا إذا

---

(١) سورة الحجرات ١٠ .
(٢) سورة التوبة ٧١ .
(٣) الكافي ج ٢ ص ١٣٢ ط سنة ١٣٨٨ هـ .
(٤) المصدر السابق ، وراجع : صحيح مسلم ج ٨ ص ٢٠ ومسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٢٧٠ .
(٥) الكافي ج ٢ ص ١٣٢ ط سنة ١٣٨٨ هـ .
(٦) المصدر السابق ص ١٣١ .

راجعنا التاريخ الإسلامي ، فلسوف نجد أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حينما آخى بين المسلمين في المدينة قد جعل تلك الأخوة مرتكزة على أمرين اثنين . .

الأول : الحق .

الثاني : المواساة .

فعن طريق الحق يحصل التفاهم ، ثم الرضا ، ثم الثقة المتبادلة ، ويكون - من ثم - هو الفيصل في كل مقام تختلف فيه الاهواء والمصالح . .

فالحق هو الأساس الذي تقوم عليه العلاقات ، وتبنى عليه المعاملات والمواقف ، وليس هو المصالح الشخصية ، ولا الأهواء ولا الميول ، ولا الانفعالات العاطفية ، ولا هو المصالح القبلية ، أو الاقليمية ، أو الفئوية ، أو غيرها . .

وإذا جاء الحق عن طريق الإحساس بالمسؤولية الشرعية والإنسانية ، وعن طريق الأخوة والمحبة والحنان ، فإن ذلك أضمن لبقائه واستمراره فإن الإنسان بطبيعته يخضع للحق إذا جاء عن هذا الطريق بخلاف ما لو جاء عن طريق القهر والتحدي والقوة ، والتلويح بالعصا ، فإن علينا أن ننتظر غياب الحق بمجرد غياب تلك العصا ، وهاتيك القوة .

وعن طريق المواساة التي هي في الحقيقة درجة أعلى من العدل ، لأنها تعني في أحيان كثيرة البذل والتضحية في سبيل الآخرين والتخلي عن كثير مما اكتسبه لشخصه عن طريق العدل ، الذي يرجع في الحقيقة إلى الحق . .

نعم - عن طريق المواساة - تستطيع الأمة المؤمنة مواجهة الظروف الطارئة ، والتقليل من آثارها السلبية عليها . وكذلك مواجهة جميع اشكال الضغوط التي يمكن أن يمارسها أعداؤها أعداء الله والإنسانية ضدها من أجل القضاء عليها أو على الطاقة الإيمانية فيها : من سياسية واقتصادية ، وعسكرية وغيرها . .

بين الوحدة والاتحاد :

وإذا كانت الوحدة الحقيقية التي يريدها الإسلام هي تلك التي تقوم على أساس الأخوة التي ترتكز على الحق ، والمواساة ، وهما عنصران واقعيان يضمنان بقاءها واستمرارها ، رغم كل ما يمكن أن يعترض مسيرة التكامل الإنساني فيها من مشاكل ، وعقبات . .

وإذا كانت هذه الوحدة تحتاج إلى بذل الكثير من الجهد للوصول بالأمة إلى درجة من النضج الفكري والإنساني ، ربما لا يكون متوفراً في أحيان كثيرة حتى. إن عدم وجود هذه الوحدة يعتبر دليلاً على عدم النضج في الوعي وفي الالتزام لدى الأمة المسلمة ـ إذا كان كذلك ، فتمس الحاجة مرحلياً ـ إلى تعامل وحدوى من أجل دفع الأخطار التي يمكن أن تتعرض لها الأمة في مسيرتها سواء كانت أخطاراً طبيعية ، أو من قبل أعدائها ، أعداء الله والإنسانية . .

وذلك لأن خطراً كهذا لا يتخير طائفة دون طائفة ، ولا يختص بفريق دون فريق ، وهذا يعني أن مسؤولية التصدي له لا تختص كذلك بفريق دون آخر ، ولا بطائفة دون أخرى . . فإن وحدة المصير تحتم وحدة النضال والتصدي ، وإذا استندت وحدة النضال والتصدي إلى وحدة المنطلقات والأهداف ، فإنها تكون أعظم فعالية ، وأبعد أثراً . . وإلا . . فإنها لا تعدو عن أن تكون عملاً مرحلياً ـ يسير معه جنباً إلى جنب ـ العمل على توحيد المنطلقات والأهداف على الأسس الصحيحة والواقعية ، التي لا بد وأن يتم التعرف عليها من مصادرها الحقيقية ، ثم العمل في سبيل تحقيقها والحصول عليها بوعي ، وجدية ، ومثابرة . .

فهذا الاتحاد ، أو فقل هذا التعامل الوحدوي مطلوب إسلامياً ، ومحبوب ، بمختلف أبعاده ودرجاته ، وعلى جميع المستويات ، ولكنه ليس هو كل المطلوب ، وإنما هو بديل اضطراري موقت ، لا بد من القبول والرضا به ، بانتظار تحقيق الوحدة الحقيقية على أسسها الإسلامية ، والإنسانية الواقعية . .

نعم . . لا بد من القبول بهذا البديل الاضطراري ، الذي هو مطلوب ومحبوب إسلامياً أيضاً ، إذ لا يمكن ترك الخطر يجتاح الأمة الإسلامية ، ويلتهم

كل مقدراتها، ويستأصل شأفة الإسلام والمسلمين ـ بانتظار تحقيق الوحدة الحقيقية ، بل لا بد من التحرك في المجالين معاً ، لأن أحدهما ضرورة مرحلية فعلية ، فرضتها الأخطار الجسام التي يتعرض لها الإسلام والمسلمون . بالفعل . والآخر ضرورة إنسانية ومصيرية ، ربما تحتاج إلى كثير من الوقت والجهد ، والبحث والتمحيص للحقائق العلمية ، ثم إلى تربية نفسية لخلق درجة من الاستعداد النفسي والسمو الإنساني لتحقيقها . .

الحق . . والناس :

وواضح . . أن الحق واحد ، وواحد فقط ، لا يمكن أن يتغير ، أو يتبدل إلا إذا تغيرت الظروف والأحوال ، التي لا بد وأن تبرر وجود حق آخر ينسجم مع واقع المتغيرات والظروف الموضوعية الطارئة ، أما الباطل . . فليس إلا تعبيراً آخر عن العدم والفساد ، والنقص في تجلي الحق وحضوره ، ولا أثر له إلا ذلك في الواقع ، على المدى القريب والبعيد على حد سواء . . وإذا كان كذلك . . فإنه لا بد من السعي لاحقاق الحق ، لأنه خير وسعادة وحياة ، وإبطال الباطل ، لأنه شر وفساد وممات . .

ولا يختص إدراك هذه الحقيقة بأحد دون أحد ، ولا بفريق دون آخر . . وإن كان الناس يختلفون في تعيين ما هو حق وما هو باطل ، وذلك تبعاً لاختلافهم في النظرة إلى الكون وإلى الحياة ، الذي نشأ عنه اختلاف في المقاييس والمعايير التي لا بد من الاستفادة منها في مجال التعرف على كل منهما ؛ وليتحدد بالتالي موقف الرفض أو القبول على هذا الأساس .

بل إننا لا يجب أن نستغرب كثيراً إذا رأينا : أنه حتى أولئك الذين يملكون نظرة واحدة ، للكون وللحياة ويتفقون في تفسيرهم لأحواله ، ولظواهره ـ حتى هؤلاء ـ نجدهم يختلفون في كثير من آرائهم ، وأفكارهم ومعتقداتهم ؛ وذلك تبعاً لاختلاف درجة انكشاف واقع الظروف والأحوال المحيطة . . الأمر الذي يؤثر ـ بشكل أو بآخر ـ في ذلك الفكر ، أو في ذلك المفهوم ، وكذلك تبعاً للتفاوت الحاصل فيما بينهم في قوة الإدراك ، وفي التصرف في المدركات ، التي

يمكنهم ـ الحصول عليها وتمحيصها . . هذا كله . . عدا عن أن أسلوب العرض ، ربما يكون غير قادر على توفير الحد الأدنى من الاقناع ، لأن منطلقات الاقناع فيه لم تكن تعتمد على قواسم مشتركة ، كان لا بد من تمحيصها ، وحسم الأمر فيها مسبقاً . . إلى غير ذلك من أسباب يمكن أن تؤثر في ذلك بصورة أو بأخرى . .

بل وليس غريباً أيضاً: أن نجد البعض ينكشف له خطؤه في رأيه، أو في موقفه ـ ثم يصر عليه ، ولا يتراجع عنه ولا يخضع للحق الابلج ، والواضح المأخذ والمنهج .

وقد نتلمس له بعض العذر في ذلك ، إذا وجدناه يخضع في ذلك لتأثيرات عاطفية معينة ، أو واقع اجتماعي خاص ، أو حتى بسبب النقص في أسلوب إظهار الحق له ، وعرضه عليه . . ـ نعم إن كل ذلك واضح ، وليس بمستهجن ، ولا غريب ـ أما أن نجد البعض يقيم الدنيا ولا يقعدها ، ويرمي هؤلاء وأولئك ، ممن لا يتفقون معه في الرأي بشتى أنواع التهم والافتراءات ، وحتى بالزندقة والإلحاد والشرك أحياناً ، فذلك أمر غير طبيعي ، وغير مقبول على الاطلاق . .

وأعظم من ذلك : أن نجده يفعل ذلك ، وهو يعلم أنه هو المخطىء ، وهم ، هم المحقون . . فذلك هو الأمر الغريب والعجيب حقاً . .

نقول هذا ، على سبيل ضرب القاعدة ، وإعطاء الضابطة فقط . . وليس إلا . . ولا نريد التعريض بأحد ولا المس بعواطف أي كان . .

الاستعمار . . الحَكَم:

هذا . . ومن المضحك المبكي أن نجد المستعمر الكافر ينصب نفسه حكماً في المسائل الإسلامية : الاعتقادية منها والفقهية على حد سواءـ ، فيؤيد وجهة نظر فريق (هو الذي يتعامل معه) ضد الفريق الآخر ، حرصاً منه على زرع الفتنة في الأمة الإسلامية ، ومن أجل الحفاظ على تلك القواعد والمنطلقات الفكرية ، التي

سرّبـها الأعداء بصورة أو بأخرى إلى أذهان بعض المسلمـين ، لأنها تخدم مصالحهم ، وتمكن لهم من الحفاظ على الامتيازات التي جعلوها لأنفسهم ، وتساعدهم على تنفيذ خططهم الرامية إلى الاستمرار في تأزيم العلاقات فيما بين المسلمين أنفسهم ، حتى لا يمكنهم التفكير بأي مظهر من مظاهر الوحدة ، بل والاتحاد أيضاً . . بل هم يعملون على تجنيد الفريق الذي يتعامل معهم لمحاربة أي شكل من أشكال الوحدة أو الاتحاد في جميع أنحاء العالم ، والعمل على أن لا يمر ذلك بخيال أي إنسان على الاطلاق .

لو يعلم أولئك المخدوعون :

هذا . . وإن مما يؤلم حقاً : أن نجد بعض الذين يحكمون المسلمين باسم الإسلام يوادون من حاد الله ، ويسيرون في ركاب المستعمر الكافر . .وهم في نفس الوقت ينصبون العداء لأخوانهم من المسلمين ، ويحاربونهم بكل ما اوتوا من قوة وحول ، متذرعين بحجج واهية وأقاويل خاوية . . أبرزها : أن اخوانهم المسلمين لا يقبلون بوجهة نظرهم في بعض المسائل الفرعية ، أو في بعض التفصيلات العلمية في بعض المسائل الاعتقادية ، غير مكلفين أنفسهم عناء البحث في الحجج التي يستندون إليها ، ولا ملتمسين لهم أي عذر في ذلك على الاطلاق . . مع أنهم يمكلون من الحجج القوية على ما يذهبون إليه الشيء الكثير . . ومع أن مسألة الموادة للمستعمر الكافر تفوق في خطرها على الإسلام وعلى المسلمين كل خلاف مذهبي ، حتى كثيراً من الاعتقاديات ، فضلاً عن خلاف في مسألة فرعية ، لا خطر لها إطلاقاً بالقياس إلى ذلك الخطر الداهم .

حيث إن خلافاً كهذا لا يعدو أن يكون خلافاً بين المجتهدين في فهم الإسلام وهم لا يتحرون إلا الحق والواقع ، ورضا الله سبحانه ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً ، فإن أخطأوا فلهم أجر ، وإن أصابوا فلهم أجران . .

فلماذا لا يكون التعامل بهذه الروحية ، وعلى أساس من أخـلاقيات الإسلام السامية بعيداً عن نزوات الأهواء ، وفي منأى من تأثيرات العواطف غير

المتزنة ، ولا المسؤولة ؟! والتي يكون المستفيد الوحيد منها هو العدو المشترك المتمثل بقوى الكفر والاستكبار العالمي ؟!

مبادرات . . لا بد من استمرارها ؛

هذا . . ولقد بذل المخلصون من المفكرين والعلماء على مر العصور ، محاولات كثيرة للتقريب بين المسلمين ، وتفاهمهم وتقريب وجهات النظر فيما بينهم ، ونستطيع أن نذكر كمثال على ذلك في خصوص الآونة الأخيرة مبادرة آية الله العظمى السيد حسين البروجردي قدس الله نفسه الزكية إلى تأسيس دار التقريب، ثم فتوى الشيخ شلتوت بصحة التعبد بالمذهب الجعفري . . ولا بد من التخصيص بالذكر هنا جهود آية الله ، العلامة الكبير السيد عبد الحسين شرف الدين ، الذي ألف كتابه الهام : المراجعات ، وكذلك كتابه القيم : الفصول المهمة في تأليف الأمة ، وقد ذكر فيه الكثير الكثير مما يساعد على التقريب والتفاهم بين المسلمين ، فضلاً عن نبذة هامة جداً من أقوال أشهر أئمة المذاهب الاعتقادية والفقهية ، وجلة العلماء فيما يتعلق بالشيعة . والتعبد بمذهبهم .

أما . . وبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران . . فقد كانت الوحدة الإسلامية هي الشغل الشاغل لكل المسؤولين فيها . . ولعل أعظم الناس إصراراً على هذا الأمر ، وتأكيداً عليه هو إمام الأمة ، وقائد المستضعفين ، آية الله العظمى السيد الخميني العظيم مد الله في عمره الشريف . . وقد بذلت العديد من المحاولات في هذا السبيل ، وأعطت نتائج إيجابية وطيبة ، رغم المحاولات المستميتة من قبل أعداء الإسلام وأذنابهم في سبيل ضرب كل تحرك في هذا الاتجاه .

وعلى الصعيد الفكري . . فإن المحاولات كثيرة أيضاً ومتنوعة ومنها إقامة العديد من المؤتمرات ، وكتابة البحوث الكثيرة وغير ذلك ، ولا بأس بالتنويه هنا بعمل جيد وهام بادر إليه بعض الأخوة ، حيث قام بجمع الروايات المشتركة لدى أهل السنة والشيعة على حد سواء ، ونظمها وبوبها وذكر مصادرها . وينشر

ذلك على في شكل مقالات في مجلة « التوحيد » التي تصدر عن مؤسسة الأعلام الإسلامي في إيران .

وهذه المبادرة تظهر بما لا يدع مجالاً للشك : أن حوالي تسعين بالمئة من الروايات الفقهية التي عند السنة والشيعة تشترك فيما بينها ، إما لفظاً ، ومعنى ، أو معنى على الأقل . .

وما أروعها ـ لو أن العلماء بادروا إلى تشكيل لجان مشتركة لـدراسة الموضوعات المتفق عليها أولاً ، وتمييزها . . ثم دراسة المسائل الخلافية ، بروح علمية نبيلة ، تهدف إلى رضا الله سبحانه ، وخدمة الإنسان والإنسانية . . فعسى . . ولعل . . وما ذلك على الله بعزيز . .

ولعل أهم ما يحتاج إليه أمر كهذا . . هو الثقة المتبادلة ، والروح العلمية والرياضية المرنة ، والإحساس بالمسؤولية الشرعية والوجدانية . . والعواطف الإنسانية النبيلة . .

هذا الكتاب . . والوحدة الإسلامية :

وبعد كل ما تقدم . . فإن بيان الحقائق وتمحيصها ، وتهيئة المبررات الموضوعية لخلق القناعات الكافية وتوحيد النظرة والفكر والاعتقاد يعتبر من أعظم المساهمات في تحقيق الوحدة ، لأن ذلك من شأنه أن يساهم في إرساء قواعد الحق ، الذي هو أحد أهم عنصرين تقوم عليهما الأخوة ، التي أرادها الله منطلقاً للوحدة الحقيقية ، وضماناً لاستمراريتها . .

أما هذا الكتاب « التبرك ، تبرك الصحابة والتابعـين ، بآثـار الأنبياء والصالحين » فهو فريد في بابه ، فذ في موضوعه ، ويستطيع أن يساهم بشكل قوي في قضية الوحدة الإسلامية ، لأنه يتكفل ببيان الحق في مسألة طالما دار الجدل حولها وهو يعتمد البحث العلمي النزيه أساسـاً ومنطلقـاً في تقييمه للنصوص التي تدخل في إطار البحث الذي هو بصدده . . حيث أخذ على عاتقه معالجة موضوع التبرك بآثار الأنبياء والصالحين بموضوعية وتجرد وهدوء ، بعيداً

عن أي تأثر أو انفعال . .

وإن حجم ما يقدمه هذا الكتاب من مواد ، ومصادر لهذا البحث ـ وهو ضخم وهائل جداً ـ وإن كان ليس هو كل ما يمكن تقديمه في هذا المجال ليعبر عن مدى ما تحمله المؤلف من مشاق ، وما عاناه من جهد ، وما تحلى به من صبر وأناة فيي هذا السبيل . . فجزاه الله أحسن جزاء العاملين العاملين . ونفع الله المسلمين بما كتبه ويكتبه من بحوث ، وما يقدمه من خدمات جلى للحق والخير ، وللعلم والفضيلة . .

وإن هذا الكتاب إن دل على شيء ، فإنما يدل على إصرار هذه الثلة من العلماء المخلصين على تحقيق الوحدة الإسلامية الحقيقية ، وإقامتها على أسسها الموضوعية الصحيحة والقوية . .

كما أن هذه الكمية الهائلة من الشواهد والدلائل التي حشدها المؤلف في هذا الكتاب لتدل دلالة واضحة على أن مسألة التبرك بآثار الأنبياء ، والأولياء ، والصالحين ، تكاد تكون من ضروريات الإسلام الأولية ، التي لا مجال لأي شك أو شبهة فيها . . ولأجل ذلك نجد : أن معظم المسلمين قد تلقوها بالقبول ، ودافعوا عنها في قبال فئة قليلة دخلت الشبهة عليهم ، وسحرتهم بعض الشعارات البراقة التي أطلقها بعض علمائهم[1] ومنعتهم من التركيز في البحث ، ومن الدقة في مواقفهم ، وفي ردود فعلهم تجاه الآخرين . .

ونحن لا نريد أن نتهم أحداً ولا أن نسيء الظن بأحد في كونه يريد التقليل من أهمية ، وقدسية شخصية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما كانت سياسة الامويين من قبل ـ ، فإن جل هؤلاء إن لم يكن الكل إنما كان ينساق وراء تلك الشعارات بدافع إيماني صادق ، ومن منطلق الغيرة على الدين وأحكامه . .

وهذا بالذات هو ما أظهره عمر بن الخطاب ، حينما قطع الشجرة التي بايع المسلمون النبي عندها ، وكانوا يتبركون بها ، فلقد قال : أنه خشي أن تصير تلك

(١) هو ابن تيمية .

الشجرة معبوداً يعبد من دون الله سبحانه . . ولا يدل ذلك على أنه كان ـ دون كل الصحابة ـ يذهب إلى حرمة التبرك . لا سيما وأنه هو نفسه يتبرك بتقبيل الحجر الأسود ويتبرك بإحضار الإمام الحسن وعبد الله بن عباس في الشورى[1] ، ويتبرك أيضاً بتقبيل رجل النبي (ص) ورجل أبي عبيدة ، وغير ذلك كثير عنه ، مذكور في ثنايا هذا الكتاب عن جملة كبيرة من المصادر .

وحتى لو فرض أنه يرى ذلك ، فإن رأيه هذا لا يمكن أن يقدم على سنة سنّها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، وفعلها ، وجرى عليها العشرات بل المئات من الصحابة والتابعين . .

تمنيات مخلصة :

وبعد . . فإننا نأمل من هؤلاء ، ومن كل من يختلفون مع غيرهم في الرأي : أن يعطوا الفرصة للآخرين ، ليقولوا كلمتهم ، وأن يسمحوا لأنفسهم بالنظر في تلك الكلمة وتعقلها ، ومحاكمتها على أسس علمية صحيحة ، فإن وجدوا فيها ما يجدي وما يقنع أفسحوا لها المجال ، وإلا فما عليهم إلا أن يردوها بالأسلوب العلمي الهادىء والنزيه . .

ونأمل كذلك أن لا يتبعوا أسلوب فرض الرأي بالقوة والقهر ، فإن من أبسط نتائج ذلك هو أن يؤدي إلى التشبث الأعمى فيما يراد الردع عنه ، ولا يبقى مجال للمناقشة والحوار فضلاً عن أن ذلك يوجب ردود فعل عنيفة وغير مسؤولة ، تنشأ عن تشنجات عاطفية لا مبرر لاثارتها .

مع أن اللازم أولاً على أولئك الذين ينصبون أنفسهم حكاماً على آراء الآخرين ومعتقداتهم هو أن يفسحوا المجال لمحاكمة آرائهم ومعتقداتهم أنفسهم أولاً وتقييمها على أسس علمية ، موضوعية وسليمة . .

ويتأكد ذلك إذا كانت تلك الآراء والأفكار والمعتقدات موضوعة في قفص

(١) الإمامة السياسة ج ١ ص ٢٤ و ٢٥ .

الاتهام منذ نشأتها ، ويُشَك كثيراً في صحتها وسلامتها ، ويُبَرر ذلك الشك على أسس علمية وموضوعية صحيحة .

وأما أن يتبعوا أسلوب العربدة والتهويش ، ثم الترديد للشعارات نفسها ، مع عدم أخذ الردود العلمية القوية الكثيرة بنظر الاعتبار ، فذلك يكون أدل دليل على عجزهم وإفلاسهم على الصعيد العلمي ، وعدم قدرتهم على مواجهة المنطق بالمنطق ، والحجة بالحجة ، والبرهان بالبرهان . .

هذا . . وإنه إذا كانت تلك الردود العلمية عليهم صحيحة ، فلماذا العود لتكرار كلام ثبت عدم صحته منذ مئات السنين ، وإن كانت باطلة فلماذا لا يبين بطلانها للملاء بالإسلوب العلمي المقنع ، والهادىء ، والرصين ، لا بأساليب الشتم والسباب ، والاتهام الباطل والزائف ؟!

وإننا لعلى يقين من أنه إذا استطاع الأسلوب العلمي أن يفرض نفسه ، ويهيمن على جميع المواقف ، وما ينشأ عنها من ردود فعل . . فلسوف يكون من أبسط نتائجه هو أن لا نسمع من هؤلاء نفس الكلام ، ونفس الشعارات التي لا يزالون يرددونها منذ مئات السنين ، والتي أقام العلماء البراهين العلمية الكثيرة على زيفها وعدم إنسجامها مع الإسلام والقرآن ، وعلى مغايرتها لأحكام العقل والوجدان . .

وفقنا الله للسير على هدى الإسلام والقرآن . وأعاننا على أنفسنا وهدانا إلى صراطه المستقيم إنه ولي قدير ، وبالإجابة حري وجدير .

مصادر البحث

١ ـ القرآن الكريم ....

٢ ـ الإمامة والسياسة .... لابن قتيبة

٣ ـ البحار .... للعلامة المجلسي

٤ ـ البرهان (تفسير) .... للبحراني

٥ ـ صحيح مسلم .... لمسلم بن الحجاج

٦ ـ علل الشرايع .... للشيخ الصدوق

٧ ـ عيون أخبار الرضا (ع) .... للشيخ الصدوق

٨ ـ الكافي .... للكليني

٩ ـ لسان الميزان .... للعسقلاني

١٠ ـ المسند .... لأحمد بن حنبل

١١ ـ معاني الأخبار .... للصدوق

١٢ ـ موقع ولاية الفقيه .... لجعفر مرتضى

بسم الله الرحمن الرحيم

بحث حول سند عهد الأشتر

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله وعلى آله الطيبين الطاهرين .

وبعد . .

فإن عهد أمير المؤمنين عليه السلام للأشتر النخعي يعتبر من أهم الوثائق السياسية ، التي تعالج قضية الحكم والإدارة وشؤون الدولة . . وقد اعتنى به المحققون والباحثون ، وتناولوه بالشرح والتحليل وما فتئوا يذكرونه بالتعظيم والتجليل . .

ولكن الناحية الأهم والتي كان يفترض فيها أن تبحث قبل أي شيء هي ناحية ثبوت هذا العهد الشريف من ناحية السند ، وذلك من أجل التأكد من نسبة هذه الوثيقة الهامة جداً إلى سيد الوصيين ، صلوات الله عليه وعلى ابنائه الطيبين الطاهرين ، وهذا ما لم يحصل بالفعل ، ولكن عذر اولئك الباحثين كان واضحاً جلياً بعد أن كانت نفس مضامين هذا العهد واضحة وجلية ، من حيث أنه نسيج وحده ، لا يمكن لأي كان أن يأتي بمثله إلا إذا كان نفس أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين ، فهو يصل إلى حد الإعجاز أسلوباً ومضموناً على حد سواء ، وإن إلقاء نظرة واحدة عليه مهما كانت سريعة ، وعارضة لا تبقي مجالاً

للشك في أن هذا لا يمكن أن يصدر إلا من تلك الدوحة الباسقة، وذلك الفكر العملاق . . .

وإن كان البعض قد حاول التشكيك في هذا العهد ، على أساس أن الطبري قد ذكر في تاريخه[1] عهداً لطاهر بن الحسين كتبه إلى ابنه عبد الله حينما ولاه ديار ربيعة . . وهو يشبه في طوله وأسلوبه ومضمونه عهد الأشتر هذا مع ملاحظة : أنه لم يذكر عهد الأشتر هذا ولا أشار إليه فلو كان ثابتاً لديه لحسنت منه الإشارة إليه .

ـ إذا كان البعض قد حاول التشكيك على هذا النحو ـ فإنه ولا شك قد ارتكب خطأً فاضحاً ، وعالج وعانى وهماً واضحاً . . فإن عهد طاهر بن الحسين لولده يختلف عن عهد أمير المؤمنين عليه السلام للأشتر إختلافاً بيناً ، سواء في ألفاظه ومبانيه ، أو في أصوله ومعانيه .

ولو تمت هذه الشبهة لجرت على كل مأثور بعد القرن الثالث وكل من تفرد بحديث فقهي أو بخبر تاريخي عن الأوائل ، قيل له لو صح حديثك لرواه البخاري ومسلم ، أو لذكره الطبري والمسعودي[2] .

كما أن من الواضح إختلاف المستوى الأدبي والعلمي فيما بين العهدين ، فأين الثرى من الثريا ، وأين التراب من النضار .

ويمكن أن يكون طاهر قد ظفر بعهد الإمام عليه السلام واستفاد منه وصاغ بعض معانيه بأسلوبه الخاص . .

مصادر العهد

ومهما يكن من أمر ، فإن هذا العهد الشريف قد رواه أو أشار إليه غير واحد من العلماء والمحدثين والمؤرخين ، فقد أشار إليه النجاشي والشيخ الطوسي

(١) تاريخ الطبري ج ٧ ص ١٦٠ ـ ١٦٨ حوادث سنة ٢٠٦ .
(٢) راجع : مقدمة كتاب الراعي والرعية ص ٥ ـ ٩ كتب المقدمة : السيد هبة الدين الشهرستاني .

كما سيأتي . وورد نصه في نهج البلاغة ، قسم الكتب ، الكتاب رقم ٥٣ ، ومعادن الحكمة ج ١ ص ١٠٩ وتحف العقول ص ١٢٦ ودعائم الاسلام ج ١ ص ٣٥٠، والبحار ج ٨ ص ٦٠٩ ثم شرحه، وج ٧٧ ص ٢٤٠ عن النهج والتحف، ومستدرك الوسائل ج ٣ ص ١٩٥ وأضاف العلامة المحقق الأحمدي : أنه قد نقل بعضه في كنز العمال ج ١٥ ص ١٦٥/١٦٦ عن الدينوري، وإبن عساكر، ومآثر الأنافة ج ٣ ص ٦ عن صبح الأعشى، ومفتاح الأفكار.

وأشار إليه النجاشي في رجاله ص ٧ وذكر سنده وذكر سنده أيضاً الشيخ في الفهرست وسيأتي السندان معاً وقال في معجم رجال الحديث ج ٣ ص ٢٢٢ طريق الشيخ إلى عهد مالك الأشتر صحيح .

وذكره في نهج السعادة ج ٥ ص ٥٨ عن جمع ممن تقدم ، وقال : وروى قطعة منه مسنداً من تاريخ الشام ج ٣٨ ص ٨٧ وفي النسخة المرسلة ص ١٩٣ .

وذكر في خاتمة المستدرك ص ٢١٨ عن مجلة المقتطف ٤٢ ص ٢٤٨ : إنه نقله باختصار عن نسخة السلطان بايزيد الثاني . وفي دستور معالم الحكم ص ١٤٩ شواهد لهذا العهد ، وذكره في مصادر نهج البلاغة عن جمع ممن تقدم ، وعن نهاية الإرب للنويري ج ٦ ص ١٩ .

ثم ذكر في مصادر نهج البلاغة بعض من شرح هذا العهد ، مثل :
آداب الملوك لرفيع الدين التبريزي.
وأساس السياسة في تأسيس الرئاسة للكجوري الطهراني .
والتحفة السليمانية للبحراني .
والراعي والرعية لتوفيق الفكيكي .
والسياسة العلوية لآل مظفر (خطية) .
وشرح عهد أمير المؤمنين عليه السلام للمجلسي .
وشرح عهد أمير المؤمنين عليه السلام للمولى محمد باقر القزويني .
وشرح عهد أمير المؤمنين عليه السلام للميرزا حسن القزويني .
وشرح عهد أمير المؤمنين عليه السلام للميرزا محمد التنكابني .

وشرح عهد أمير المؤمنين عليه السلام للشيخ هادي القائيني البيرجندي .
وشرح الفاضل بدايع نكار المثبت في المآثر والآثار .
ونصايح الملوك لأبي الحسن العاملي .
ومقتبس السياسة وسياج الرئاسة للشيخ محمد عبده أنتزع من شرحه وطبع على حدة .
والقانون الأكبر في شرح عهد الأشتر للسيد مهدي السويج (مخطوط) .
ومع الإمام في عهده لمالك الأشتر للشيخ محمد باقر الناصري .

إنتهى كلام المحقق العلامة الأحمدي حفظه الله تعالى .

ونزيد هنا : فيما يرتبط بشروحه ، ما أورده السيد هبة الدين الشهرستاني في مقدمته لـكتاب الراعي والرعية ص ٨ ـ ٩ والشيخ آقا بزرك الطهراني في كتابه الذريعة ص ٣٧٣ ـ ٣٧٥ و ج ١٥ ص ٣٥٣ ، حيث أضافا إلى شروح العهد :

شرح الحسين الهمداني الموسوم بهدية الحسام لهداية الحكام .
وشرح محمد صالح الروغني القزويني ، من علماء القرن الحادي عشر .
ودستور حكمت .
وترجمه الوصال الشاعر الشيرازي المتوفي سنة ١٢٧٤ ونظمه شعراً بالفارسية .
وترجمه محمد جلال هذا العهد إلى التركية ونظمه شعراً بالتركية .
وفرمان مبارك لجواد فاضل .
وعنوان رياست (ترجمة لعهد أمير المؤمنين للأشتر للسيد علي أكبر بن سلطان العلماء السيد محمد النقوي اللكنهوي) .

هذا كله عدا عن شرح شراح النهج له في ضمنه كالمعتزلي وابن ميثم وغيرهما . .

بقي أن نشير الى أن صاحب الذريعة قال في ج ١٥ ص ٢٦٢ :

« نسخة (العهد) بخط ياقوت المستعصمي موجودة في المكتبة الخديوية

بمصر تاريخ فراغها سنة ثمانين وستمائة كما في فهرسها.

ملاحظة سريعة على سندي الشيخ والنجاشي :

هذا . . ويلاحظ العلامة المحقق الأحمدي هنا : أن النجاشي والشيخ قد ذكرا سنديهما إلى عهد أمير المؤمنين لمالك الأشتر ، ولم يذكرا من نفس العهد شيئاً ، فيحتمل أن يكون السند الذي ذكراه ناظراً إلى ما كتبه أمير المؤمنين لأهل مصر والذي أوله : « من عبد الله أمير المؤمنين إلى نفر من المسلمين . . . أما بعد فإني قد بعثت إليكم عبداً من عبيد الله ، لا ينام أيام الخوف ، ولا ينكل عن الأعداء إلخ . . » .

ولا سيما بملاحظة أن النجاشي قد عبر عن هذه الرسالة في ترجمة صعصعة بقوله : « روى عهد مالك بن الحرث الأشتر ألخ . . . »[1] .

ولكنه ـ أعني العلامة الأحمدي ـ عاد فقال : « لكن هذا الأحتمال بعيد عن عبارة الشيخ ره » .

حيث إن الشيخ قد عبر هنا في الفهرست بقوله : « روى عهد مالك الأشتر رحمه الله الذي عهده إليه أمير المؤمنين عليه السلام لما ولاه مصر »[2] .

فإن هذه العبارة ظاهرة في أن العهد كان إليه ، وتلك الرسالة إنما كتبها أمير المؤمنين عليه السلام لأهل مصر . . وإن كان يصح التعبير عنها بأنها عهد له أيضاً . .

هذا . . بالإضافة إلى أن الشريف الرضي قد ألّف كتابه الذي فيه نسخة عهد الأشتر بمرأى ومسمع من الشيخ والنجاشي معاً ، وطول هذا العهد وجامعيته للمحاسن مما يرجح الإلتفات إليه ، وإرتكازه في الأذهان في مقابل الوصية المطولة أيضاً بحيث يسبق الذهن إليه ، بحيث نجد النجاشي حينما أراد من كلمة عهد تلك الرسالة الأخرى . . قد ألزم نفسه بإيرادها على خلاف عادته في كتابه . .

---

(١) رجال النجاشي ص ١٥٣ .

(٢) الفهرست للشيخ الطوسي ص ٦٢ /٦٣ .

سند النجاشي والشيخ للعهد :

ومهما يكن من أمر ، فإننا لم نجد سنداً للعهد متصلاً إلى أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام إلا عن الشيخ النجاشي ، والشيخ الطوسي رضوان الله تعالى عنهما . . .

وسند النجاشي هو كما يلي :

أخبرنا :

١ ـ إبن الجندي .
٢ ـ عن علي بن همام .
٣ ـ عن الحميري .
٤ ـ عن هارون بن مسلم .
٥ ـ عن الحسين بن علوان .
٦ ـ عن سعد بن طريف .
٧ ـ عن الأصبغ بالعهد[1] .

أما عن طريق الشيخ إلى عهد الأشتر ، فهو كما يلي :

أخبرنا بالعهد :

١ ـ إبن أبي جيد .
٢ ـ عن محمد بن الحسن .
٣ ـ عن الحميري .
٤ ـ عن هارون بن مسلم والحسن بن طريف جميعاً عن :
٥ ـ الحسين بن علوان الكيني (الصحيح : الكبي ، على الظاهر) .
٦ ـ عن سعد بن طريف .

---

(١) رجال النجاشي ص ٧ ط مركز نشر الكتاب وص ٦ ط مكتبة الداورى في قم . . ولكننا سوف نعتمد في ما ننقله عن هذا الكتاب في هذا البحث على طبعة مركز نشر كتاب ، فليلاحظ ذلك .

٧ ـ عن الأصبغ بن نباتة .
عن أمير المؤمنين عليه السلام[١] .

أما بالنسبة لسند النجاشي :

فإننا نقول :

١ ـ إبن الجندي وإسمه أحمد بن عمران (أو عمر) والمتوفي سنة ٣٩٦ وقد قال عنه آية الله الخوئي إنه ثقة[٢] إستناداً إلى انه من شيوخ النجاشي .

وقال النجاشي : «أستاذنا رحمه الله ألحقنا بالشيوخ في زمانه له كتب . . الخ »[٣] .

وقوله : ألحقنا بالشيوخ في زمانه يدل على انه من مشايخ الإجازة ، والظاهر أن إبن الجندي هو أول من أجاز النجاشي وألحقه بالشيوخ في زمانه .

ونحن نشير هنا إلى أمرين :

أحدهما : « صرح البهبهاني بأن المتعارف عدّ شيخوخة الإجازة من أسباب الحسن ، ونقل عن ظاهر المجلسي الأول ، والميرزا محمد الأسترا بادي دلالتها على الوثاقة ، وان المحقق البحراني[٤] قال : مشايخ الإجازة في أعلى درجات الوثاقة والجلالة »[٥] .

ويرجع ذلك إلى وجه إعتباري ، وهو أن الشيخ لا يركن إليه في الإجازة إلا إذا كان ثقة ، أو حسن الظاهر ممدوحاً ، فيحصل من وصفه بالشيخوخة وثوق باعتباره . ولذا قال المحقق الهمداني :

« ولا شبهة في أن قول بعض المزكين بأن فلاناً ثقة ، أو غير ذلك من

(١) الفهرست للشيخ ص ٦٣ ط جامعة مشهد ـ إيران .
(٢) معجم رجال الحديث ج ٢٢ ص ١٧١ .
(٣) رجال النجاشي ط مركز نشر كتاب ص ٦٧ وعنه في معجم رجال الحديث ج ٢ ص ٢٩٤ ، وفي رياض العلماء ج ١ ص ٦٣ وفي منتهى المقال ص ٤٤ وفي تنقيح المقال ج ١ ص ٩٠ وفي جامع الرواة ج ١ ص ٦٩ وفي رجال العلامة ص ١١ وقاموس الرجال ج ١ ص ٤١٥ وبهجة الآمال ج ٢ ص ١٤٦ و١٤٧ .
(٤) هو الشيخ سليمان البحراني .
(٥) قواعد الحديث ص ١٧٣ ومقباس الهداية ص ٧٤ .

الألفاظ التي إكتفوا بها في تعديل الرواة ، لا يؤثر في الوثوق أزيد مما يحصل من إخبارهم بكونه من مشايخ الإجازة » وعن المعراج : إن التعديل بهذه الجهة طريقة كثير من المتأخرين. وقال الشهيد الثاني (ره) في البداية: إن مشايخ الإجازة لا يحتاجون إلى التنصيص على تزكيتهم[1].

لكن خالف في ذلك جماعة، فلم يعتبروها إلا إذا وثق الثقة مشايخه إجمالاً فيقبل كما فعل النجاشي ، وهو بمنزلة التوثيق التفصيلي ، أو وصف الشيخ بما أوجب مدحه ، فيكون حسناً »[2] .

الثاني : إننا حتى لو غضضنا النظر عما تقدم ، فإن ابن الجندي المذكور في الترجمة لا بد وأن يحكم بوثاقته ، وذلك لأن الشيخ النجاشي قد وثق مشايخه إجمالاً حسبما أشير إليه آنفاً . . وكان رحمه الله كثير التحرز من الرواية عن الضعفاء بغير واسطة كما فهمه غير واحد[3] .

إذ قد صرح في ترجمة جعفر بن محمد البهلول بقوله : « كان في أول الأمر ثبتاً ، ثم خلط ، ورأيت جل أصحابنا يغمزونه ويضعفونه ، له كتب . . إلى أن قال : رأيت هذا الشيخ . وسمعت منه كثيراً ، ثم توقفت عن الرواية عنه إلا بواسطة بيني وبينه »[4] . .

كما أنه في ترجمة جعفر بن محمد بن مالك، بعد أن ذكر ذمّه وتضعيفه وفساد مذهبه ، قال : ولا أدري كيف روى عنه شيخنا الثقة النبيل أبو علي بن همام ، وشيخنا الجليل الثقة أبو غالب الزراري رحمهما الله »[3] .

وقال في ترجمة أحمد بن محمد بن عبيد الله بن الحسن الجوهري : « كان

---

(١) قواعد الحديث ص ١٧٣ .
(٢) مقباس الهداية ص ٧٤ .
(٣) راجع : تنقيح المقال ج ١ ص ٥٨ ومعجم رجال الحديث ج ١ ص ٥٠ /٥١ وقواعد الحديث ص ١٨٤ و١٨٥ وخاتمة مستدرك الوسائل ج ٣ ص ٥٠٢ /٥٠٣ وعن رجال السيد بحر العلوم ج ٤ ص ١٤٥ /١٤٦ ورياض العلماء ٣ /٣٥١ .
(٤) رجال النجاشي ص ٣٠٩ .
(٥) رجال النجاشي ص ٩٤ .

سمع الحديث فأكثر واضطرب في آخر عمره . . إلى أن قال : رأيت هذا الشيخ وكان صديقاً لي ولوالدي ، وسمعت منه شيئاً كثيراً ، ورأيت شيوخنا يضعفونه ، فلم أرو عنه شيئاً وتجنبته ، وكان من أهل العلم والأدب القوي ، وطيب الشعر ، وحسن الخط رحمه الله وسامحه »[1] .

فهو لا يروي عنه رغم أنه سمع منه شيئاً كثيراً ورغم صداقته له ولوالده ، ورغم المعاشرة التي بينهما لمجرد أنه رأى الأصحاب يضعفونه .

كما أنه لا يروى عمن كان في أول أمره ثبتاً ، رغم أنه سمع منه كثيراً إلا بالواسطة ، لمجرد أن الأصحاب كانوا يغمزونه ويضعفونه .

كما ويتعجب من رواية الثقتين الجليلين عن رجل مذموم ومضعف وفاسد المذهب .

وأخيراً فقد قال في ترجمة إسحاق بن الحسن بن بكران : « رأيته بالكوفة ، وهو مجاور وكان يروى كتاب الكليني عنه ، وكان في هذا الوقت غلواً ، فلم أسمع منه شيئاً »[2] ففرّع عدم روايته عنه على أنه كان فيه غلو . . . ويلاحظ : أن النجاشي نفسه لا يغمز في أولئك الشيوخ الذين سمع منهم كثيراً ولعله لا يوافق الأصحاب على غمزهم لهم ، ولا سيما بملاحظة أننا نستبعد جداً أن يتخذ لنفسه شيخاً يعرفه بالإنحراف والكذب والوضع ، ثم يكثر عنه الأخذ والسماع . .

وهذا يبعد جداً الإحتمال القائل بأن النجاشي إنما لا يروى عمن فيه غمز ، أما من لا غمز ولا مدح ولا ذم فيه فهو مسكوت عنه [3].

ومهما يكن من أمر، فقد قال العلامة في كتابه الرجال عن ابن الجندي «وعبارة النجاشي حوله: «وليس هذا نصاً في تعديله» . لكنه ذكره في قسم من يعتمد عليهم[4]. وعده بحر العلوم من مشايخ النجاشي، وقال: إن النجاشي عظمه

---

(١) رجال النجاشي ص ٦٧ .

(٢) رجال النجاشي ص ٥٧ .

(٣) نخبة المقال ص ١٤٠ .

(٤) راجع الرجال للعلامة ص ١١ / ١٢ .

في كثير من المواضع »[1] . وفي منتهى المقال : « إن هذه العبارة ظاهرة في تعديله ، ثم قال : « والنجاشي ينقل عنه كثيراً معتمداً عليه منه في أحمد بن عامر ، ويأتي في عبد الله ابنه أنه أجازه ، وبالجملة لا شبهة في أنه شيخ إجازته بل من إجلائهم . . »[2] وعده في وجيزة المجلسي في الممدوحين ، وعده الفاضل المجلسي حسناً ، واستجود ذلك المامقاني ، ورفض عدّ صاحب الحاوي له في الضعفاء[3] .

ومهما يكن من أمر فإن الرجل ممن يمكن الإعتماد على روايته ولا سيما بملاحظة كونه من مشايخ الإجازة ، وكثرة نقل النجاشي عنه وتعهد النجاشي بأنه لا ينقل إلا عن الثقات .

٢ ـ علي بن همام :

الظاهر أن الصحيح : (أبو علي بن همام) فإنه هو الذي يروى عنه إبن الجندي[4] ، فسقطت كلمة « أبو » وقد ورد نص النجاشي عند القهبائي بإضافة لفظ (أبو) ونسخته كانت مصححة على الظاهر وقد استظهر التستري ذلك أيضاً وقال : « لكن الظاهر كونه محرف عن : (أبي علي بن همام) وهو محمد بن همام »[5] ، وقد قال عنه النجاشي : « محمد بن أبي بكر همام بن سهيل الكاتب الإسكافي شيخ أصحابنا ومتقدمهم ، له منزلة عظيمة كثير الحديث[6] الخ . . . »، وقد توفي سنة ٣٣٦ أو ٣٣٢. وقال الشيخ : «محمد بن همام

---

(١) الكنى والألقاب ج ١ ص ٢٤٦ .

(٢) منتهى المقال ص ٤٤ وقريب منه في تنقيح المقال ج ١ ص ٩٠ وبهجة الآمال ج ٢ ص ١٤٦ .

(٣) تنقيح المقال ج ١ ص ٩٠ .

(٤) رجال النجاشي ط مركز نشر كتاب ص ٢٩٤ وص ٩٤ وراجع معجم رجال الحديث ج ١٤ ص ٢٣٣ وقاموس الرجال ج ٨ ص ٤٢٨ .

(٥) قاموس الرجال ج ٢ ص ١٠٥ .

(٦) رجال النجاشي ط مركز نشر كتاب ص ٢٩٥ والفهرست ص ٣٢٤ وعنه في معجم رجال الحديث ج ١٤ ص ٢٣٣ وقاموس الرجال ج ٨ ص ٤٢٧ وراجع جامع الرواة ج ٢ ص ٢١٢ وتنقيح المقال ج ٢ قسم ٢ ص ٥٨ ونقد الرجال ص ٣٣٨ .

الاسكافي يكنى أبا علي، جليل القدر، ثقة ، لروايات كثيرة»[1] ووثقه النجاشي أيضاً في ترجمة جعفر بن محمد بن مالك[2].

وقال المامقاني : « وعلى كل حال فقد وثقه في الوجيزة والبلغة والمشتركاتين، بل والحاوي أيضاً ، ولا غمز فيه من أحد بوجه»[3].

وقال العلامة : « شيخ أصحابنا ومتقدمهم ، له منزلة عظيمة كثير الحديث جليل القدر ثقة »[4] . وقال ابن داود : « ثقة جليل القدر »[5] .

٣ ـ الحميري :

والظاهر أنه كما استظهره التستري أيضاً[6] هو «عبد الله بن أحمد بن جعفر بن الحسن بن مالك بن جامع الحميري أبو عباس القمي » شيخ القميين ووجههم[7] فإنه هو الذي يروي عنه محمد بن الحسن بن الوليد الذي ورد في سند الشيخ المتقدم وهوالذي يروي عن هارون بن مسلم ولا إشكال في وثاقته وابنه محمد ثقة أيضاً .

ومهما يكن من أمر فقد عرفت ما قاله عنه النجاشي والشيخ رحمهما الله تعالى .

وقال في مشكا « إبن جعفر إبن الحسين الحميري الثقة »[8].

---

(١) الفهرست ص ٣٢٤/٣٢٥ وراجع رجال الشيخ ص ٤٩٤ وعنه في معجم رجال الحديث ج ١٤ ص ٢٣٣ وعنهما في قاموس الرجال ج ٨ ص ٤٢٧ .

(٢) رجال النجاشي ص ٩٤ وعنه في قاموس الرجال ج ٨ ص ٤٢٨ وتنقيح المقال ج ٢ قسم ٢ ص ٥٨ .

(٣) تنقيح المقال ج ٢ قسم ٢ ص ٥٨ .

(٤) رجال العلامة ص ٧١ ومنتهى المقال ص ٢٩٦ عنه.

(٥) رجال ابن داود ص ٣٣٩ .

(٦) قاموس الرجال ج ٢ ص ١٠٥ .

(٧) رجال النجاشي ص ١٦٢ والفهرست للشيخ ص ١٨٩ ورجال ابن داود ص ٢٠٠ ونقد الرجال ص ٢٩٦ وراجع معجم رجال الحديث ج ١٠ ص ١٣٩ وقاموس الرجال ج ٥ ص ٥١٣ /٥١٤ وجامع الرواة ج ١ ص ٤٧٨ عنه ومنتهى المقال ص ١٨٣ وتنقيح المقال ج ٢ ص ١٧٤ .

(٨) منتهى المقال ص ١٨٣ .

وقال عنه الشيخ أيضاً: ثقة[1]، وقال أيضاً: «عبد الله بن جعفر الحميري قمي ثقة»[2].

وقال العلامة : « شيخ القميين ووجههم قدم الكوفة سنة نيف وتسعين ومائتين ثقة »[3] .

وقال المامقاني : « ووثقه في فرج المهموم لإبن طاووس والوسائل والوجيزة والمشتركاتين والحاوي وغيرهما أيضاً ولا غمز فيه من أحد بوجه من الوجوه »[4] .

٤ ـ هارون بن مسلم :

قال عنه النجاشي ثقة وجه[5] وقال في الوجيزة : ثقة[6] . وذكره في الحاوي في قسم الثقات[7] .

ووصف العلامة طريق الصدوق (ره) إلى القاسم بن عروة بالصحة وهارون بن مسلم هذا في الطريق[8] . ووثقه البحراني في البلغة[9] ثم تنظر فيه ولعل سببه قول النجاشي له مذهب في الجبر والتشبيه والظاهر ان هذه التهمة لذكرهم الروايات الدالة على ذلك في كتبهم[10].

٥ ـ الحسين بن علوان :

قال النجاشي : « الحسين بن علوان الكلبي مولاهم كوفي عامي ، وأخوه

---

(١) الفهرست ص ١٨٩ وعنه في منتهى المقال ص ١٨٣ وتنقيح المقال ج ٢ ص ١٧٤ ونقد الرجال ص ١٩٦ .

(٢) رجال الشيخ ص ٤٣٢ ونقد الرجال ص ١٩٦ وكذا في جامع الرواة ج ١ ص ٤٧٨ عنه ومنتهى المقال ١٨٣ وتنقيح المقال ج ٢ ص ١٧٤ .

(٣) رجال العلامة ص ٥٢ ومنتهى المقال ص ١٨٣ عنه وتنقيح المقال ج ٢ ص ١٧٤ .

(٤) تنقيح المقال ج ٢ ص ١٧٤ .

(٥) رجال النجاشي ص ٣٤٢ ورجال العلامة ص ٨٧ وعنهما جامع الرواة ج ٢ ص ٣٠٧ ومنتهى المقال ص ٣٢٠ وتنقيح المقال ج ٣ ص ٢٨٥ وقاموس الرجال ج ٩ ص ٣٨٣ ونقد الرجال ص ٣٦٦ ومعجم رجال الحديث ج ١٩ ص ٢٢٩ .

(٦)و(٧) منتهى المقال ص ٣٢٠ وتنقيح المقال ج ٣ ص ٢٨٥ .

(٨) المصدران المتقدمان .

(٩) تنقيح المقال ج ٣ ص ٢٨٥ .

(١٠)راجع منتهى المقال ص ٣٢٠ وتنقيح المقال ج ٣ ص ٢٨٥ وقاموس الرجال ج ٩ ص ٣٨٤ فإن =

الحسن يكنى أبا محمد ـ ثقة رويا : عن أبي عبد الله عليه السلام ، وليس للحسنين كتاب والحسن أخص بنا وأولى »[1] . وهذا التوثيق راجع إلى الحسين بن علوان لا إلى أخيه الحسن لأن الترجمه له ، وجملة : وأخوه الحسن يكنى أبا محمد معترضة ، قال الخوئي : « وقد تكرر ذلك في كلام النجاشي في عدة موارد منها في ترجمة محمد بن أحمد بن عبدالله أبي الثلج »[2] ، أما الكشي فقد عده في جملة جماعة قال عنهم : « هؤلاء من رجال العامة إلا أن لهم ميلاً ومحبة شديدة »[3] .

وقال إبن عقدة : « إن الحسن كان أوثق من أخيه وأحمد عند أصحابنا »[4] .

قال الخوئي : « أقول في كلام إبن عقدة دلالة على وثاقة الحسين وكونه محموداً »[5] .

وقال في الوجيزة عنه: «موثق على الأظهر وقيل ضعيف». وذكرهما كليهما في الحاوي في الموثقين ثم في الضعاف فتأمل . وفي مشكا : إبن علوان الثقة عنه هارون بن مسلم »[6] .

٦ ـ سعد بن طريف :

قال الشيخ عنه : « سعد بن طريف الحنظلي ، الإسكاف ، مولى بني تميم

= الصدوق يذكر أن سبب نسبتهم إلى ذلك هو ذلك وكذا الشيخ يذكر هذا في العدة .

(١) رجال النجاشي ص ٤١ (وراجع الفهرست ص ١٠٧) ونقد الرجال ص ١٠٧ ومنتهى المقال ص ٩٦ وتنقيح المقال يج ١ ص ٢٨٩ وقاموس الرجال ج ٣ ص ١٩٢ و٣٠١ ومعجم رجال الحديث ج ٤ ص ٣٨٢ وج ٦ ص ٣١ .

(٢) معجم رجال الحديث ج ٤ ص ٣٨٣ .

(٣) رجال الكشي ص ٣٩٠ وراجع جامع الرواة ج ١ ص ٢٤٧ ونقد الرجال ص ١٠٧ ومنتهى المقال ص ١١١ وتنقيح المقال ج ١ ص ٣٣٦ و٢٨٩ .

(٤) رجال العلامة ص ١٠٣ وراجع جامع الرواة ج ١ ص ٢٤٧ ونقد الرجال ص ١٠٧ ومنتهى المقال ص ١١١ وتنقيح المقال ج ١ ص ٣٣٦ وقاموس الرجال ج ٣ ص ١٩٢ و٣٠١ .

(٥) معجم رجال الحديث ج ٦ ص ٣١ .

(٦) منتهى المقال ص ٩٦ .

الكوفي ، ويقال سعد الخفاف ، روي عن الأصبغ بن نباتة ، وهو صحيح الحديث »[1] .

وقد فهم الشهيد الثاني من هذه العبارة كونه « ثقة ضابطاً ، ففيه زيادة تزكية »[2] وكذا فهم المامقاني منها حيث قال :

« إن هذه الكلمة إذا وردت في كلام القدماء فلا ريب ولا شبهة في افادتها مدح الراوي مدحاً كاملاً في روايته بل في نفسه أيضاً ، وكون روايته من القوى ، وفي افادته كونه عدلاً وجهان اظهرهما ذلك »[3] .

ثم ناقش قول من قال : إنها لا تفيد توثيقاً للراوي ، لأن المراد بالصحيح ما وثقوا بصدوره عن المعصوم ولو لأجل القرآئن الداخلية فيكون دلالته على الحسن أو المدح أدون من دلالة قولهم فلان ثقة في الحديث ، إذ دلالته على وثاقته الحديث إنما هو من جهة وثاقة الراوي نفسه[4] .

ناقش المامقاني ذلك بأن ثمة فرقاً بينا بين قولهم حديث صحيح وهذا هو مستند ذلك القائل ، وبين قولهم صحيح الحديث ، فإن الأول وصف للحديث والثاني وصف للرواي والأول يجامع ما لو كان منشأ الوثوق إمارات أخر بخلاف الثاني ، فإن من يوثق بصدور جميع رواياته عن المعصوم هو العدل الامامي الضابط[5] .

ثم قال : « فالذي يظهر لي : ان قولهم صحيح الحديث ليس بأضعف من قولهم ثقة في الحديث إن لم يكن أقوى منه بل الأظهر أنه أقوى منه »[6] ثم أيد

---

(١) رجال الشيخ ص ٩٢ وعنه في المصادر التالية : رجال العلامة ص ١٠٨ ومنتهى المقال ص ١٤٤ وجامع الرواة ج ١ ص ٣٥٤ ونقد الرجال ص ١٤٨ وتنقيح المقال ج ٢ ص ٥ ومعجم رجال الحديث ج ٨ ص ٦٢ وقاموس الرجال ج ٤ ص ٣٢٤ و٣٢٥ .

(٢) الدراية ص ٧٦ .

(٣) مقباس الهداية ص ٧٠ .

(٤) راجع نتيجة المقال في علم الرجال ص ٦٤ ومقباس الهداية ص ٧٠ .

(٥) مقباس الهداية ص ٧٠ .

(٦) المصدر السابق .

استظهاره بما تقدم عن الشهيد الثاني نعم هذا ما قاله الشيخ عن سعد بن طريف ، وهذا ما فهمه العلماء منه .

ولكن النجاشي قال عنه : « يعرف وينكر » قال : وكان قاضياً[1] وزاد ابن داود : في حديثه نظر[2] .

فإذا اعتبرنا أن هذا قدح في روايته لا في نفسه فقد يكون ثقة في نفسه لكن حديثه يعرف وينكر[3] . . فقد تعارض جرح النجاشي مع تعديل الشيخ لرجوع كليهما إلى نفس الحديث لا إلى المحدث والجرح مقدم ولا سيما إذا كان من النجاشي . .

أضف إلى ذلك : إن حمدويه قال : كان ناووسياً[4] .

وقال ابن الغضائري : إنه ضعيف[5] .

وقال في الحاوي : إن الأرجح كلام الكشي الذي نقله العلامة ، وهو الموجود في كتابه ، والنجاشي ، فالرجل ضعيف لما ذكر ، مع تأييد كلام ابن

---

(١) الظاهر أن الصحيح : « وكان قاصاً » كما سيظهر من الرواية التالية ، وعبارة منتهى المقال ص ١٤٤ وقاموس الرجال ج ٤ ص ٣٢٤ عن النجاشي « قاصاً » وأكد على ذلك في قاموس الرجال ص ٣٢٥ ج ٤ وراجع ج ٣ ص ٣٠١ وحققه في تنقيح المقال ج ٣ ص ١٦ وراجع كذلك هامش ص ١٥ ومعجم رجال الحديث ج ٦ ص ٣١ / ٣٢ .

(٢) راجع : رجال النجاشي ص ١٣٥ ورجال ابن داود ص ٤٥٦ ورجال العلامة ص ١٠٨ ومنتهى المقال ص ١٤٤ وجامع الرواة ج ١ ص ٣٥٤ ونقد الرجال ص ١٤٨ وتنقيح المقال ج ٢ ص ١٥ وقاموس الرجال ج ٤ ص ٣٢٤ (٣٢٥ ومعجم رجال الحديث ج ٨ ص ٦٧ وراجع الفهرست ص ١٥٢ .

(٣) منتهى المقال في علم الرجال ص ٩٥.

(٤) راجع : رجال الكشي ص ٢١٥ ورجال ابن داود ص ٤٥٦ ورجال العلامة ص ١٠٨ ومنتهى المقال ص ١٤٤ وتنقيح المقال ص ١٢ / ١٥ وفيها عن التحرير الطاووسي وجامع الرواة ج ١ ص ٣٥٣ و٣٥٥ ونقد الرجال ص ١٤٨ وقاموس الرجال ج ٤ ص ٣٢٤ / ٣٢٥ ومعجم رجال الحديث ج ٨ ص ٦٩ .

(٥) رجال العلامة ص ١٠٨ ومنتهى المقال ص ١٤٤ وجامع الرواة ج ١ ص ٣٥٥ وتنقيح المقال ج ٢ ص ١٥ وقاموس الرجال ج ٤ ص ٣٢٤ / ٣٢٥ ومعجم رجال الحديث يج ٨ ص ٦٨ .

الغضائري له ، وصحة الحديث على تقدير دلالته على التوثيق لا يعارض ذلك[1] . . .

قال المامقاني : « وظاهره طرح رواياته ، حتى ما رواه في زمان استقامته . . الخ »[2] .

ولكن قال ابن داود الحلي : «قيل: كان ناووسياً ولم يثبت»[3].

وقال الاردبيلي : « والأولى التوقف فيه وفي روايته وجواز اخراجها شاهداً »[4] .

وقال المامقاني : « بل لعله مراد النجاشي أيضاً أي يعرف حديثه الذي صدر منه في زمان استقامته ، وينكر حديثه الذي رواه في حال انحرافه »[5] .

وقال : « وقول النجاشي إنه يعرف وينكر يراد به على الظاهر : كون حديثه يرد مرة مقبولاً للعقول ولظواهر الكتاب والسنة ومرة لا كذلك ككون الصلاة تتكلم وكون الفحشاء والمنكر أسماء رجال وكون ذكر الله أكبر الأئمة عليهم السلام ، وقد تتبعت كثيراً من موارد قولهم في رجل يعرف حديثه وينكر فوجدتها على هذه الصفة ووجدت ما ينكر منها عندهم قد ثبتت صحته بالبراهين الصريحة وصار من ضروريات مذهب الامامية اليوم ، أما حديث وقفه على الصادق عليه السلام فهو إنما ينتج رد رواياته عن غيره ولم يثبت أنه أدرك غير زمن الصادق (ع) الذي يعتقد إمامته وإن كان آخر الأئمة عليه السلام بزعمه ، وإن أبيت عن ذلك كان اللازم عد رواياته عن الصادق (ع) من قسم الموثوق كالصحيح على ما اصطلح عليه علماء الدراية[6] . . الخ .

وبعد أن استظهر الخوئي وثاقته دفع المعارضة بين قولي الشيخ والنجاشي

(١) تنقيح المقال ج ٢ ص ١٥ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) رجال ابن داود ص ١٦٨ .
(٤) جامع الرواة ج ١ ص ٣٥٥ .
(٥) تنقيح المقال ج ٢ ص ١٥ .
(٦) المصدر السابق .

عنه بقوله: «ولا يعارض ذلك قول النجاشي يعرف وينكر وذلك لأن المراد بذلك أنه قد يروي ما لا تقبله العقول العادية المتعارفة وهو لا ينافي الوثاقة ولا ما عن ابن الغضائري من تضعيفه اياه، فإنا قد ذكرنا أنه لم يثبت صحة نسبة الكتاب إليه، فلم يعلم صدور التضعيف منه»[1].

وخلاصة القول إن المراد بالانكار إن كان هوأأن أحاديثه مختلطة ومرفوضة لأن فيها الصحيح وغيره ، فشهادة النجاشي تعارض شهادة الطوسي وإن كان المراد به : إنها غريبة لا يتعقلها الإنسان الاعتيادي لم يكن ثمة معارضة بينهما لأن إنكار العقول وعدم قبولها للحديث لا تنافي صحته ، والظاهر هو صحة هذا التوجيه ، فإن هذا الرجل قد كان قاصاً كما تدل عليه رواية الكشي :

« حدثني حمدويه بن نصير قال : حدثني محمد بن عيسى ومحمد بن مسعود ، قال : وحدثني محمد بن نصير قال : حدثني محمد بن عيسى قال : حدثني الحسن بن علي بن يقطين عن حفص بن محمد المؤذن عن سعد الاسكاف قال :

قلت لأبي جعفر عليه السلام : إني أجلس فأقص ، وأذكر حقكم وفضلكم قال : وددت أن على كل ثلاثين ذراعاً قاصاً مثلك »[2] .

وواضح أن عمل القاص هو أن يقص على الناس ما يجلب انتباههم ويؤثر في نفوسهم ، وكثير منهم من يأتي بالغرائب والعجائب ، وفضائل الأئمة فيها الكثير مما يمكن أن يثير عجب الناس واستغرابهم ، ولأجل ذلك نجده هو نفسه لا يدري كيف يخبر الناس ببعض الأمور التي ذكرها له الإمام عليه السلام حينما أخبره أن القرآن يتكلم والصلاة تتكلم ولها صورة وخلق ، تأمر وتنهى قال سعد : فتغير لوني وقلت هذا شيء لا أستطيع أن أتكلم به في الناس . . ثم إن الإمام فسر له أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر بقوله :

---

(١) معجم رجال الحديث ج ٨ ص ٧٠ .

(٢) رجال الكشي ص ٢١٤ / ٢١٥ ومعجم رجال الحديث ج ٨ ص ٦٨ / ٦٩ وقاموس الرجال ج ٤ ص ٣٢٤ وتنقيح المقال ج ٢ ص ١٢ ومنتهى المقال ص ١٤٤ ونقد الرجال ص ١٤٨ وجامع الرواة ج ١ ص ٣٥٣ .

فالنهي كلام والفحشاء والمنكر رجال ، ونحن ذكر الله ، ونحن أكبر[1] .

ومما يؤيد هذا التفسير : أننا نجد الفلاس يقول عنه : « إنه يفرط في التشيع »[2] ولعل منشأ ذلك هو أنه يروي في حق الأئمة وفضلهم ما لا تقبله العقول العادية ولا تستسيغه أذواق هؤلاء المنحرفين عنهم عليهم السلام . .

وبعد فإننا إذا استظهرنا أن يكون مراد النجاشي هو ذلك بل وحتى لو شككنا فيه فإن كلام النجاشي لا يعود صالحاً لمعارضة كلام الشيخ الذي هو نص صريح في صحة روايته .

بل لقد رأينا البعض يقول : إن التعبير بيعرف وينكر ونحوه كما لا ينافي وثاقة الراوي كذلك لا يفيد القدح في الحديث ، قال : « وأما القدح بالنسبة إلى الحديث وجرحه ، فالصريح من البعض : لا ، حيث ذكر بأنها ليست من أسباب الجرح وضعف الحديث على روية المتأخرين نعم هي من أسباب المرجوحية »[3] وإن كان الظاهر : أن معنى قولهم مختلط الحديث أنه يروي عن الضعفاء ويروي عن المجاهيل ويرسل الأخبار ولا يبالي وهذا من موجبات الضعف[4] .

أضف إلى ذلك كله : أن عهد الأشتر ليس من قسم ما تمجه الأذواق ولا تستسيغه العقول .

وأخيراً . . فيكفي في ترجيح كلام الشيخ أننا نجد جمعاً كبيراً ممن يروي عن هذا الرجل بل أكثر من يروي عنه هم من كبار العلماء والثقات . ويعتبر هذا من مرجحات الوثاقة كما هو معلوم . .

٧ ـ اصبغ بن نباتة :

أما اصبغ بن نباتة فلا نرى أننا بحاجة إلى الإسهاب في إثبات وثاقته ،

---

(١) قاموس الرجال ج ٤ ص ٣٢٥ وتنقيح المقال ج ٢ ص ١٥ .
(٢) ميزان الاعتدال ج ٢ ص ١٢٣ .
(٣) نتيجة المقال في علم الرجال ص ٩٥ ومقباس الهداية ص ٨٠ / ٨١ .
(٤) نتيجة المقال في علم الرجال ص ٩٥ .

وحسبه أنهم يعبرون عنه : إنه « من خاصة أمير المؤمنين »[1] وأضاف العلامة قوله : « وهو مشكور »[2] .

وجاء في حديث ، أن أمير المؤمنين عليه السلام قد اعتبره أحد ثقاته . .[3] .

وقال نصر ما ملخصه « والعبارة للتستري » : « كان اصبغ من ذخائر أمير المؤمنين عليه السلام ممن قد بايعه على الموت ، وكان من فرسان أهل العراق وكان عليه السلام يضن به على الحرب والقتال ، وكان شيخاً ناسكاً عابداً وحضض علي عليه السلام أصحابه ، فقام إليه الاصبغ فقال : إنك جعلتني على شرطة الخميس وقدمتني في الثقة دون الناس ، وإنك اليوم لا تفقد مني صبراً ولا نصراً الخ . .[4] .

النتيجة :

وبعد كل ما تقدم فإننا نقول : إن النتيجة هي : أن سند النجاشي إلى عهد الأشتر معتبر ويمكن التعويل عليه . وهو وإن لم يكن موثقاً فلا أقل من كونه حسناً .

سند الشيخ :

وأما سند الشيخ إليه فهو أيضاً كذلك . . بل لقد نص السيد الخرئي

---

(١) الفهرست للشيخ الطوسي ص ٦٢ وجامع الرواة ج ١ ص ١٠٦ ورجال العلامة ص ١٣ ونقد الرجال ص ٤٩ ورجال ابن داود ص ٦٠ ورجال النجاشي ص ٧ وقاموس الرجال ج ٢ ص ١٠٤ و١٠٣ .

(٢) رجال العلامة ص ١٣ وجامع الرواة ج ١ ص ١٠٦ .

(٣) قاموس الرجال ج ٢ ص ١٠٤ / ١٠٥ عن الوسائل ومعادن الحكمة . وقال ص ١٠٧ : إن هذا الخبر هو خبر رسائل الكليني والأصل في نقله ابن طاووس في آخر كشف المحجة ، وراجع كشف المحجة ص ١٧٤ .

(٤) راجع شرح النهج ج ٨ ص ٨٢ وصفين ص ٢٤٢ / ٢٤٣ و٤٠٦ والنص مختلف ، واخترنا نص قاموس الرجال ٢/١٠٧ .

حفظه الله تعالى : على أن سند الشيخ إلى هذا العهد صحيح[1].

والحق أنه موثق أو حسن لوجود من هو عامي في سنده ، ولعل مراده بالصحيح الأعم منه ومن الموثق .

ومهما يكن من أمر . . فإن عدداً من الرواة في سند الشيخ هم أنفسهم قد وردوا في سند النجاشي ، وذلك ابتداء من الحميري فصاعداً . . نعم . . يوجد ثلاثة أشخاص في سند الشيخ لا بد من البحث عنهم وهم :

١ ـ ابن أبي جيد .
٢ ـ محمد بن الحسن .
٣ ـ الحسن بن ظريف .

فلا بد من الإشارة الموجزة إلى حالهم أيضاً . .

فنقول :

١ ـ ابن أبي جيد :

وهو علي بن أحمد بن محمد بن أبي جيد

قال الاصبهاني : « كان من مشايخ النجاشي والشيخ الطوسي كما صرحا بذلك في مواضع عديدة من رجاليهما وفي سائر كتب الشيخ وباقي الأصحاب أيضاً .

وهو يروي عن جماعة منهم محمد بن الحسن بن الوليد . . الخ ، كما يظهر من مطاوي فهرس الشيخ ورجال النجاشي وغيرهما[2] .

وقال الميرزا محمد الأسترا بادي : « ظاهر الأصحاب الاعتماد عليه ويعد طريق هو فيه حسناً أو صحيحاً كما هو لا يخفى وفي نص قال المحقق البحراني : اكثار الشيخ الرواية عنه في الرجال وكتابي الحديث يدل على ثقته وعدالته وفضله

(١) معجم رجال الحديث ج ٣ ص ٢٢٢ .
(٢) رياض العلماء ج ٣ ص ٣٤٩ / ٣٥٠ .

كما ذكره بعض المعاصرين يعني خالي ، والمحقق الداماد رحمهما الله انتهى[1] .

وقال ميرزا عبد الله أفندي : « وأقول : الحق أن هذا الشيخ من الثقات الموثوق بهم »[2] .

وقال نظام الدين القرشي في نظام الأقوال : « . . وهو غير مذكور في كتب الرجال بمدح ولا ذم لكن شيخنا دام ظله البهي قال : إنه وأمثاله من مشايخ الأصحاب لنا حسن ظن بحالهم وعدالتهم وقد عددت حديثهم في الصحيح جرياً على عنوان مشائخنا المتاخرين »[3] .

وقال الشيخ فخر الدين الطريحي : « كثرت رواية الشيخ عنه ، حتى آثر الشيخ الرواية عنه غالباً على الرواية عن المفيد لإدراكه محمد بن الحسن بن الوليد ، وروايته عنه بغير واسطة بخلاف المفيد »[4] .

وقال الشيخ البهائي : « لم أظفر في كتب الرجال ما يدل على توثيقه لكن العلامة في المنتهى والمختلف ، وشيخنا الشهيد في الذكرى وصفا روايته بالصحة . . إلى أن قال : والمستفاد بعد التتبع : أن الرجل من وجوه أصحابنا من رجال العسكري عليه السلام . وقد روى عنه أكابر هذه الطائفة كالشيخ الجليل أحمد بن عبد الله الأشعري وغيره وظني عدد روايته من الحسان »[5] .

٢ ـ محمد بن الحسن :

أي محمد محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد (كما ذكره التستري وغيره)[6] شيخ القميين وفقيههم . ولعل شهرته تغني عن التعريف به ، ولكننا مع ذلك نشير إلى قول كل من الشيخ والنجاشي فيه وكفى .

---

(١) منتهى المقال ص ٣٥٦ وراجع رياض العلماء ج ٣ / ٣٥٠ .
(٢) رياض العلماء ج ٣ ص ٣٥١ .
(٣) رياض العلماء ج ٣ /٣٥١ .
(٤) جامع المقال ص ١٨٠ وعنه في رياض العلماء ج ٣ ص ٣٥١ .
(٥) هامش جامع المقال ص ١٨٠ .
(٦) قاموس الرجال ج ٢ ص ١٠٥ وراجع جامع المقال ص ١٨٠ وغير ذلك .

قال النجاشي : « شيخ القميين وفقيهم ووجههم ، ويقال : إنه نزيل قم ، وما كان أصله منها ، ثقة ثقة عين مسكون إليه »(1) .

وقال الشيخ : « جليل القدر عارف بالرجال موثوق به »(2) . وقال : « جليل القدر بصير بالفقه ثقة »(3) .

٣ ـ الحسن بن ظريف :

قال النجاشي وغيره : ثقة(4) .

وقد اتضح من كل ما تقدم أن سند كل من الشيخ والنجاشي معتبران ولا غبار عليهما . . وحسبنا ما ذكرناه فإن فيه الكفاية لمن أراد الرشد والهداية .

---

(١) رجال النجاشي ص ٢٩٧ .

(٢) الفهرست ص ٣٨٤ .

(٣) رجال النجاشي ص ٤٩٥ .

(٤) رجال النجاشي ص ٤٨ وراجع : الفهرست ص ٩٠ ونقد الإيضاح بهامش نفس الصفحة ورجال العلامة ص ٤٣ وجامع الرواة ج ١ ص ٢٠٤ . .

مصادر البحث

١ - الكنىٰ والألقاب .... للقمي

٢ - بهجة الآمال ....

٣ - تاريخ الطبري .... للطبري

٤ - تنقيح المقال ....

٥ - جامع الرواة .... للأردبيلي

٦ - جامع المقال ....

٧ - الرجال .... للكليني

٨ - الرجال .... للنجاشي

٩ - الرجال .... للعلامة

١٠ - الرجال .... لابن داود

١١ - الرجال .... للشيخ الصدوق

١٢ - الراعي والرعية .... للفكيكي

١٣ - رياض العلماء ....

١٤ - شرح النهج .... للمعتزلي

١٥ - الفهرست .... للشيخ الطوسي

١٦ - قواعد الحديث .... للغريفي

١٧ - قاموس الرجال .... للتستري

١٨ - معجم رجال الحديث .... للخوئي

١٩ - مقباس الهداية .... للمامقاني

٢٠ - مستدرك الوسائل .... للنوري

٢١ - منتهى المقال ....

٢٢ - ميزان الاعتدال .... للذهبي

٢٣ - نقد الرجال .... للتفريشي

٢٤ - نتيجة المقال في علم الرجال ....



الرياضة.. والإستعمار

بمناسبة ألعاب: (ميونخ) لسنة ١٩٧٢م.

إن مما لا شك فيه هو أن الرياضة البدنية أمر محبوب عند الناس ولا سيما الشباب منهم . . بل هي أمر حسن عقلاً وذوقاً ، لأنها عامل مهم من عوامل صحة الجسم ، وصموده أمام عوادي الزمن ، وتقلبات الأيام .

بل هي تؤثر حتى في عقل الإنسان ، وسلامته النفسية ، حتى لقد قيل :

« العقل السليم في الجسم السليم » .

ولكن . . عندما تكون الرياضة عبارة عن ممارسة أمور وحشية من الرياضيين ضد بعضهم البعض ، كما هو الحال في رياضة : (الملاكمة) !! .

وعندما تكون سبباً لهدر الوقت الذي نحن في أمس الحاجة إليه فيما هو أهم وأغلا .

وأيضاً . . وسيلة لصرف الشباب عن مشاكلهم . . وعن قضاياهم الأساسية والمصيرية في كثير من الأحيان . .

وكذلك . . عندما تكون سبباً لدمار شخصية الإنسان ، ولسقمه النفسي ولبعث روح الأنانية والغرور فيه .

نعم . . وعندما تكون الرياضة . . في خدمة أهداف الاستعمار ، الذي

يترصد غفلة شبابنا وامتنا . . لينقض على ثرواتنا وبلادنا ليبتلعها بكل جشع وشراسة . .

ـ عندما تكون الرياضة كذلك ـ فنحن في غنى عنها ، ولسنا بحاجة إليها . . إذ ما جدوى السلامة البدنية ، عندما تكون دماراً حقيقياً للنفس ، وللخلق ، بل وحتى للعقل ، وللتفكير الصحيح والسليم . .

والذي زاد الطين بلة . . والجرح ألماً : أنهم قد أدخلوا القمار في الرياضة أيضاً . . وبدأوا ينظمون له المباريات ، ويرصدون له الجوائز !! .

القمار . . الذي يعرض التكوين النفسي للإنسان للخطر ـ فضلاً عن المال ـ . . ومن ثم . . فإنه يعصف باستقراره ، وباستقرار عائلته ، وكل من يتصل به .

القمار . . الذي يتلف الوقت والمال وعقل وشخصية الإنسان ، ويجعل مستقبله ومستقبل كل من يمت إليه بصلة ، على كف عفريت ، وفي مهب الريح .

القمار . . الذي يصرف المقامر عن كل شؤون حياته الخاصة والعامة وعن مشاكله وقضاياه ، ويحرم حتى أطفاله من أهم ما يحتاجون إليه ألا وهو عطفه ومحبته . . هذا . . إن لم يأت آخر الليل متوتر الأعصاب ، يثور ويعصف لأتفه الأسباب ، ثم هو يبرق ويرعد ، ويتهدد ، ويتوعد .

وأخيراً . . وإذا أمكن انتقاء الرياضة الشريفة ، والمفيدة ، وأمكن إبعاد ذلك الجانب المريض منها والتخلص منه إلى غير رجعة .

وأمكن أيضاً . . لأولئك الذين يدعون أنهم يحدبون على الإنسان ويعطفون عليه ، ويغارون على مستقبله أن يضعوا إلى جانب المنهج الرياضي الجسماني ، منهجاً للرياضة النفسية والتربية الروحية . . وأيضاً . . منهجاً للرياضة العقلية والفكرية يتكفل بتوعية هؤلاء الشباب ، ورفع مستواهم

الفكري ، والثقافي وذلك ليتحقق التكامل على مختلف المستويات بشكل متوافق متوازن . .

وليحرس كل جانب من هذه الجوانب الجانب الآخر من الانحراف والطغيان ـ إذا أمكن ذلك ، فإن الرياضة حينئذ تكون ضرورة لا بد منها وعملاً إنسانياً ورسالياً فذاً ومجيداً . .

نعم . . لقد كان الأجدر . . قبل أن يدخلوا الملاكمة ، والقمار ، وما شابه ذلك . . مما يشكل خطراً على الإنسان وعلى مستقبله وكذلك سائر الرياضات التافهة ـ قبل أن يدخلوا ذلك في الرياضة ـ كان الأجدر بهم أن يهتموا بإقامة تلك النوادي التي تتكفل بالتربية الروحية والخلقية . . وأيضاً نواد للتنمية الفكرية والثقافية التي تتكفل بنشر المعرفة ، وتعريف الشباب بمشاكلهم وقضاياهم المصيرية والمستقبلية . .

نعم . . لقد كان الأجدر ذلك . . ولكن ـ يا للأسف ـ فإن الاستعمار والصهيونية العالمية ، وكذلك كل المنتفعين والمتاجرين . . وحتى المغفلين أيضاً ـ إن هؤلاء ـ هم الذين يريدون لهذا الشعب أن يمارس رياضة الخراب والدمار . .

رياضة التغفيل والاستحمار . . رياضة الغرور والأنانية . .

رياضة الضياع ، والجهل ، وهدر الطاقات والأوقات . .

رياضة . . الشقاء والبلاء . . رياضة الحقارة والتفاهة . .

نعم . . إن هؤلاء . . يريدون للشعب رياضة كهذه . .

ليتمكنوا من استعماره واستحماره . .

فمتى . . متى نستيقظ . . متى نعود إلى أنفسنا ، ونعرف واقعنا . . . ونفكر في مستقبلنا . . بجدية ، وحيوية ، وأناة . .

ربما توقظ الكلمة هجوداً .
وتهدي ضالاً وحيداً .

وتصنع مستقبلاً مجيداً.

فذكر . . فإن الذكرى تنفع المؤمنين .

والحمد لله رب العالمين . . وصلاته وسلامه على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين . .

من هم الخالدون

لا شك أن الخلود الحقيقي الخير المعطاء للإنسان ـ الفرد منه والجماعة ـ ليس مما يباع أو يوهب ، كما أنه ليس من الأمور العفوية ، ولا هو من مقتضيات الصدف وإنما هو مرهون بما يقدمه ذلك الإنسان من خدمات وما يقوم به من أعمال . . ولا شك أيضاً أن بقاء ووجود تلك الخدمات ، والأعمال مرهون ببقاء ووجود الهدف الذي كانت من أجله ، وفي سبيله . . وأنه كلما كان ذلك الهدف سامياً ونبيلاً كلما كان أكثر استمراراً وبقاء ، وليؤثر من ثم في استمرار وبقاء تلك التضحيات والخدمات التي كانت من أجله وفي سبيله .

ومن هنا يتضح جلياً . . أن الخلود والمجد الحقيقي الخير المعطاء ـ لا يكون بالقوة الجسدية ، كما لا يكون بجمال الوجه ، وحسن التكوين ، فإن ذلك وإن كان ربما يوجب مجداً وعظمة ، ويعطي استمراراً ، لكن هذا المجد والعظمة والبقاء متناه ومحدود قد وضع له نهاية منذ وضع له بداية ، كانت بدايته مع الجسد ، فلا جرم أن تكون نهايته مع نهاية ذلك الجسد نفسه ، وليتلاشى ـ من ثم ـ ويضمحل تبعاً لتلاشيه واضمحلاله .

وهكذا المال . . فإنه وإن كان ربما يتسبب بمجد ، واستمرار ، وبقاء ، لكنه محدود أيضاً ؛ حيث إنه مرهون بتلك العلقة القائمة بين المال وصاحبه ـ سواء جمعه صاحبه من أجل نفسه ، أو من أجل نفس المال ـ ، حتى إذا ما

ذهب أحدهما ـ المال أو صاحبه ـ ذهب ذلك المجد ، وتلاشى واضمحل ذلك الوجود ، وانتهى ذلك البقاء .

أما إذا سخرت القوة الجسدية ، والجمال ، والمال في سبيل هدف إنساني سام ونبيل ؛ فإنها ستخلد خلود ذلك الهدف السامي الذي يكمن فيه سر الخلود الحقيقي ، وستستمر وتبقى تبعاً لاستمراره وبقائه .

وإذن . . وإذا لم تكن القوة الجسدية ، ولا الجمال ، ولا المال مهما كثر ، ومهما ازداد، ليس كل ذلك ـ هو سر الخلود الحقيقي، فما هو إذن ذلك الهدف السامي والنبيل، الذي يكمن فيه سر الخلود الحقيقي، والذي يجب أن نعمل من أجله وفي سبيله؟

وهل الخلود منحة من الله عز وجل، يختص بها من يشاء وينزعها عمن يشاء ليست خاضعة لسلطة البشر ولا هي تحت اختيارهم؟ . .

كلا . . ونعم ، إنه منحة إلهية تتوج عملاً إيجابياً . ومن هنا نجد أن هذا السر قد حدده الإمام علي (ع) بكلمته الخالدة خلود الدهر ، حيث يقول :

« هلك خزان الأموال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر » .

حيث لا يقصد من هذه الكلمة وأمثالها مما ورد عن أهل بيت العصمة عليهم السلام ـ لا يقصد ـ ذم المال وجمعه ، ولا ذم المتمولين .

لا . . ليس المقصود منها هذا ، ولا ذاك . . حيث إن أئمتنا عليهم السلام لا يقولون لنا : إننا يجب أن لا نجمع المال ، وأن لا نكافح من أجله ، وأن لا نعمل في سبيله . . بل يقولون : إن المال ليس من القيمة بحيث يستحق أن نكرس له كل وجودنا ، وكل طاقاتنا ، وكل امكاناتنا ، بحيث يكون الهدف الأول والأخير لنا . . إنهم يقولون : إننا يجب أن نسعى وراء المال ، ونجهد في سبيل تحصيله ، لكن على أن يكون وسيلة لا على أن يكون غاية .

وبعبارة مختصرة : أن ائمتنا لا ينكرون أن المال ضرورة من ضرورات حياتنا ، لكنهم ينكرون علينا أن نهب له كل حياتنا .

وعليه فليس مقصوده (ع) من هذه الكلمة وأمثالها الابيان سر الخلود والبقاء في الحياة لهذا الإنسان ، وأنه هو العلم والفكر والمعرفة . لا من حيث أنه علم وفكر ومعرفة بل من حيث أن به يكون الإنسان إنساناً ، بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، وما تشتمل عليه من مداليل . . نعم . . إن الخلود والبقاء مرهون بالعلم النافع الذي لا جهل معه ، والفكر المبدع ، والمعرفة المعطاء .

نعم . . إن سر الخلود ، هو العلم الذي يتحكم بالقوة ، والفكر الذي يسير المال والمعرفة التي تفيد من الجهال . . إنه العلم والمعرفة والفكر الذي يسخر كل ذلك في خدمة ذلك الهدف العالي للإنسانية الذي يجب أن يكرس الإنسان له كل وجوده ، ويمنحه كل طاقاته ، ويهبه كل امكاناته .

نعم . . إن ذلك هو الحق ، إذ ما قيمة الجهال والقوة ، وهما يتلاشيان ، ويضمحلان بمجرد تلاشي الجسد الذي يحلان فيه واضمحلاله . . وأيضاً ما قيمة المال ، إن لم يكن له عقل يحرسه ، ومعرفة تدبره ، وفكر يحدب عليه ويذب عنه ؛ قال أمير المؤمنين عليه السلام : « يا كميل العلم خير من المال ، العلم يحرسك ، وأنت تحرس المال » .

ومن هنا حكم عليه السلام على خزان الأموال بالهلاك حتى في حال حياتهم ؛ حيث إن خازن المال ليس أكثر من مجرد حارس له ، لا قيمة له أبداً ، بل يكرهه الناس ويمقتونه . . يمقتون وجوده ؛ حيث يمنعهم من الوصول لذلك المال الذي تشتهيه نفوسهم ، وتطمح له عيونهم ، والذي لو لا وجود ذلك الحارس لأمكن أن يكون لهم ، وتحت سلطتهم واختيارهم .

إن الوجود الحقيقي للمال وليس لصاحبه . . كما أن القوي ذا البطش ، يكون الوجود الحقيقي لعصاه وليس له ، وهكذا . . فإنه بمجرد أن يفقد هذا عصاه فسيفقد نفسه ، وبمجرد أن يفقد ذاك ماله فسيفقد نفسه أيضاً .

أعود لأقول : إن من يجمع المال من أجل المال ، أو من أجل نفسه ، فإن الوجود الحقيقي للمال وليس له . أما هو ، فإنه عدم لا وجود له ، محكوم عليه بالهلاك والفناء حتى في حال حياته بمجرد هلاك ذلك المال . بل هو هالك حتى مع

بقاء ذلك المال . لا يرد عنه ماله شيئاً ولا يدفع .

بل قد يسوقه نفس ماله ـ من حيث يعلم أو من حيث لا يعلم ـ إلى الهلاك والدمار والفناء ، وذلك عندما يستعمله في شهواته الحيوانية ، ولـذاته الشخصية ومآربه الفردية ، ممـا يـعود عليه بالضرر كل الضرر ، وبالبلاء كل البلاء . . . وكذلك عندما يسرف في انفاقه ، ويبذر فيه ، حتى إذا ما فقده أحرقته نار الندم ، وتلظى جحيم الحسرة ، حيث لا تفيده الحسرة ، ولا يجديه الندم .

بل قد يكون المال سبباً في تدمير أمم طالما عانت وكافحت ، وناضلت القرون والقرون من أجل نفسها ، اقتصادياً ، واجتماعياً ، ومعنوياً ؛ حيث تفقد جميع ما تملك ، مهما كان عظيماً وجسيماً ـ تفقده ـ في نزوة من نزوات جهلها ، وقصور نظرها ، وقلة معرفتها . تسلمه ـ وهي من ورائـه ـ للفناء والـدمار والعدم .

وهكذا . . فإن الأمم لا يمكن أن تقاس بمقدار ما تملك من مال ونوال فحسب وإنما يجب أن تقاس بالإضافة إلى ذلك بمقدار ما تملكه من علم ومعرفة وطاقة فكرية .

وأخيراً هذا حال خزان الأموال فإنهم هالكون حتى في حياتهم . أما العلماء فإنهم باقون ما بقي الدهر ، باقون ما دامت الإنسانية بحاجة إلى علم وفكر ومعرفة ، باقون بأفكارهم ، باقون بتعاليمهم ، باقون بانسانيتهم الرفيعة المثلى .

وبعد كل ما تقدم . . يظهر لنا سرّ كون « مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء » .

مع أن دماء الشهداء خالدة باقية بمقتضى قوله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ .

ومداد العلماء خالد أيضاً . . بل ان خلوده يفضل خلود دماء الشهداء ، ويزيد عليه ؛ لأن تقديم الفكر والعلم والمعرفة في خدمة مبدأ ، أو أمة ، يفضل كثيراً تقديم الجسد في سبيل ذلك المبدأ ، ومن أجل تلك الأمة . . لأن الجسد

كالمال ـ وإن كان أعز من المال ـ لا يقدم أكثر من مرة واحدة ، ولا يخدم أمته أكثر من مرة واحدة ، وبعد ذلك لا يعود صالحاً للتقديم ، ولا قابلاً للخدمة . أما الفكر والمعرفة والعلم فإنه يبقى على مر الزمن قابلاً للخدمة ، وصالحاً للتقديم .

نحن لا ننكر أن تقديم الجسد ، وخدمة الأمة بواسطته سبيل للخلود والبقاء ، لكننا نقول : إن الذي يفضل ذلك ، ويزيد عليه هو تقديم العلم والفكر ، والمعرفة ، ووقفها في خدمة الأمة ، ومن أجلها . وفي سبيل الإنسان ، لا من حيث هو جسد ، بل من حيث هو إنسان .

وهكذا نرى . . أن الإسلام لم يمجد ذاتاً ، بقدر ما مجد فكراً تنطوي عليه تلك الذات . . وأن الإسلام لم يمجد إنساناً ، وإنما مجد الإنسانية في الإنسان . . . فقد « هلك خزان الأموال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر » .

أبحاث حول المرأة

المرأة المسلمة في مواجهة الطاغوت .
ملكة جمال الإسلام .
المرأة والرجل .



بسم الله الرحمن الرحيم

المرأة المسلمة في مواجهة الطاغوت

ليس غريباً إذا قلنا : إننا حينما نتمثل المرأة بشكل طبيعي . . فإنما نتمثل هذا الموجود الضعيف الطيب ، الذي يفيض رقة وحناناً . . ولربما لا يخطر لنا على بال أن نجد لها من المواقف والأدوار إلا ما ينسجم مع تلك الرقة ، ويتلاءم مع ذلك الحنان . . وأما أن نتوقع منها المواقف الجريئة ، والحازمة ، فربما ، ولكن لا إلى الحد الذي تجاري فيه الرجل مثلاً عموماً . .

هذا . . وأما المرأة في عالم اليوم . . بعد أن طغت عليها المادة وغرقت في حمأة الشهوات ، حتى أصبحت مثال المهانة والابتذال، بـأجلى صـوره وأدق معانيه . . ـ إذا أردنا أن نتمثلها ـ فإنما نتمثل ذلك الموجود الذي فقد كل شيء ، ولم يعد يملك مما يعتز به ، إلا عنصر الأنوثة الطاغي . . نعم . . لم يعد لديها مما تعتز به إلا انوثتها ، وبانوثتها هذه تستدر العطف والرحمة ، وبها تحصل على المال . . وبها وعلى أساسها تحاول التغلب على كل مشاكل الحياة وهي دون غيرها أصبحت تشكل أساس تعاملها مع الرجل ، وأساس كل روابطها به . . وأصبح ذلك هو عالمها الذي تعيش فيه ، وتدور في فلكه ، وتهيم في أجوائه . . وتقيّم كل الأمور على أساسه . . فترتبط بها أو تنفصل عنها من هذا المنطلق ، وعلى هذا الأساس . .

ولقد غاب عنها ـ مع كل أسف ـ أن هذا الشيء الذي ربطت حياتها

ومستقبلها ومصيرها به لا يلبث أن يتلاشى وينعدم ، ولتواجه من ثم مصاعب الحياة ومصائبها وهي لا تملك ـ بعد فقدها إياه على حسب منطقها ـ أي رصيد تستطيع أن تعتمد عليه في دفع الضرر عن نفسها أو على الأقل في تخفيف مشاكلها . .

لأن الرجل . . الذي زين لها ودفعها بشكل أو بآخر لأن تعتبر أنوثتها هي كل ما تملك ، وهي ما تستطيع فقط أن تعتمد عليه ـ إنما أراد وهو الذي لا مبدأ له إلا المال واللذة ـ ولا دين له إلا شهوته ومصلحته ـ أراد أن يتاجر بهذه الأنوثة ويستفيد عن طريقها المال . . أو يحصل على اللذة . . حتى إذا ذوت تلك الزهرة وذبلت ذهب ليبحث عن غيرها ، مما يحقق له مآربه ، ويوصله إلى أهدافه . . بأساليب أمكر ، وبتصميم أكثر وأكبر . . وليتركها هي في منتصف الطريق ،وحيدة فريدة ، رهينة البلاء والشقاء ، وأسيرة التعب والعناء . . لأنها قد ضحت بكل شيء في سبيل لا شيء .

والغريب في الأمر . . أنها لم تستطع أن تدرك أيضاً : أن هذه الأنوثة ، وذلك الجمال لم تحصل عليه باختيارها . . فاعتزازها إذن بأمر لا قدرة لها فيه ولا اختيار لها معه لا معنى له ، ولا منطق يساعده . . كما أنه لا مبرر لأن تأخذ على أساسه امتيازاً حتى ولو أدبياً تحرم منه مثيلاتها ممن لم يسعفهن الحظ بجمال بارع ، أو أنوثة صارخة . .

. . نعم . . لقد أصبحنا نجد أن المرأة في عالم اليوم لا تهتم إلا بما يبرز معالم فتنتها ، ويزيد من إثارتها . . فهي تعيش في عوالم الأزياء ، والمساحيق ، والموضة . . وتخشى باستمرار أن يسبقها الزمن ، وتتجاوزها الأيام . . فتفقد أعز شيء تملكه أو يفوتها الموديل الذي سوف تعتز به ، أو فقل تستعين به على إظهار ما تعتز به ، وعرضه في سوق المتاجرة فيها لا ينفع ولا يجدي ، ولا يجر على الإنسانية أي نفع أو فائدة إن لم يكن عكس ذلك هو الصحيح . .

أما الإسلام . . هذا الدين السماوي الخالد ، فلقد ألغى كل الامتيازات القائمة على أساس الفتنة والاغراء ، والاعتزاز بالأنوثة .

واعتبر أن أساس التفاضل بين بني الإنسان هو التقوى ورضا الله

والأخلاق الرفيعة والفاضلة الرضية نعم لقد جعل العمل هو الميزان والمقياس وجعل الأساس للاعتزاز به لكل الناس بما فيهم المرأة هو الهدف الذي من أجله وفي سبيله يكون ذلك العمل فكلما كان الهدف سامياً ورفيعاً كلما كان ذلك مصدر اعتزاز وتقدير للإنسان . .

وحيث إن العقيدة الإسلامية هي التي تمثل أرفع المبادىء وأسماها . . . وأجل الأهداف وأعلاها . . فإن من الطبيعي : أن يكون لنسبة التمسك بمبادىء الإسلام ، وحجم العمل من أجله وفي سبيله . . أثر كبير في الحصول على الامتيازات ، والاستحقاق للتقدير والاحترام في مختلف المجالات . . والدين والعقيدة والإسلام إذا كان هدفاً للإنسان أي إنسان . . فإنه لا ينفك في أي من الظروف والأحوال عن أن يكون مصدراً لعزته وشرفه وسؤدده سواء في حال شبابه أو في حال طفولته ، أو في حال هرمه وشيخوخته . . وسواء أكان جميل المنظر جذاباً أو غير جميل ولا جذاب ، وسواء أكان غنياً أو كان فقيراً وهكذا . . فهو له ومعه في كل ظرف وفي كل حين . . معه في هرمه كما كان معه في شبابه . . معه في قوته كما هو معه في ضعفه ، معه في غناه كما هو معه في فقره . . وعلى هذه فقس ما سواها . .

وإننا حينما نعتبره له ومعه . . فإنما يعني ذلك : أنه معه وله بكل ما لهذه الكلمة من معنى يتفاعل معه وينسجم معه ويعيش له ويعمل له ويفني فيه وجوده، وتذوب فيه شخصيته، ويجري فيه مجرى الدم. . ويتحكم بوجوده تحكم الروح بالجسد، وبكلمة: أن يعود في الحقيقة إسلاماً حياً يمشي على وجه الأرض. .

ولا يمكن أن يكون الذوبان في الإسلام ، وتجسد الإسلام ، خيالاً عذباً يراود مخيلتنا من حين لآخر . كما أنه لا يجوز أن نعتبر أن الذوبان في الإسلام والتفاعل معه لا يتيسر إلا للأنبياء وأوصيائهم . . فلقد ربى النبي (ص) وكذلك علي عليه السلام من بعده ، وبعده الأئمة المعصومون من أبنائه عليهم السلام ـ لقد ربوا ـ الكثير الكثير من هذه النماذج الحية للإسلام ، التي تعيش الإسلام بكل وجودها وكيانها وتفديه بكل ما تملك من غالٍ ونفيس . . لقد ربوا

الكثيرين ليس رجالاً فحسب وإنما رجالاً ونساء . .

. . فكانت النساء كالرجال في إيمانها وتضحياتها ومواقفها . نعم كالرجال . . بل ولقد زدن عليهم . . وحينها ننظر إلى تلكم النساء اللواتي صنعهن الإسلام . . فلا نكاد نعثر ، ولا يمكن أن نعثر على واحدة منهن تعتبر المصدر لعزتها وسؤددها هو جمالها وأنوثتها أو فستانها أو مساحيقها ولا نكاد نجد فيهن شيئاً من ملامح الضعف والوهن . . بل هن يكدن يذبن حناناً ورقة في موضع الرقة والحنان . . وهن تزول الجبال ولا يزلن ولا تزعزعهن الرياح العواصف في موقع الحزم والصبر والشجاعة وهن يضحين بكل شيء مهما عز وغلا في موضع التضحية والفداء . .

ولنا في تاريخ الإسلام الكثير من الأمثلة على ذلك . . ولا نريد أن نذكر فاطمة صلوات الله وسلامه عليها ومواقفها السياسية والعقيدية ولا نريد أن نذكر خديجة وصبرها وتضحياتها . .

وإنما نكتفي بالإشارة إلى موقف واحد من مواقف بنت فاطمة وعلي (ع) وأخت سيد الشهداء الحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليه . .

إنها زينب عقيلة بني هاشم وبطلة كربلاء . .

زينب . . التي كانت تعتز بدينها وعقيدتها . . وتعتز بخلقها الرضي وسجاياها الرفيعة ، وأدبها الجم . . زينب . . التي كانت تعتز بسلوكها المثالي ، ومواقفها الرائدة ، وعلمها النافع ورأيها الحصيف . . زينب . . التي كانت أبعد ما تكون عن حب المال والجاه والشهرة . . زينب التي كانت أبعد ما تكون عن الميوعة والابتذال والمهانة . . زينب . . التي كانت لا تعرف الأزياء ولا فواتير الطعام ولا غير ذلك مما يعرفه فتيات ونساء اليوم . .

زينب هذه . . قد صنعت في مصنع الإسلام ، وربيت تربية الإسلام وعاشت الإسلام عقيدة وسلوكاً وهدفاً . .

نعم . . زينب هذه . . لها مواقف ومواقف أين منها مواقف افذاذ

الرجال ، وعظماء التاريخ . . لها مواقف ومواقف في كربلاء ، وفي الكوفة وفي المدينة . . وفي الشام . . وفي كل مكان تواجدت فيه . .

ولن نستطيع أن نستوفي الحديث عن مواقف زينب الرائعة والرائدة ولا أن نلم ببطولاتها النادرة . . ولذا فنحن نكتفي بتسجيل لمحات عن موقفها في الشام مع يزيد الطاغية . . وبالأخص تسجيل مقارنة سريعة بين موقفي كل من : زينب الحق والخير والمعرفة والوعي . ويزيد الخمور والفجور والظلم والطغيان والجبروت .

فيزيد . . هو صاحب الجاه والسلطان . . ويرى نفسه ملكاً على أعظم امبراطورية في العالم ، والناس كلهم تحت طاعته ، ورهن إشارته . .

ويزيد يملك الرجال ، والجيوش التي تدافع عنه وتحمي سلطانه ، وتخنق كل صوت يرتفع ضده ، وتسحق كل مخالف ومناوىء له . . ويستطيع أن يضرب بيد من حديد ويقضي على كل حركة أو إشارة من أعدائه .

ويزيد . . يملك مقدرات أعظم دولة على وجه الأرض . . وكل الأموال الهائلة تجبى إليه من أقطار الأرض ، فالمال كل المال له ، وبين يديه ، ومن أجله وفي سبيله .

ويزيد هذا الذي يرى نفسه أعظم رجل على وجه الأرض ويملك كل أساليب القوة والقهر والسلطان . . يرى نفسه أيضاً أنه هو المنتصر الفاتح ، ويرى أن انتصاره كان سريعاً وساحقاً . . وهذا مما يزيد في غروره وطغيانه : وتجبره ، وغطرسته .

ويزيد . . لم يعرف غير النعيم والرخاء ، والطاعة العمياء من كل من حوله . .

ويزيد . . في وطنه وفي بلده . . حيث نشأ وعاش وتربى . . ولا يحس بغربة ، ولا بوحشة . .

ويزيد . . يرى الدنيا تضحك له ويرى نفسه قادماً على مستقبل مشرق

رغيد ، يجد فيه كل أحلامه وأمانيه ومشتهياته . .

ويزيد في أعز مكان يمكن أن يكون فيه : على تخت ملكه ، وفي قصره وفي مجلسه ، وعلى بساطه . .

ويزيد . . لم يفقد أحداً من أعزائه وأحبائه في حرب كربلاء ، ليفت فقده في عضده ويجرح كبرياءه ، ويخفف من عنجهيته .

ويزيد . . رجل وشاب . . والرجل بطبيعته ـ وبالأخص إذا كان شاباً ـ أقوى على تحمل المصاعب ، ومواجهة المشكلات من المرأة ، وأقدر منها على مواجهة الصدمات ولا سيما العاطفية منها .

ويزيد . . الرجل الشاب الفاتك ، ذو البطش ، الذي لم يكن ليقف في وجهه شيء ولا يمنعه شيء حتى الدين من أن يرتكب أي عظيمة ، ويقترف أي جريمة ولا يخاف شيئاً ، ولا يرهب من شيء في سبيل ملكه وكبريائه . . بل هو يقتل حتى أبناء الأنبياء ، وحتى الشيوخ والأطفال الرضع ، وحتى النساء في سبيل وصوله إلى أهدافه ، وحصوله على مراداته ، مهما كانت رخيصة ، وغير معقولة . .

يزيد هذا . . يقف في وجهه خصم عنيد ، ومكافح شديد ، ويهينه ويذله ، ويبدو هو أمامه خانعاً عاجزاً مقهوراً . . ومما يزيد في مرارة الموقف ، ولوعته وألمه أن خصمه في هذه المرة كان «إمرأة» . .

نعم . . امرأة . . والمرأة أضعف من الرجل وأرق . . كما يقولون وأقل تحملاً في مواجهة الصدمات العاطفية كما يعتقدون . .

وامرأة . . مثكولة ، ومصابة بأولادها ، بأخوتها ، بأبنائهم ، بنجوم الأرض من بني عبد المطلب وبخيرة أصحابهم وشيعتهم ومحبيهم . .

وامرأة . . ليس فقط مثكولة بمن ذكرنا ، وإنما هي بنفسها رأت مصارعهم وشاهدت بأم عينها حالتهم البشعة ، والتي تقرح القلوب وتدميها . . . نعم رأت مصارعهم ورافقت كل الأحداث والمصائب التي مرت عليهم . .

وامرأة . . وحيدة ، ليس معها من حماتها حمي ، ولا من رجالها ولي . .

وليس لها جيش يحامي عنها ، أو يدفع . . ولا بيدها سلاح تملكه أو تلجأ إليه .

امرأة . . ليست تملك من المال شيئاً تسد به رمقها ، ورمق من هي مسؤولة عنه ، بل تحتاج إلى أعدائها ليساعدوها على حفظ رمق الحياة ومواجهة عقارب الجوع والعطش اللاسعة، والتي لا ترحم أحداً، ولا ترثي لأحد. .

وامرأة . . تعاني من ذل الغربة ، ووحشة الدار . . وليس فقط الغربة عن بلدها . . بل هي في بلد عدوها وفي يده وتحت سلطته وسلطانه . .

وامرأة . . مهزومة عسكرياً أيضاً .

وامرأة . . تعاني من ذل القهر والأسر بالإضافة إلى ذل الهزيمة العسكرية .

امرأة . . تجد الشماتة القاتلة من أهل الشام بها . . حتى لتزين دمشق استبشاراً بالانتصار عليها وعلى احبتها وبقتلهم وإبادة خضرائهم . .

امرأة . . ترافقها رؤوس أبنائها واخوتها وغيرهم من أحبتها طول الطريق على رؤوس الرماح . بشكل يفتت الأكباد ويدمي القلوب . .

امرأة . . هي بالإضافة إلى كل ذلك تتحمل مسؤولية الحفاظ على طائفة كبيرة من الأرامل والأيتام والأسرى والأطفال. . وقضاء حاجاتهم والإشراف على كل حركاتهم . .

وامرأة . . قد عانت من مشاق السفر ومتاعبه ما فيه الكفاية. .

وامرأة . . لم يكن لها سلطان أو ملك تعتز به ، أو تعتمد عليه . .

. وامرأة . . تقدم على مستقبل مجهول وقاتم ولا تعرف مصيرها فيه ولا مصير كل أهلها وذويها . .

وامرأة . . لم تعرف البذخ والترف والنعيم والرخاء ، كما كان الحال

بالنسبة لبنات الملوك وأبنائهم .

امرأة . . مهما توقعنا منها . . فإننا لا نتوقع إلا أن تنهار ، وتنهزم وتبكي وتنتحب وتعجز . .

نعم . . هذه المرأة بالذات ، وبهذه الخصائص والمميزات تقف في وجه الطاغية يزيد لتذله ، وتسحق شخصيته ووجوده بقدميها ـ تقف في وجهه ، والمواجهة أصعب من الغيبة وعلى بساطه وفي دار ملكه . ويزيد هو من قدمنا تقف وبقوة إيمانها ، وصادق عزيمتها لتقول له ، وللعالم أجمع : إنها هي التي انتصرت في المعركة ، ويزيد ـ يزيد فقط هو الخاسر المغبون ولا خاسر غيره . .

تقف أمام يزيد لتؤدي رسالتها ، ولتعطي الصورة الحقيقية للمرأة المسلمة الواعية ، التي لا تتصرف بوحي من عاطفة ، ولا يطغى على مواقفها العجز ، ولا الضعف والوهن . .

نعم . . هذه المرأة تقف في وجه يزيد ، وفي دار ملكه ، وعلى بساطه وبين جنده ، ورجال مملكته ، وهي تعاني من ذل الأسر ، والقهر ، والعدم والثكل . . تقف في وجهه لتقول له ـ عندما سمعته يتمثل بأبيات ابن الزبعري :

ليت أشياخي ببدر شهدوا — جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً — ثم قالوا : يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم — وعدلناه ببدر فاعتدل

ثم زاد عليها قوله :

لعبت هاشم بالملك فلا — خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف إن لم انتقم — من بني أحمد ما كان فعل

تقف لتقول له ـ على ما ذكره طيفور في بلاغات النساء / ص ٢١ والخوارزمي في مقتل الحسين / ج ٢ ص ٦٤ :

« الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين صدق الله سبحانه ، حيث يقول : « ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات

الله ، وكانوا بها يستهزؤون». أظننت يا يزيد ، حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء ، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى : أن بنا هواناً على الله ، وبك عليه كرامة ؟ وأن ذلك لعظم خطرك عنده ، فشمخت بأنفك ، ونظرت في عطفك ، جذلان مسروراً ، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة ، والأمور متسقة . وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا ، فمهلاً مهلاً ، أنسيت قول الله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيراً لأنفسهم ، إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين﴾.

أمن العدل يا ابن الطلقاء ، تخديرك حرائرك ، واماءك ، وسوقك بنات رسول الله سبايا ؟ قد هتكت ستورهن ، وأبديت وجوههن ، تحدوا بهن الأعداء من بلد إلى بلد ، ويستشرفهن أهل المناهل والمعاقل ، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد ، والدني والشريف ، ليس معهن من حماتهن حمي ، ولا من رجالهن ولي . .

وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء، ونبت لحمه من دماء الشهداء ؟! .

وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن والإحن ، والاضغان ؟! .

ثم تقول غير متأثم ، ولا مستعظم :

لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا : يا يزيد لا تشل

منحنياً على ثنايا أبي عبد الله ، سيد شباب أهل الجنة ، تنكتها بمخصرتك ، وكيف لا تقول ذلك ، وقد نكأت القرحة ، واستأصلت الشأفة ، باراقتك دماء ذرية محمد صلى الله عليه وآله ، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب ؟! .

وتهتف باشياخك ، زعمت أنك تناديهم ، فلتردن وشيكاً موردهم ، ولتودن أنك شللت وبكمت ، ولم تكن قلت ما قلت ، وفعلت ما فعلت .

اللهم ، خذ لنا بحقنا ، وانتقم ممن ظلمنا ، وأحل غضبك بمن سفك دماءنا ، وقتل حماتنا . .

فوالله ، ما فريت إلا جلدك ، ولا حززت إلا لحمك ، ولتردن على رسول الله صلى الله عليه وآله بما تحملت من سفك دماء ذريته ، وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته ، حيث يجمع الله شملهم ، ويلم شعثهم ، ويأخذ بحقهم : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ، بل أحياء عند ربهم يرزقون . . ﴾ .

وحسبك بالله حاكماً ، وبمحمد صلى الله عليه وآله خصيماً ، وبجبرئيل ظهيراً ، وسيعلم من سول لك ، ومكنك من رقاب المسلمين ، بئس للظالمين بدلاً ، وأيكم شر مكاناً ، وأضعف جنداً . .

ولئن جرت علي الدواهي مخاطبتك ، إني لأستصغر قدرك ، وأستعظم تقريعك ، واستكثر توبيخك ، لكن العيون عبرى ، والصدور حرى . .

ألا فالعجب كل العجب !! لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء ، فهذه الأيدي تنطف من دمائنا ، والأفواه تتحلب من لحومنا ، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل ، وتعفرها أمهات الفراعل . . ولئن اتخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرماً ، حين لا تجد إلا ما قدمت يداك ، وما ربك بظلام للعبيد ، وإلى الله المشتكى ، وعليه المعول . .

فكيد كيدك ، واسع سعيك ، وناصب جهدك ، فوالله ، لا تمحو ذكرنا ، ولا تميت وحينا ، ولا يرحض عنك عارها . . وهل رأيك إلا فند ، وأيامك إلا عدد ، وجمعك إلا بدد ، يوم ينادي المنادي : ألا لعنة الله على الظالمين . .

والحمد لله رب العالمين الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة ولآخرنا بالشهادة والرحمة . ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب ، ويوجب لهم المزيد ، ويحسن علينا الخلافة ، إنه رحيم ودود ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . .

فلم يجد يزيد ـ الذي صعق لهول الصدمة ، وارتبك ، ودهش ـ لم يجد في

جوابها إلا أن يقول ؛

يا صيحة تحمد من صوائح   ما أهون النوح على النوائح

ومن موقفها هنا وموقفها مع الطاغية ابن زياد . . وأيضاً حينما مشت بقدم ثابتة إلى مصرع أخيها الحسين حيث وضعت يديها تحت جثته واستقبلت السماء لتقول: اللهم تقبل منا هذا القربان. من كل ذلك نعرف سر قول الحسين عليه السلام هو يتوجه إلى كربلاء حينما سئل عن حمله النساء والأطفال معه وهو يعلم أنه يقتل ، يقول : إن الله شاء أن يراهن سبايا .

هذه هي المرأة المسلمة . . التي عاشت الإسلام عقيدة وسلوكاً وهدفاً ، وتفاعلت معه . . وذاب وجودها فيه . . قوية حازمة في موقع الحزم والقوة ، صابرة محتسبة في موضع الصبر والاحتساب . . وهي أيضاً تفيض رقة وحناناً ، حينما يكون ثمة حاجة إلى الحنان والرقة . .

هذه هي المرأة المسلمة ، تمثل المستوى الأعلى للوعي الرسالي . . سياسياً ، واجتماعياً ، وأخلاقياً ، وتربوياً . . إنها مثال الإنسان الكامل . . الذي يسخر بكل الرجال المنحرفين وبالطغاة والمتجبرين . . ويسحق وجودهم ، وجبروتهم . . والذي يتفاعل مع الأحداث ، ويشارك في صنع مستقبل الأمة بإخلاص ووعي وجدية . .

ونحن الآن بأمس الحاجة إلى هذه المرأة المسلمة ، التي تستهدي بهدى الإسلام ، وتتأثر خطى زينب ، وتقف مواقف فاطمة ، وتضحي تضحيات خديجة . .

ونحن في غنى عن هذه المرأة الحاقدة المعقدة التي تمثل الميوعة والسخف بأجلى مظاهرها ، ولا تعتز إلا بأنوثتها ، ولا تهتم إلا بمظاهر فتنتها . .

نعم . . لا نريد المرأة التي لا تعرف إلا البلاجات ، والبارات والمسارح ودور الأزياء . . نحن في غنى عن هذه المرأة ، ولسنا بحاجة إليها . . إنها ضرر ودمار على المجتمع والأمة . . وهي أكبر وأخطر من كل سلاح فتاك يتهدد وجود ومستقبل المجتمعات البشرية جمعاء . .

إننا نريد المرأة التي تعتز بدينها وعقيدتها ، وبوعيها ، وبأخلاقها الرضية وسجاياها الكريمة .. وتضحي بكل ما تملك حتى بوجودها في سبيل أهدافها العليا ، وقيمها النبيلة .. نريد المرأة التي تتأثر خطى زينب بنت علي عليه السلام ، وتسير على منهاجها وتؤمن برسالتها ..

مصادر البحث

١ ـ بلاغات النساء .... لطيفور

٢ ـ مقتل الحسين .... للخوارزمي

ملكة جمال الإسلام

لم يعد غريباً ولا مستهجناً أن نرى الناس في هذا العصر ينتخبون في كل عام ملكة جمال العالم ، ثم أن نرى الشعوب والدول وحتى المؤسسات العامة والخاصة تنتخب ملكة جمال من بين فتياتها . .

ولم نرهم يعيرون الكثير من الاعتناء للاحتمال الذي يقول : إن هذا الانتخاب غير صحيح لأنه لم يتم من بين جميع فتيات العالم ، كما أنه ظالم بالنسبة لأولئك اللواتي لم تتح لهن ظروفهن الاجتماعية أو غيرها الاشتراك بالمسابقة التي يتم التعيين فيها . .

وتتكون عادة هيئة منتخبة تقوم بإجراء الفحوصات والقياسات اللازمة لمختلف أجزاء جسم الفتيات المرشحات ، وبعد أن يأخذوا بعين الاعتبار ما تحسنه الفتاة من الفنون الحديثة كاللغة الانكليزية ونحوها وكالرقص وركوب الدراجة ولعب كرة القدم هواياتها . . وما شاكل . . وبعد الجمع والتقسيم تعين واحدة لتكون هي المثال للمرأة التي يجب أن تكون كل الفتيات على مثالها وعلى نهجها ، ثم تعطى المداليات وتعلق لها الأوسمة ، كما وتقدم لها الشهادة بمثابة وثيقة تجمع نوعية المفاهيم التي ارتضوها لأنفسهم ليعيشوا في ظلها وعلى أساسها . .

فكأنهم يقولون بذلك لبنات العالم : إن على كل فتاة أن تحسن الرقص

وركوب الدراجة وقيادة السيارة واللغة الانكليزية لتسطيع أن تكون من بين من يمكن أن يسعفها الحظ وتحظى بالحلم السعيد ، وهو أن تكون ملكة جمال شعبها أو العالم بأسره . فعملهم هذا يكون في الحقيقة دفعاً للفتيات نحو مثل هذه الأمور الخيالية الوهمية وترجيحها على كل شيء . . .

ويقولون لهن أيضاً: إنه لا مانع من أن تستسلم الفتاة لكل النظرات البهيمية واللمسات الشهوية التي لا بد وأن تتعرض لها من قبيل هيئة التحكيم عندما تكون شبه عارية أمامها ومظهرة لكل كنوزها التي يجب أن تكون مستورة عن كل ابتذال وامتهان ، ولا مانع أبداً من أن تنحر كل فضيلة في سبيل ذلك ، وأن تضيع جهود جميع الأنبياء والمرسلين ورجال الفضيلة والإصلاح الذين ضحوا بكل غالٍ ونفيس في سبيل إصلاح هذا العالم من أول التاريخ . . وإلى يومنا هذا . .

والفتيات لا يستطعن إلا أن يصدقن بصحة هذا الخيال وينجرفن مع التيار الذي لم يرحمهن في السابق وكذلك هو لا يرحمهن في اللاحق ولن يكون غيرهن ضحية رخيصة له ، فيهملن كل شيء ويعتقدون أن كل ما في الدنيا ليس إلا ما جاء في فاتورة هيئة الانتخاب ، ويحاولن أن لا يكون في العالم أعرف منهن بما جاء فيها . . ولا يـفكرن بالفائدة التي تترتب على أن يحسن ركوب الدراجة أو الرقص أو كرة القدم أو السباحة أو ما شاكل ، ولا يسألن أنفسهن هل أن ذلك يوجب تفوقهن وامتيازهن على جميع بنات جنسهن أم لا ؟ .

هذا كله لو كان لهن جمال يتمكن معه من الاشتراك في المسابقة وإلا فلسوف يـنقمن على خالقهن الذي لم يمنحهن ما منح سواهن مع أنهن لا ذنب لهن معه . انهن لا يقدرن أن الفتاة عندما تبذل ما تبذل من شرفها وعفتها وعندما تصرف جهدها لمثل هذه الأمور الزائفة ، وعندما تقع فريسة بين أيدي أعداء الإنسان والإنسانية إنها تكون في الحقيقة بذلك إنما تتنازل عن ما يؤهلها واقعاً لأن تكون الملكة الحقيقية لكل فتيات العالم . .

إن حقيقة الأمر هي أن الدعاية لهذه الأمور ونشر الصور في المجلات التي

تستدر الأموال من مثل هذه الطرق الرخيصة . . قد ضيعت الفرصة على الفتيات للتفكير والتأمل في هذا الأمر الذي يمس شرف الإنسان وكرامته ويؤثر على مستقبله من مختلف الجهات تأثيراً بالغاً وأساسياً وحتى مصيرياً أيضاً ، وليس ذلك إلا من أجل أن يجد الدرهم والدينار السبيل إلى جيوب فئة تستفيد من مثل هذه الأمور الدعائية إلى مجلاتهم أو جلب الزبائن لسلعهم ومنتجاتهم فيهيمنوا على أفكار الناس وخصوصاً الشباب ، ولم يعطوها الفرصة لتقييم الموقف والتأمل في هذا الأمر ليدركوا بفطرتهم أن جمال الصورة وبهاء الوجه وتناسق الأعضاء لا يمكن أن يعطى لأي كائن امتيازاً على أي كائن آخر . . لأن ذلك أمر غير اختياري ولا معنى لأن نعطي الميداليات والأوسمة لشخص على أمر لم يحصل عليه باختياره ، وليس هذا إلا كتفضيل الناس بعضهم على بعض على أساس العرق والنسب واللون مع أن ذلك لم يكن اختيارياً لهم ، فتمجيد هذا ليس إلا كتمجيد ذاك والميدالية والوسام لشخص من أجل جماله وحسن صورته لا تقل سوءاً عن التمييز العنصري الذي يجعل اللون أو العرق أساساً للتمييز والتفاضل . . لكن الفرق أن الأول ينخدع الناس به وينساقون وراءه بدافع شهواني غريزي يهيمن عليهم ويسيطر على شعورهم دون الثاني ولذ كانت الدعاية والطنطنات والعنعنات له دونه . والذي يجب أن يكون هو أن نعطي الميدالية والأوسمة على أمر اختياري يكون للإنسان ونشاطه أثر في الحصول عليه والوصول إليه ، ليستحق التقدير على الجهد الذي قام به والعمل الذي أداه ، وليكون ذلك من ثم خطوة أولى على طريق وضع الإنسان في خط العمل المنتج من أجل خير البشرية وتقدمها، ولدفع مستواها في مختلف الأصعدة . لكن الإسلام وهو دين الفطرة والمطلع على كل الشؤون والغرائز والطبائع البشرية قد قرر أن التمايز والتفاضل ليس إلا بالمزايا الفاضلة ، وبالخلق الرضي الكريم ، والعمل الخير البناء . .

إنه يعتبر أن الفتاة التي يجب أن تعطى الأوسمة والميداليات هي تلك الفتاة الواعية الطاهرة النقية التي تعرف كيف تقوم بواجبها تجاه خالقها وتجاه أسرتها وتجاه زوجها وأطفالها ومن ثم تجاه مجتمعها . ومن هنا نرى القرآن يتحدث عن أن الله يمتدح مريم لأنها : ﴿ صدقت بكلمات ربها وكانت من القانتين ﴾ (آخر

سورة التحريم) ولنتأمل بعمق قوله : ﴿ من القانتين ﴾ حيث جعلها مع الرجال ، حيث إنها لا تقصر عنهم في شيء ، ثم يعلن أنه تقبلها بقبول حسن وانبتها نباتاً حسناً لأنه طهرها ، قال تعالى : ﴿ وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ﴾ (آل عمران : ٤٧) فقوله : ﴿ وطهرك ﴾ بين قوليه : ﴿ واصطفاك ﴾ يشعر بأن سبب اصطفائه لها على نساء العالمين هو طهارتها من كل ما هو مشين ومن كل النواقص والعيوب ، ولقد كان من صفات مريم الحميدة التي يمدحها عليها القرآن أنها عندما رأت الملاك متمثلاً لها ارتجفت وقالت : « إني أعوذ بالرحمٰن منك » هكذا يجب أن تكون المرأة الفاضلة الطاهرة تخشى حتى من مجرد رؤية الرجل . فهل يصح أن ننظر إلى حالة فتيات اليوم اللواتي لا يهنأ لهن عيش إلا في أحضان الرجال ، ولا يعرفن الحياة إلا على البلاجات وفي البارات والمسابح .

وبذلك يعلن الإسلام رأيه في الفتاة التي يجب أن تكون قدوة لكل فتيات العالم ، كما ويعلن رأيه في الأسس التي يجب أن يقوم عليها اختيار تلك الفتاة القدوة .

ومن هنا فإننا نرى أن من حقنا أن نلوم المسيحيين الذين ابتدعوا فكرة ملكة الجمال كل اللوم ونقول لهم : لماذا لم تجعلوا مريم قدوة؟ وهل كان تفوق مريم على نساء العالمين بالرقص أو ركوب الدراجة أم بالسباحة أم بأي شيء مما جعلتموه ملاكاً ومثالاً لأفضل وخير فتاة في العالم ؟! أليس تفوق مريم على نساء العالم كان بعفتها وطهارتها وقيامها بواجباتها كاملة تجاه كل من له حق تجاهها ؟! ولماذا لا تختارون من كانت مثل مريم في العفة والنزاهة والطهر والعمل الخير ؟! .

وللمسلمين والمسلمات نقول : لماذا لا تنتخبون مثل فاطمة (ع) التي هي أفضل من مريم وأفضل من كل نساء العالمين الأولين والآخرين ؟! فاطمة التي تمثل الوعي الإسلامي الأصيل والطهر بأسمى معانيه ، والتي لم تكن تخدعها زبارج الحياة وبهارجها، تماماً على عكس بنات اليوم . . فاطمة التي كانت تأكل خبز

الشعير وتلبس الخشن ولم يكن في بيتها غسالة ولا بـراد، وليس لها سيارة ولا غير ذلك .

أما بنات اليوم فلعل ما نشرته إحدى صحف إيران في العهد البائد يعطي صورة أفضل من أي تعبير آخر عن المستوى الذي تعيشه بنات اليوم ، وعن الذهنية التي تحملها ، يقول النبأ : إن إحدى الفتيات التي تدعي الفهم والمدنية اقترنت بشاب من نوعها وعلى شاكلتها ، ولكنها ما لبثت أن عادت إلى المحكمة من جديد وطلبت الطلاق وأصرت عليه ، على اعتبار أن زوجها كان قد وعدها أن تكون سيارتها من اللون الفلاني ثم تبين أنها ليست من ذلك اللون !! أهلاً وسهلاً بالحضارة والمدنية التي من هذا القبيل .



المرأة .. والرجل

لم يعد خافياً على أحد : أن المرأة قبل الإسلام كانت مسلوبة الاختيار في شتى مجالات الحياة ، وكانت قيمتها في تلك المجتمعات هي اللاشيء ، يساوم عليها ، وتباع وتشرى سلعة رخيصة ، كسائر ما يمتلكه الإنسان ويقع تحت سيطرته . . بل كانت ـ حسب اعتقادهم ـ مجلبة للعار ، ومظنة للخيانة .

تلك هي الكتب التاريخية تحدثنا أحاديث مؤلمة ، ـ يندي لها جبين الإنسان الحر خجلاً ـ عن الجرائم التي كانت ترتكبها تلك المجتمعات بحق المرأة . . حتى إنه كان يهون على الرجل وأد فلذة كبده إذا بشر بأنها انثى . ﴿وإذا الموؤودة سئلت بأي ذنب قتلت﴾ .

لذا . . لم يكن ليدور بخلد أحد آنذاك أنه سيكون للمرأة ـ يوماً ما ـ شأن يذكر ، وكيان مستقل ، وأنها ستصبح عضواً فعالاً في المجتمع ، لها شخصيتها ، وكيانها ولها حريتها الفكرية والعملية أو أنه سوف يكون لها الحق ولو بما هو أقل من عيش كريم .

ولكن سرعان ما فوجئوا بنبي الإسلام محمد (ص) ينادي بحرية المرأة من القيود الظالمة التي كانت تفرضها عليها الجاهلية الأولى ، ويمنحها في الشريعة المقدسة قسطاً لا يستهان به من الحقوق ، ويخصها بقسم وافر من الأحكام .

وكانت نظرة الإسلام هذه إلى المرأة نافذة إلى محلها في الصميم ، مبنية على تفهم الحقيقة ، وإدراك الواقع ، ذلك لأن المرأة قوة إيجابية هامة بالنسبة لبناء المجتمع البشري وعمران الكون ، فلا بد وأن يكون لها ما لسائر أفراد الإنسان من منح الله ونعمه سبحانه حيث إنها ليست مخلوقاً من نوع آخر لا يصح النظر إليه على قدم المساواة مع الرجل الذي تتحمل معه مسؤولية عمران الكون ، وتواجه معه مشاق الحياة . . وما دامت كذلك فلا جرم أن يكون لها قسم من حقوقه ، كما تحملت قسطاً من الواجبات ، ولم يحرمها الإسلام ذلك ، فإن التشريع الإسلامي قد نظر إلى المرأة بنفس العين التي نظر بها إلى الرجل ، وأنصفها وأعطاها حقوقها كاملة كما أنصفه وأعطاه ، وكل ما يقال عن التفاوت غير العادل بينهما فهو دعاوى لا تعتمد على دليل ولا تستند إلى برهان ، فبعد أن لم يكن للمرأة حقوق أصلاً ، وإنما فقط عليها واجبات . . جاء الإسلام ليقول : إن لها كما للرجل . . حرية العلم والعمل ، وقد منحت كل الحقوق التي تناسب واقعها ولم تظلم منها شيئاً ، مع أن هذه الحقوق كانت في حساب الفكر الجاهلي حقاً للرجل وحده ، لا يستطيع أن ينازعه فيها أحد .

ثم إن حقوق المرأة التي قررها الإسلام ليس لأحد ـ أياً كان ـ الحق في إنكارها ومنع المرأة من الوصول إليها لأنها حقوق منحها إياها الإسلام . . الإسلام الحق . . وإذا كان كل من الرجل والمرأة يحمل صفة الإنسان ويتمتع كل منهما ـ بنظر الإسلام ـ بحقوق ومزايا تعدل حقوق الآخر ومزاياه مع أخذ الفوارق الطبيعية والوظيفية بنظر الاعتبار فإن من الطبيعي أن يفسح المجال أمام المرأة لكي تغرس في حقل هذه الحياة الخصب ـ إلى جانب الرجل ، وفي مجالها الخاص ضمن إطارها الخاص ـ أن تغرس ما شاءت مما يعود بالخير والبركة على بني الإنسان . .

وقلت : « ضمن إطارها الخاص وفي مجالها الخاص » . . باعتبار أن المرأة ليس لها حق ـ بل هي لا تستطيع ـ أن تعمل في الحقل وفي المجال الذي يعمل أو يستطيع أن يعمل فيه الرجل دائماً وذلك لوجود ميزات وخصائص في كل منهما تؤهله لأن يعيش ويعمل ضمن إطار ، وفي جو يختص به يختلف ـ قليلاً أو كثيراً ـ عن

الجو والإطار الذي يستطيع الآخر أن يعمل وأن يعيش فيه . ومن هنا جاز لنا أن نقول : إنه وإن كان قد يلاحظ اختلاف في موارد معينة في الشريعة الإسلامية بين التشريعات المتعلقة بالرجل والتشريعات المتعلقة بالمرأة . . فلا يعني ذلك أن هناك تمييزاً لأحد الفريقين على حساب الآخر ، كيف وقد قال الله تعالى : ﴿ ولا يظلم ربك أحداً﴾ . . وإنما ـ وكما قلنا آنفاً ـ هناك عدالة في الحقوق والواجبات ، والاختلاف إنما جاء نتيجة طبيعية للاختلاف في المجال الذي أهل كل منهما لأن يعيش ويعمل فيه فـ « كل مهيأ لما خلق له » .

وعليه فما يشاع عن الإسلام من قبل أولئك الموتورين الحاقدين عليه ، والذين يبغون لـه الغوائل ، ما هو إلا تمويه وتضليل وصد عن سبيل الله « أما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » .

وطبيعي أنه لا يمكن الإحاطة بكل جوانب هذا الموضوع الشائك في مقال واحد . . فليكن ما قلته هنا مقدمة متواضعة ، وآمل أن أوفق مستقبلاً لتناول جيمع قضايا المرأة بالتحليل والتفصيل إن شاء الله تعالى .



مقالات استطلاعية

١ ـ عتباتنا المقدسة : مدينة قم المقدسة
٢ ـ عتباتنا المقدسة : مدينة النجف الأشرف المقدسة



عتباتنا المقدسة
مدينة قم المقدسة

(١)

كتب هذا الاستطلاع سنة ١٣٩٢ هـ.

ملايين المسلمين ترف قلوبهم المؤمنة خشوعاً كلما مر ذكر العتبات المقدسة ، وتخفق نفوسهم رغبة لزيارتها ، باعتبار أن زيارتهم هذه تبعث فيهم ذكريات للرسالة وقادتها العظام.

ومدينة قم واحدة من تلك الأماكن الطاهرة التي تضم جدثاً شريفاً من سلالة الرسول الأعظم (ص) مما رفع من مكانة هذه المدينة ، وجعلها تفخر بأن تكون مثوى للسيدة الجليلة فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر سابع الأئمة الأطهار عليهم السلام.

موقع قم الجغرافي :

تقع قم على بعد حوالي « ١٥٠ » كيلومتراً إلى الجنوب من طهران « عاصمة إيران » . . وتبعد عن خط الاستواء بمقدار (٥ /٣٤) درجة ، ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر « ٩٧٥ » متراً .

عدد سكانها :

يزيد عدد سكان قم على الـ « ٣٠٠ » ألف نسمة[1]. وتعتبر إداريا « قضاء » من الدرجة الأولى تابعاً لمحافظة اراك. (في الوقت الحاضر تزيد أكثر من مليون نسمة).

(١) ولعلها قد تجاوزت الآن الثمان مئة ألف نسمة.

سبب تسميتها بقم :

هناك أقوال متعددة في ذلك :

منها : أنها في الأصل كانت « كوميدان » ثم خففت ، فصارت « كم » ثم عربت إلى « قم » .

ومنها : أنها سميت باسم حصن « كم » الذي يقع على بعد حوالي « ٢٠ » كيلومتراً إلى الجنوب الغربي منها ، وكان يعرف بجودة زعفرانه . . والزعفران « الكمي » عرب في كتب التاريخ إلى « الزعفران القمي » وقيل في وجه نسبته غير ذلك .

ومنها : أن جماعة من أهل البادية نزلوا في هذا الموقع ، وكان كثير الحفر التي يتجمع فيها الماء ، ونصبوا خيامهم ، وسرحوا مواشيهم ، وبنوا بيوتاً ، وأسموا تلك البيوت بـ « كومة » ثم خففت ، فصارت « كم » ثم عربت إلى « قم » .

وهناك أقوال أخرى لا مجال لاستقصائها .

تأسيسها :

تعتبر قم من أقدم مدن إيران ويدل على قدمها الآثار التي ذكر ياقوت الحموي أنه عثر عليها . وبأنه قد وردت الإشارة إليها في عدة كتب تاريخية قديمة ويستفاد من « شاهنامة الفردوسي » أن أبا موسى الأشعري قد افتتحها سنة (٢٣)هـ، إلا أن بعض المؤرخين يرى أن تأسيسها قد كان في عهد الإسلام على يد الأشعريين بعد هجرتهم من الكوفة ، وإن اختلفوا في أن تأسيسها كان سنة (٨٣)هـ . أو (٩٤) أو (٢٠٣)هـ إلا أنه من الواضح عدم صحة القول الأخير ، حيث إن قم كانت موجودة قبل سنة (٢٠١)هـ بصورة بدائية بدليل أن التاريخ يذكر أن فصلها عن اصبهان ـ بعد أن كانت تابعة لها إدراياً ـ حدث سنة (١٨٩)هـ . بالإضافة إلى أنه يحدثنا أن السيدة فاطمة بنت الإمام موسى (ع) قد قدمت قم سنة (٢٠١)هـ، وتوفيت بعد ورودها بـ (١٧) يوماً، ودفنت في مكان

يدعى (بابلان) ثم بعد ذلك كثر البناء حول مرقدها الشريف .

وقد نسب صاحب كتاب (بستان السياحة) بناءها إلى الحجاج بن يوسف الثقفي في عهد عبد الملك بن مروان . وفي ترجمة تاريخ قم قال : إن منطقة قم قد فتحت على يد الأحنف بن قيس سنة (٢٣)هـ ، إلا أنه لم يصرح بأن مدينة قم كانت موجودة في ذلك التاريخ .

من هي السيدة المعصومة ؟

هي السيدة فاطمة بنت الإمام موسى الكاظم (ع) وكانت معروفة بالورع والتقوى كما أنها كانت موضع احترام من الأئمة وتعظيم من الأمة لما كانت تتمتع به من صفات إسلامية عالية ، وأخلاق نبيلة بالإضافة إلى نسبها الجليل كما أنها قد روت الحديث عن الأئمة (ع) .

وكانت قد قدمت من (المدينة) قاصدة (مرواً) لملاقات أخيها الإمام الرضا (ع) إلا أنها عندما وصلت إلى « ساوه » مرضت فسألت عن المسافة بين ساوة وقم فأجيبت بأنها عشرة فراسخ فطلبت أن تنقل إليها وأقامت فيها سبعة عشر يوماً في بيت موسى ابن خزرج الذي كان قد خرج لاستقبالها ، وأخذ بزمام ناقتها إلى بيته حتى وافاها الأجل وذلك سنة (٢٠١)هـ ، ودفنت في مكان يملكه موسى هذا يقال له « بابلان » ولم يكن فيه آنئذ أي بناء . وبعد دفنها في ذلك المكان بدأ الناس يبنون بيوتهم حول مرقدها وتركوا قلاعهم الأولى وهكذا . . تحول الموقع إلى مدينة عامرة لها أهميتها ودورها البارز في التاريخ الإسلامي .

وصف مرقد السيدة المعصومة :

والمرقد بناء يتجلى فيه الفن المعماري الإسلامي ، وتزينه النقوش الرائعة الجميلة مما يجعله في غاية العظمة والجلال .

ومساحة البناء بما في ذلك الحرم والاروقة والاواوين والصحن القديم والصحن الجديد وصحن النساء المعروف الآن بمسجد الطباطبائي أو « موزه »

والمكان المعروف بمسجد فوق الرأس ومقابر ملوك الصفوية وغيرهما ـ مساحته ـ (١٣٥٢٧) متراً مربعاً ، منها (١٩١٤)م مربعاً مساحة الأرض التي تحت البناء والبقية عبارة عن صحني الحرم .

قبة الحرم هرمية الشكل قاعدتها ثمانية أضلاع بين كل ضلع وآخر (٧٠ /٢) متر . طول كل ضلع منها (٣ /٨) متراً ، وقد أثبت في كل ضلع شباك من الذهب أو الفضة أو غيرهما .

ارتفاع القبة عن سطح البناء (١٦) متراً . . محيطها من الداخل « ٦٦ /٢٨ » متراً ومن الخارج « ٣٥ /٦٠ » متراً وهي من الخارج مكسوة بصفائح الذهب ، عليها كتابات وأشعار جميلة باللغة الفارسية ، ومن الداخل زينت أيضاً بالنقوش البارزة الجميلة وبالمرايا ، وتحت القبة ضريح من الفضة ، مزين أعلاه بالذهب بمقدار متر من جميع الجهات ، كما أنه قد زين بكتابات ونقوش في غاية الروعة والجمال .

وارتفاع هذا الضريح (٤) أمتار وطوله (٢٥ /٥)م وعرضه (٧٣ /٤)م وهناك الايوان الواقع في الجهة الشمالية من الحرم والمتصل بالصحن القديم والذي يبلغ ارتفاعه (٨٠ /١٤)م وعرضه (٧٠ /٨)م وطوله (٩)م .

وهو مذهب من الداخل وفيه نقوش بارزة محلاة بالذهب وفوقه مئذنتان مستديرتا الشكل ارتفاع كل منها من وجه الأرض (٢٠ /٣٢)م وقطر كل منها (٥ /١)م أعلاهما مذهب ويعرف هذا الايوان بـ (إيوان الذهب) .

وفي الجهة الشرقية إيوان آخر متصل بالحرم بواسطة رواق مزين بالمرايا كما أنه متصل بالصحن الجديد وارتفاعه (٨٠ /٧)م وعرضه (٨٧ /٧)م وطوله (٩)م وله أربعة أعمدة من الحجر ارتفاع كل منها (١١)م وشكله نصف هرمي مزين بالمرايا والنقوش البارزة من الداخل .

وفوق هذا الأيوان مئذنتان ارتفاع كل منهما عن سطح الأيوان (٢٨)م ومحيطها (٣/٣٠)م وهما أعلى ما في الحرم ولهما أهميتهما من حيث الفن المعماري ومن حيث النقوش الجميلة والكتابات التي تزينهما .

ويقع الصحن القديم في الجهة الشمالية من الحرم المطهر وطوله (٧٠ / ٣٥)م في عرض (٧٠ / ٣٤)م تحيط به الغرف من ثلاثة جوانب ، وفي الجهة الرابعة منه يقع الحرم وإيوان الذهب .

وله بابان الشرقي منهما يتصل بالصحن والغربي يفتح على المسجد الأعظم وباب ثالث يفتح على المدرسة الفيضية أما الصحن الجديد ويعرف بالصحن الأتابكي ، فيقع في الجهة الشرقية للحرم وهو أوسع من القديم وله ثمانية أضلاع فالشرقي والغربي طول كل واحد منهما (٦/٧٨)م وطول كل من الشمالي والجنوبي (٨ / ٤٦) متراً والأربعة أضلاع الأخرى طول كل واحد منها (٧ / ٣) أمتار .

ومن مدخل هذا الصحن من جهة شارع (ارم) يوجد خمسة أضلاع طول الشمالي والجنوبي (١٠) أمتار ، وضلعان مربعان طول كل منهما (٨ / ٥) متراً .

وفي هذا الصحن أربعة أواوين شرقي وغربي وجنوبي وشمالي ، أما الغربي فقد تقدم الحديث عنه ، وأما الشرقي وهو المدخل المتصل بشارع (ارم) فطوله (٨ /٧) وعرضه (٣٠ / ٧) وارتفاعه (٦ / ١٣) متراً وفيه نقوش جميلة بارزة فوقه بناء فيه ساعة كبيرة ومئذنتان صغيرتان ارتفاعهما عن وجه الأرض (٥ / ١٣) متراً .

وأما الشمالي وهو المدخل المواجه لشارع (الاستانة) فارتفاعه (٨٠ / ١٢) وطوله (٧) وعرضه (٤٠ / ٤) متراً ويماثله الجنوبي في جميع ذلك وعلى كل واحد من هذه الأواوين مآذن جميلة صغيرة الحجم .

وفي وسط هذا الصحن حوض بيضوي الشكل طوله (٥ / ١٩) وعرضه (٦٠ / ١٢)م وتحيط الصحن (٣١) غرفة لكل غرفة إيوان خاص بها طوله (٣) أمتار بعرض (٢)م إلا ثمانية أواوين فإن طول كل واحد منها (٦٠ / ٦) بعرض (٣,٢٠)م له عمودان من الحجر وكل ما ذكرناه من الأبنية مزين بالنقوش الجميلة والقاشاني كأروع وأحسن ما يكون .

وهناك صحن النساء ويقع في الجهة الجنوبية من الحرم وفي الضلع الغربي

من الصحن الجديد « الاتابكي » وهو ما يعرف الآن بصحن موزة (المتحف) أو مسجد الطباطبائي طوله ٢٤ متراً وعرضه (٦٠ / ١٩) متراً .

فوق هذا الصحن قبة فضائها (١٧) متراً وارتفاعها (١٧) متراً أيضاً ، وقد استمر البناء في هذه القبة من سنة ١٣٦٠ هـ إلى سنة ١٣٧٠ هـ ، ويحمل القبة عدة أعمدة مزينة بالرخام وفي أعلاها النقوش الجميلة . وقد زينت جميع أطراف المسجد بالنقوش البارزة المطعمة بالمرايا . وهذا الصحن متصل بالحرم برواق طوله (٨ / ٧) أمتار وهو من أحسن مباني الحرم المطهر وأجملها .

ومسجد فوق الرأس بناء جميل كان في الأصل مقبرة طوله (٤٨) متراً بعرض (١٤) وارتفاع (١٢) متراً ، ليس فيه أي عمود ، وهو أيضاً مزين بالنقوش الجميلة والكتابات بالكاشي .

وهناك متحف الحرم ، ويدخل إليه من نفس صحن النساء ، وله طريق آخر من الخارج من شارع «موزة»، أي متحف، وهو يتألف من قسمين: الأول طوله (٦٠ / ١٧) متراً ، وعرضه (٩٠ / ٤) متراً ، الثاني طوله (٢٠ / ١٥) بـعرض (٥٠ / ٥) متراً ، وهو يضم الهدايا والنفائس التي أهديت للحرم المطهر على مر الزمن من قبل الملوك والاعيان وغيرهم .

تجديد عمارة الحرم والصحن :

عندما توفيت السيدة فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر (ع) دفنت في أرض لموسى بن خزرج تسمى بابلان .

وأقام أبناء سعد الأشعري على قبرها خيمة من الحصر المصنوعة من القصب إلى أن جاءت زينب بنت الإمام الجواد (ع) وبنت على القبر قبة هي أول قبة تقام على ذلك القبر، وكان للبناء باب صغير إلى جهة النهر الذي يفصل بين شطري قم الآن ، واستمر الحال على هذا إلى سنة (٣٥٠)هـ حيث جاء زيد بن أحمد بن بحر الأصفهاني وبدل ذلك الباب الصغير بباب أكبر منه .

وفي عهد طغرل السلجوقي (٤٢٩ ـ ٤٦٥)هـ.

هدمت القبة الصغيرة ، وبني بدلاً عنها قبة أخرى أكبر منها وأعلى وأفخم ، وكان الذي قام بهذا العمل الأمير أبو الفضل العراقي من أمراء طغرل واستمر الحال على هذا فكان يتجدد بناء المرافق والملاحق للمزار من دون أن يتجدد بناء القبة إلى زمان الصفوية حيث بدأت التغييرات والتجديدات في عهدهم بصورة أوسع فهدمت القبة السلجوقية في سنة (٩٢٥) وبني مكانها قبة أعلى وأفخم وأحسن منها تقوم على ثمانية أضلاع وكانت مزينة من الخارج بالكاشي وأما من الداخل فقد كانت منقوشة بالذهب واللازورد وكان الذي قام بهذا العمل إمرأة اسمها « شاه بيكم بنت عماد بيك » وكانت هي امرأة الشاه اسماعيل الصفوي أول الملوك الصفوية ، وهذه القبة باقية حتى الآن على المرقد الشريف بتغييرات في داخل القبة وخارجها ، ولم يكن هناك أيوان ولا صحن ولا وضع ضريح من الداخل واستمر الحال على هذا إلى زمان الصفوية حيث بدأت التغييرات والتجديدات من عهدهم وبالتحديد من سنة (٩٠٦) .

وفي سنة (٩٢٥) بنى شاه اسماعيل أو امرأته الايوان الشمالي المتصل بالصحن القديم وزينه بالكاشي (المعرق) وجعله المدخل الوحيد للحرم ، كما أنه أي شاه اسماعيل قد وضع الأساس للصحن القديم ، وفي سنة (٩٥٠)هـ بنى الشاه طهماسب ضريحاً على المرقد المطهر وكان من الكاشي ، وفي سنة (١٠٧٧)هـ بنى شاه سليمان الصفوي صحن النساء في الجهة الجنوبية من الحرم وأصبح هذا الصحن طريقاً خاصاً لمقبرة الشاه سليمان والشاه عباس والشاه سلطان حسين إذ من المعلوم أن مدخل هذه المقبرة كان من هذا الصحن فقط .

هذا وقد وضع الشاه عباس على ذلك المرقد المطهر الذي كان قد زين بالكاشي قفصاً من الفولاذ الأبيض وكان إتقان الصنع بحيث أوجب أن يظن الرحالة المشهور (تاورينة) أنه من الفضة .

كما أن مرتضى قليخان أحد رجال الدولة الصفوية قد جدد بناء أيوان الحرم ، وبعد عهد الصفوية وبالتحديد في سنة (١٢١٨)هـ رفع الكاشي عن القبة ووضع بدلاً عنه لبنات من الذهب ، وفي سنة (١٢٣٦) بني مسجد فوق

الرأس ، وفي سنة (١٢٦٦)هـ جدد بناء أيوان الشاه اسماعيل ، وفي ذلك الوقت أيضاً وسع الصحن العتيق وبني من الجهة الشمالية منه مئذنة.

وفي سنة (١٢٢١)هـ فرشت أرض الحرم وجدرانه بالرخام كما زين الضريح بالذهب ووضع أول باب ذهبي في الضلع الشمالي للرواق المتصل بأيوان الذهب الشمالي ، وفي سنة (١٢١٥)هـ زين داخل القبة بالنقوش البارزة والمرايا والكتابات الجميلة ، وفي سنة (١٣٧٦) زين أيوان الشاه اسماعيل بلبنات الذهب ، وفي سنة (١٣٧٥)هـ لبس الضريح الفولاذي بالفضة وزين بالنقوش والكتابة .

وبنى شهاب الملك مآذن الأيوان الشمالي وزينها بالكاشي ووضع (كامران ميرزا) قضبان الذهب في أعلاهما ، وشرع أمين السلطان ببناء الصحن الجديد المعروف بالصحن الاتابكي ووضع أسسه لكن الأجل عاجله فأكمل العمل بعده ولده أمين السلطان والوزير الأعظم أتابك وجعل في الجهة الغربية من الصحن أيواناً زينه بالمرايا من الداخل والكاشي من الخارج وبنى حول الصحن غرفاً متعددة أصبحت فيها بعد مقابر للأعيان والأشراف ، كل ذلك مزين بالكتابة والنقوش الجميلة ، وقد انتهى من ذلك كله سنة (١٣٠٣هـ) .

وفي سنة (١٣٤٦)هـ جرت بعض التعميرات في صحن النساء وبني أيوان فيه . وفي سنة ١٢١٠ ـ ١٢١٤هـ وضع (نظام السلطنة) بابين من الفضة في الضلع الغربي من الحرم ، وفي سنة (١٣٥٤)هـ . أحدث متحف للاستانة في الطرف الغربي من صحن النساء ووضع فيه جميع الهدايا والنفائس التاريخية .

أهم الشخصيات المدفونة في قم :

من الشخصيات المدفونة في قم علماء وفقهاء وملوك ووزراء وغير ذلك من الطبقات ونذكر من العلماء والمحدثين:

١ ـ أبا الحسن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي والد الشيخ الصدوق .

٢ ـ أبا القاسم جعفر بن محمد بن موسى بن قولويه استاذ الشيخ المفيد .
٣ ـ علي بن ابراهيم المنسوب إليه تفسير القرآن .
٤ ـ زكريا بن آدم بن عبد الله بن سعد الأشعري من كبار أصحاب الرضا (ع).
٥ ـ زكريا بن ادريس .
٦ ـ آدم بن اسحق بن آدم .
٧ ـ الميرزا أبي القاسم بن محمد حسن كيلاني المعروف بالميرزا القمي صاحب كتاب «قوانين الأصول».
٨ ـ الشيخ عبد الكريم الحائري مؤسس الحوزة العلمية في قم مؤخراً .
٩ ـ السيد حسين البروجردي .
١٠ ـ السيد صدر الدين الصدر .
١١ ـ السيد محمد حجة . وغير هؤلاء كثير .

ومن ملوك القاجارية والصفوية ستة هم :

١ ـ الشاه عباس الثاني الصفوي
٢ ـ الشاه سلطان حسين الصفوي
٣ ـ الشاه صفي الصفوي
٤ ـ الشاه سليمان الصفوي
٥ ـ فتح علي شاه قاجار
٦ ـ محمد شاه قاجار .

ومن الوزراء والأعيان نذكر :

١ ـ علي أصغر اتابك ، كان صدر أعظم إيران في زمان ناصر الدين شاه ومظفر الدين شاه وهو الذي بنى الصحن (الدار) المعروف بـ « الصحن الاتابكي » .

٢ ـ كامران ميرزا ابن ناصر الدين شاه كان نائب السلطنة وحاكم طهران .

٣ ـ عين الملك صهر محمد شاه قاجار ويقال إنه قد تقلد الوزارة عدة مرات.

٤ ـ أمين الدولة وزير ناصر الدين شاه.

٥ ـ عبد الصمد عز الدولة ابن محمد شاه الثاني .

٦ ـ الملك المنصور شعاع السلطنة ابن مظفر الدين شاه قاجار حاكم شيراز .

وغير هؤلاء ممن يضيق المقام عن ذكر اسمائهم لكثرتهم .

أهم مساجدها التاريخية ومزاراتها :

في قم كثير من المساجد قد تزيد بمجموعها على مئة مسجد أهمها :

١ ـ مسجد الإمام الحسن العسكري (ع) بناه أحمد بن اسحاق الأشعري بأمر الإمام الحسن العسكري (ع) على ما هو معروف وقد أضيف إليه كثير من الأبنية والتعميرات ويدل على ذلك أنه قد كتب على محراب الأيوان أن تاريخ بنائه هو سنة (١١٢٩)هـ في عهد الشاه سلطان حسين الصفوي ولكن الأبنية الفعلية ما عد السرداب هي من زمن السلطان ناصر الدين شاه هذا ، ومن الطبيعي أن يكون هذا المسجد الذي بني بأمر الإمام (ع) موضع عناية خاصة من جميع الطبقات .

٢ ـ مسجد جمعة وهو من الأبنية القديمة التي لا يعرف زمان بنائها ولكن لا شك أنه بني في العهد السلجوقي قبل سنة (٥٢٩) كما تدل عليه كتابة ذكر أنها موجودة فوق الأيوان الكبير وقد زاد فيه فتح علي شاه سنة ١٢٤٨ هـ و ١٢٤٦ وفي الطرف الغربي منه رواق يقوم على ١٨ عاموداً .

٣ ـ مسجد (عشق علي) وهو يشتمل على جناحين أحدهما قديم لا يعرف تاريخ بنائه تقوم فوقه قبة مبنية بالأجر والآخر أضيف إليه في زمن ناصر الدين شاه .

٤ ـ مسجد فوق الرأس .

٥ ـ مسجد الطباطبائي ـ أو مسجد المتحف ، وقد مر الحديث عنهما .

٦ ـ مسجد السيد البروجردي ويسمى بالمسجد الأعظم ـ هو من أعظم المساجد في إيران أسسه المرجع الديني الراحل آية الله العظمى السيد حسين البروجردي سنة ١٣٧٣ هـ أنفق على بنائه أكثر من سبعة ملايين توماناً ، مساحته ١١ ألف متر مربع قسم منها واقع تحت البناء والقسم الآخر يشكل صحن « دار » المسجد وسائر مرافقه ، تقوم فوقه قبة عظيمة مزينة بالكاشى من الداخل والخارج لعلها أعظم قبة في إيران ، وله مئذنتان عظيمتان هما أعلى مئذنتين في قم ومئذنتان صغيرتان وبناء لساعة كبيرة كلها مزينة بالكاشي ذي النقوش الجميلة .

٧ ـ مسجد جمكران على مقربة من قم ويعرف بمسجد الإمام صاحب الزمان عليه السلام وهو من الأماكن الشريفة التي يزورها الناس ويتبركون بها .

وفي قم أيضاً عدة مزارات تنسب إلى أهل البيت يقصدها المؤمنون للتبرك بها نذكر منها .

١ ـ مزار الحمزة بن موسى بن جعفر (ع) وقد بنى له قبة وصحناً ميرزا علي أصغر خان اتابك .

٢ ـ علي بن جعفر الصادق (ع) .

٣ ـ ابراهيم بن أحمد بن موسى بن جعفر (ع) .

٤ ـ أحمد بن القاسم بن علي بن جعفر الصادق (ع) . ومزارات أخرى يقصدها المؤمنون لقراءة الفاتحة .

أهم شخصيات قم :

لقد خرج من قم عظماء وافذاذ خلد التاريخ أسماءهم فمن الفقهاء والمحدثين . . نذكر :

١ ـ علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي والد الصدوق .

٢ ـ أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي الملقب

بالصدوق ، وقد كان ركن الدولة يعظمه ويجله ، له ثلاثمأة مؤلف منها « من لا يحضره الفقيه » أحد اصول الحديث الأربعة عند الشيعة الإمامية .

٣ ـ زكريا بن آدم .

٤ ـ جعفر بن محمد بن موسى بن قولويه استاذ الشيخ المفيد .

٥ ـ علي بن ابراهيم بن هاشم الذي ينسب إليه تفسير علي بن ابراهيم .

٦ ـ شاذان بن جبرائيل .

٧ ـ ابن شاذان محمد بن أحمد بن علي القمي وهـو ابن اخت « ابن قولويه » .

٨ ـ محمد بن أحمد بن خالد البرقي .

٩ ـ محمد بن علي بن محبوب .

وكثيرون غيرهم .

ومن الفلاسفة نذكر :

١ ـ حنين بن سهل بن محارب الذي كان يحضر عنده الوزير ابن العميد .

٢ ـ الخاجة نصير الدين الطوسي .

ومن الوزراء نذكر :

١ ـ مؤيد الدين محمد بن عبد الكريم كان وزيراً لثلاثة من الخلفاء : الناصر والظاهر ، والمستنصر .

٢ ـ الاستاذ محمد بن الحسين المعروف بابن العميد كان وزيراً لركن الدولة وهو الذي صاحبه ابن عباد فلقب ابن عباد بالصاحب لذلك .

٣ ـ أبا الفتح علي بن محمد بن العميد استوزره ركن الدولة بعد وفات والده وكان يلقب بذي الكفايتين .

٤ ـ شرف الدين أبا طاهر بن سعد وزير السلطان سنجر السلجوقي .

٥ ـ تاج الملك أبو الغنائم وزير ملكشاه السلجوقي .

٦ ـ عبد الله بن عزيز القمي كان وزيراً للأمير نوح الساماني .

٧ ـ كمال الدين ثابت بن محمد القمي كان وزيراً للسلطان مسعود السلجوقي .

٨ ـ مؤيد الدين أبا طالب محمد بن علي العلقمي القمي المعروف بـ « ابن العلقمي » وهو الذي ألف له ابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة ، كان وزيراً للمستعصم .

٩ ـ سعد الملك سعد بن محمد آوه آبي من وزاء محمد بن ملكشاه السلجوقي .

١٠ ـ الخاجة سعد بن محمد آوه آبى كان وزيراً لقازان بن تولي خان بن جنگيز خان وغيرهم . .

ومن الشعراء نذكر :

شهيدي ، وحيدي ، قدرت ، ذاتي ، وغيرهم .

مركزها العلمي وأهميتها بالنسبة لمدن إيران :

تعتبر قم الآن مركزاً رئيسياً من مراكز الفكر الإسلامي ، يدرس فيها الفقه والأصول والفلسفة والتفسير والرجال والحديث وغير ذلك على أعلى المستويات .

وقد أدت خدمات جلى في سبيل الإسلام عامة والتشيع خاصة لا يمكن لأحد أن ينكرها وقد تخرج من مدارسها العديد من أفذاذ العلماء والمفكرين الذين أثروا عالم الفكر والعلم وحملوا مشعل الثقافة والفكر على مدى التاريخ .

وقد زادت أهميتها في السنين الأخيرة وبالتحديد بعد تجديد الحوزة العلمية وبعث الروح فيها على يد مؤسسها الشيخ عبد الكريم الحائري (ره) حيث تضم

الآن أكثر من سبعة الآف طالب يدرسون العلوم الدينية ومختلف العلوم الإسلامية ثم وفي أشهر معينة كأشهر الصيف وشهر رمضان المبارك ينتشرون في جميع إيران من أجل أداء واجبهم وتبليغ رسالتهم التي نذروا أنفسهم من أجلها وفي سبيلها .

ومن هنا يظهر لنا مدى أهميتها بالنسبة لباقي المدن الإيرانية ، يضاف إلى ذلك وجود حرم السيدة بنت الإمام موسى عليهما السلام والذي يؤمه الكثير من الزوار باستمرار طيلة أيام السنة ليس من إيران فحسب وإنما من جميع أنحاء العالم الإسلامي وعلى الأخص الشيعي مضافاً إلى ما فيها من الآثار التاريخية والتي تكسبها أهمية خاصة أيضاً .

أهم مدارسها الدينية :

في هذه المدينة عدد من المدارس الدينية التي هي بمثابة الأقسام الداخلية للطلاب المهاجرين .

بعض هذه المدارس قديم العهد وبعضها الآخر حديثه ، تخرج منها العديد من العلماء الافذاذ ، نذكر من تلك المدارس :

١ ـ المدرسة الفيضية : كانت مدرسة صغيرة ثم وسعت سنة ١٢٢٣ هـ ويبلغ طولها الآن (٦٠/٧٠) وعرضها (٥٠)م ، وفي الجهة الجنوبية منها أيوان يصل المدرسة بحرم المعصومة ، طوله (٢٠/١١) وعرضه (٤) أمتار بارتفاع (٥/١٢) بني في سنة (٩٣٩) وقد بنى هذا الأيوان الشاه طهماسب وفي كل من الضلع الشمالي والشرقي والغربي أيوان ارتفاعه (٥/١٢) متراً وطوله (٩) أمتار وعرضه (٦) أمتار .

ويقع خلف الأيوان الغربي مسجد طوله (٩) أمتار بعرض (٦) فوق مكتبه سيأتي الكلام عنها .

وهي مؤلفة من طابقين أحدهما قديم البناء وفيه (٤٨) غرفة ، والآخر حديث البناء فيه من الغرف ما يقارب ذلك، وهي مبنية من زمان الصفوية ويقال أن بناءها كان من أجل طهماسب .

٢ ـ المدرسة الحجتية ، بناها آية الله السيد محمد حجة سنة ١٣٦٤ ه تتألف من ست بنايات منفصلة كل منها تتألف من طبقتين فيها أكثر من (١٤٠) غرفة وفيها مسجد .

مكتبات قم :

في هذه المدينة المقدسة مكتبات عامة تتسم بالضخامة والعراقة وتعتبر منابع ثرة للبحوث الكثيرة التي زخر بها الفكر المعاصر . . وقد تأسست على أيدي كبار رجال العلم ومراجع الدين . .

وإلى جنبها تتواجد المكتبات الخاصة القيمة والتي يزيد عددها على الخمسة آلاف مكتبة . . إذ يحرص كل فرد من رجالات العلم هنا على الاحتفاظ في بيته بمكتبة خاصة عامرة بالمصادر المختلفة .

كما أن المدارس العملية الدينية تحوي كل منها مكتبات توفر لطلابها الكتب العلمية اللازمة .

هذه المؤسسات الثقافية جميعاً تحتوي خزائنها أهم المطبوعات وأقدمها ونوادر المخطوطات الثمينة ولعل أشهر مكتباتها العامة ما يلي:

مكتبة آية الله السيد مرعشي .
مكتبة الحرم الشريف والمعروفة بـ مكتبة (الاستانة) .
مكتبة المسجد الأعظم .
مكتبة المدرسة الفيضية .
مكتبة المدرسة الحجتية .

ونأمل بتوفيق منه تعالى أن نقدم تقريراً مفصلاً عنها فيما بعد .



عتباتنا المقدسة
مدينة النجف الاشرف المقدسة

(٢)

بداية :

مدينة النجف هي تلك المدينة المقدسة ، التي يهفو إليها قلب كل مسلم شوقاً لزيارتها ، وتطلّعاً إلى بركاتها ، وهي تلك المدينة التي احتضنت بكل حدب وحنان ذلك الجسد الطاهر لأعظم شخصية بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ، الرجل الذي صنع تاريخ أمة ، وإنسانية الإنسان . وكانت حياته ونضاله منعطف هداية ، ومشعل رشاد ودراية ، لكل الأمم ، ومختلف الشعوب .

هي تلك المدينة التي تحملت أعظم المسؤوليات ، واستودعت أعظم وأغلى الأمانات ، ولقد عرفت كيف تقوم بأعباء المسؤولية ، وتحافظ على الأمانة ، فدافعت وناضلت في سبيلها بكل ما اوتيت من قوة وحول ، وتحدت الزمن ، وتحمّلت كل النوائب والعوادي ، التي تنوء بأدناها دول ، وتعجز عن تحملها أمم وشعوب .

هي تلك المدينة التي تضم جثمان رجل لا تحصى فضائله ، ولا تعد مناقبه ، وكيف تعد فضائل رجل أسرّ أولياؤه مناقبة خوفاً ، وكتمها اعداؤه حقداً ، ومع ذلك شاع منها ما ملأ الخافقين ، على حدّ تعبير الشافعي . . . وهو الذي لو اجتمع الناس على حبه ـ كما يقول الرسول الأعظم (ص) ـ لما خلق الله النار .

رجل هو أفضل هذه الأمة مناقب ، وأجمعها سوابق ، وأعلمها بالكتاب والسنة ، وأشدها إخلاصاً لله ، وتفانياً في سبيله . . .

ذلك الرجل هو أسد الله الغالب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه .

وإذا كان تاريخ النجف ، والحديث عنها مرتبط بتاريخ علي بن أبي طالب عليه السلام والحديث عنه ، فإن خير ما نستهل به حديثنا هو إعطاء لمحة عن هذا الإمام العظيم . . مقتصرين في ذلك على بعض العناوين واللمحات ، حسب ما يقتضيه الحال في كتابات استطلاعية كهذه ، والله الموفق والمستعان .

علي عليه السلام في سطور :

هو أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب عليهما السلام ، بن عبد المطلب بن هاشم . وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم .

ولد في جوف الكعبة ، ولم يولد فيها أحد قبله ولا بعده في (١٣) رجب بعد مولد الرسول (ص) بثلاثين سنة ، وتربى في كنف النبي (ص) منذ كان عمره ست سنين . وهو أول الأمة إسلاماً ، وفضائله كثيرة جداً ، وجهاده في سبيل الدين ومواقفه في الذود عن حرمة شريعة سيد المرسلين كالنار على المنار ، وكالشمس في رابعة النهار .

ومن ألقابه : الوصي ، أمير المؤمنين ، المرتضى ، وكنّاه النبي (ص) بأبي تراب في قصة معروفة . وهو زوج فاطمة بنت النبي (ص) أفضل نساء الأمة ، وأبو الحسنين عليهما السلام ، وقد كان من المفروض حسب النصوص الكثيرة من النبي (ص) وحسب ما يستفاد من عدد من الآيات القرآنية ، بملاحظة شأن نزولها أن يكون علي عليه السلام هو الخليفة بعد الرسول (ص) ، ويكون هو أول اثني عشر خليفة أولهم علي وآخرهم المهدي . . ولكن قد جرت الأمور على خلاف ما أراده النبي (ص) وأرادته الشريعة المطهرة ، وكان أن اضطر علي (ع) لأن يكون جليس بيته حوالي خمس وعشرين سنة ثم عاد الحق إلى أهله وتسلّم

(ع) مقاليد الحكم في ذي الحجة سنة ٣٥ هجرية . وعاصمته الكوفة ، واستمر خليفة للمسلمين أقل من خمس سنين ببضعة أشهر . . .

وقد نكث بيعته طلحة والزبير وحارباه في جيش كثيف في موقعة الجمل التي تزعمتها أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر ، وقد قتل في هذه الحرب ـ كما يقولون ـ أكثر من عشرين ألفاً ثم حاربه معاوية بن أبي سفيان في جيوش الشام في وقائع صفين المشهورة ، ولما أحس معاوية وأصحابه بالهزيمة احتالوا بقضية رفع المصاحف ، الأمر الذي دفع فريقاً من جيش علي (ع) إلى إجباره عليه السلام على قبول التحكيم . . . ثم خرج عليه نفس هؤلاء الذين أجبروه فحاربوه في وقايع النهروان ، وهم الخوارج .

ثم اغتاله أحد هؤلاء الخوارج وهو عبد الرحمان بن ملجم المرادي ـ اغتاله ـ في مسجد الكوفة وهو في صلاته ، أثناء سجوده كما روى ـ أو أثناء دعوته الناس الذين في المسجد إلى الصلاة . فكانت وفاته في سنة أربعين للهجرة النبوية ، في الحادي والعشرين من شهر رمضان المبارك ، وله من العمر ثلاث ، أو خمس وستون سنة على اختلاف النقل ، ثم حمل إلى النجف ، ودفن هناك ، وعفي موضع قبره بوصية منه ، ويعتبر عليه السلام أول إمام أخفي قبره . . .

ويقال : إن الحجاج حفر ثلاثة آلاف قبر في النجف طلباً لجثة أمير المؤمنين (ع) فلم يوفق وبقي موضع القبر سراً مكتوماً يعرفه ولده الائمة الطاهرون ، وبعض صحابتهم الأبرار ، إلى أن أظهره ولده بشكل عام في الدولة العباسية في سنة (١٧٠)هـ . لكل أحد . . . في حادثة مشهورة ليس هنا محل ذكرها . .

النجف في سطور :

مدينة النجف من المدن الكبرى في العراق ، وهي الآن مركز المحافظة المسماة بـ « محافظة النجف » . وتقع هذه المدينة على بعد حوالي (١٦٥) كم جنوبي العاصمة بغداد ، وتعلو سطح البحر بحوالي (٧٠) متراً .

ومناخها صحراوي حار وجاف صيفاً ، بارد وقارص شتاءً . ومعدل

سقوط الأمطار فيها سنوياً هو ١ ـ ٥ قطرة في كل بوصة . وقد تزيد فيها درجة الحرارة صيفاً على الـ (٤٨) درجة مئوية . ولوقوعها في طرف الصحراء تهب عليها رياح السموم . .

ولقربها من الحيرة ، فإنه يوجد حولها عدد من الأديرة المسيحية . وبالقرب من النجف دارت معركة القادسية في آخر سنة ـ ١٦ ـ هـ . وتقع القادسية بين الكوفة والعذيب . وتبعد الكوفة عن النجف قديماً نحو ستة أميال لكنهما الآن أصبحتا متصلتين تقريباً .

وفي النجف نوع من الحجارة يعرف بدر النجف ، له صفاء وشفافية كأنه الزجاج ، يستعمل للتختم والتزين .

وفي النجف أيضاً قبر سيد الأوصياء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام . . . الذي أخفي قبره خوفاً من الامويين واشياعهم ، والخوارج والنواصب .

وعن أهل النجف يقول ابن بطوطة : « وأهلها تجار يسافرون في الأقطار وهم أهل شجاعة وكرم ، ولا يضام جارهم ، صحبتهم في الأسفار فحمدت صحبتهم » . وعلاوة على تعاطي أهلها التجارة ، فإنهم يتعاطون العديد من الحرف كالنجارة والصياغة وغيرها ، وعلى الخصوص نسيج العباءة بقسميها : الخفيف الدقيق السلك : الخاشية والثقيل الغليظ السلك : البريم . . .

ما اختصت به النجف :

وعلى كل حال . . . فقد اختصت بقعة النجف المقدسة بفضل الدفن فيها والتختم بحصبائها ، وجوار مرقد علي (ع) فيها ، والمبيت والصلاة عنده ، وعلى كل ذلك شواهد جلية من السنة المأثورة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام . . .

النجف في طور التأسيس :

وبعد إظهار القبر الشريف في سنة (١٧٠) هـ . بدأت تظهر المباني

والعمارات حول المرقد المبارك ، وقطن في النجف بعض العلويين وخاصتهم من الشيعة ، ولم ينقض القرن الرابع الهجري حتى كان فيها من السادة العلوية ألف وسبعمأة عدا عن أتباعهم وشيعتهم ويقدر البعض عدد سكانها آنئذ بستة آلاف نسمة .

ثم اهتم بها البويهيون الذين قاموا بأول عمارة للمرقد الشريف اهتماماً ظاهراً ، وشيدوا بازائه المساجد والدور وغيرها . .

ووصفها ابن بطوطة حينما زارها سنة ٧٢٧ هـ . بأنها من أحسن مدن العراق وأكثرها ناساً واتقنها بناء ، ولها أسواق حسنة نظيفة الخ . .

النجف بين الحكم العثماني والصفويين :

لقد كانت النجف تخضع للعباسيين ومن بعدهم للعثمانيين إلى أن استولى الشاه عباس الأول الصفوي على بغداد ومعظم العراق في مستهل القرن العاشر ، فأسرع لزيارة العتبات المقدسة ، وزار النجف أيضاً وأمر بحفر نهر من الفرات إليها ثم عاد سليمان القانوني العثماني فاستولى على العراق وزار هو أيضاً النجف وكربلاء سنة ٩٤١ هـ . قبل عودته إلى القسطنطينية .

أماكن مقدسة في النجف :

١ ـ مقام الإمام زين العابدين (ع) :

ويقع في جهة القبلة بالنسبة لمشهد علي عليه السلام ، يقال : إن الإمام زين العابدين (ع) كان إذا أراد زيارة مرقد جده أمير المؤمنين (ع) يأتي هذا المكان فيربط ناقته فيه ، ثم يذهب حافياً ، فيزور القبر الشريف ، ثم يرجع ، ويبيت في هذا المكان إلى الصبح ، ويسافر . . . وقد بنى الصفويون على هذا المكان بنية تعرضت للإصلاح بعد ذلك . وفي محرابه صخرة جميلة الشكل بديعة الصنعة منقوش عليها أحرف مقطعة ، يقال : إنها من آثار الشيخ البهائي وأن ما عليها طلسم ينفع من لسع الأفاعي ، وتنسب لهذا المقام بعض الكرامات .

٢ ـ مقام المهدي عجل الله فرجه :

في الجانب الغربي من البلدة بناء يعرف الآن بمقام الإمام المهدي عجل الله فرجه ، وأول من بنى هذا المقام هو السيد محمد مهدي بحر العلوم ، ثم هدم في سنة ١٣١٠ هـ . ثم أعيد على شكله الحاضر ، حيث بنيت القبة بالحجر القاشاني الأزرق، وكانت قبل ذلك من الجص والحجارة، وفي داخل المقام: هذا مقام يعرف بمقام الصادق (ع).

والظاهر : أن منشأ وجود هذا المقام هو ما روى مأثوراً عن الصادق (ع) : إنه حينما جاء زائرا مرقد جده أمير المؤمنين (ع) نزل فصلى ركعتين ، ثم تنحى وصلى ركعتين ، ثم تنحى وصلى ركعتين ، فسئل (ع) عن الأماكن الثلاث فقال : الأول : موضع قبر أمير المؤمنين (ع) ، والثاني : موضع رأس الحسين (ع) ، والثالث : موضع منبر القائم عجل الله فرجه .

والظاهر : أنه يقصد : أنه موضع وضع فيه رأس الحسين ، حينما أتوا به إلى الكوفة ، أو حينما أخرجوه منها . راجع الوسائل ج ٢ ص ٤٤٤ . وإلا فإن الصحيح هو أن رأس الحسين عليه السلام قد دفن مع الجسد الطاهر . .

٣ ـ مرقد هود وصالح :

مقبرة وادي السلام شمالي النجف الأشرف ـ هي من أكبر مقابر العالم وأوسعها ، ويؤتى بالأموات المسلمين إليها من جميع أنحاء العراق ، ومختلف أرجاء العالم .

في هذه المقبرة يقع قبر النبي هود (ع) ، والنبي صالح عليه السلام ، وهو من القبور المعلومة والمقامات المشهورة وأول من بنى عليه قبة من الجص والحجارة هو السيد محمد مهدي بحر العلوم رحمه الله ، ثم هدمت وبني عليه قبة مغشاة بالقاشاني الأزرق ، ثم جدد بناؤه في سنة ١٣٣٧ هـ .

وفي كتب الزيارات كثير من الأخبار التي تنص على زيارة هود وصالح في النجف .

٤ ـ آدم ونوح :

ورد في كتب الزيارات : السلام عليك وعلى ضجيعيك آدم ونوح . . مما يدل على أن آدم ونوحاً مدفونان في داخل الروضة المطهرة إلى جانب الإمام عليه السلام . . . وقد تقدم أن ابن بطوطة الذي زار النجف في سنة (٧٢٠) هـ لما دخل الروضة وجد ثلاثة قبور يقال إن أحدها قبر علي والآخران قبر آدم ونوح وذكر الرحالة سيدي علي التركي في كتابه : مرآة الممالك : أنه زار سنة ٩٦١ هـ . آدم ونوحاً وشمعون (ع) في النجف ، بعد ما زار الإمام المرتضى (ع) .

ولكن لم يرد ذكر لشمعون في النجف إلا في هذا الكتاب على ما نعلم والله هو العالم . . .

وثمة مزارات أخرى في النجف الأشرف لم نستطع أن نتثبت منها .

المساجد المشهورة في النجف :

في النجف عدد كبير جداً من المساجد ، ونحن نذكر هنا بعض ماله مزية وشهرة مثل :

١ ـ مسجد الحنانة :

هو من المساجد المعظمة التي يتبرك بها القاصدون ، وهو أحد الأماكن الثلاثة التي صلى فيها الإمام الصادق (ع) ، وهو على يسار الذاهب إلى الكوفة في شمال البلد ، وبالقرب منه الثوية ، وهي مدفن كثير من خواص أمير المؤمنين (ع) ولكن قبورهم قد درست ، ويعرف منها قبر كميل بن زياد رحمه الله ، وهو مقام كبير واسع عليه قبة فخمة ، وله دار فسيحة مسورة من جهاتها الأربع .

مسجد عمران بن شاهين :

وهو أقدم مساجد النجف لأنه بني في أواسط القرن الرابع على يد عمران بن شاهين ، الذي خرج على عضد الدولة فكانت الدائرة عليه فنذر إن

عفا عنه السلطان أن يبني رواقاً في النجف ، فعفا عنه ، فبنى رواقين ، في الغري وكربلاء .

والرواق الذي في النجف يقع في الجهة الشمالية للحرم العلوي .

وحيث إن الحرم العلوي كان في الأصل عبارة عن الروضة المطهرة ، وكان رواقه هو صحنه، وأمامه إيوانه الشرقي فقط . . وكان رواق عمـران يبعد عنـه عدة خطوات . . . فقد جاء الشاه عباس الأول فوسع الصحن من جهة الشمال ، وأدخل فيه قسماً من رواق عمران . . . ثم جاء الشاه صفي ، فاكتسح الدور في بقية الجهات ، وأوجد الصحن الكبير والسور حوله الموجود اليوم . . .

ثم هدمت الحكومة ثلثاً من رواق عمران في سنة ١٣٦٨ فصار في الطريق المحيط بالحرم فبقي من رواق عمران القطعة المعروفة اليوم بين هذا الطريق وبين الصحن ، وبابها في دهليز باب الصحن المعروف بباب الطوسي . .

٣ ـ مسجد الخضراء :

وهو في الجهة الشمالية من الجانب الشرقي من السور الخارجي للصحن الشريف ، ومدخله من الايوان الثاني من السور الشرقي ، وهو قديم ، ولا يعرف تاريخ انشائه . . . ولكن ينسب إلى علي بن مظفر .

٤ ـ مسجد الرأس :

وهو مسجد واسع كثير الاسطوانات ، بابه في الصحن الشريف في الايوان الكبير تحت الساباط مقابل الرواق ، من جهة الرأس الشريف ، ويتصل بتكية البكتاشية ، وهو مسجد قديم أيضاً ، ويرجع تاريخ بنائه إلى عصر الايلخانيين ، وقد جدد ورمم بناؤه عدت مرات آخرها سنة ١٣٠٦ هـ . من قبـل نادر شاه . . . وسمي بمسجد الرأس ، لأنه إلى جانب رأس الإمام علي (ع) . . . ولعله أكبر مسجد في المساجد الموجودة في السور الخارجي للصحن الشريف ، وهو مستطيل الشكل يتوسطه صحن كبير متسع ، وعلى جانبي الصحن من الجهتين الشمالية والجنوبية ايوانان ، فيهما كثير من الأعمدة المقطوعة من حجر

المرمر . وفي سنة ١٣٦٨ ه اقتطع منه ما يقرب من خمسة أمتار ، وأضيفت إلى الشارع العام .

٥ ـ مسجد الشيخ الطوسي :

وقد كان في الأصل بيت سكنى شيخ الطائفة ، فأوصى أن يدفن فيه ، ويُجعل بعد وفاته مسجداً ، وهو في مقابل باب الطوسي من الجهة الشمالية للصحن الشريف ، وبازائه مقبرة السيد بحر العلوم وآله وقد جدد بناء المسجد في سنة ١١٩٨ هـ . ومرة أخرى في سنة ١٣٠٥ هـ . وأخرى في عام ١٣٨٠ هـ .

ثم هناك مساجد مشهورة أخرى ، لا مجال لتعدادها . . .

تكية البكتاشية :

وهي عبارة عن بناء فخم في غاية الإحكام ، معقود بالأحجار الكبيرة ، ويشبه بناؤها بناء الصحن الشريف وعلى طرزه وهي ملاصقة لمسجد الرأس ، بابها بالقرب من الساباط في الايوان الثاني من جهة الغرب في سور الصحن الشريف ، ويزعم البعض أنها كانت قديماً المخزن لكتب الحضرة العلوية ، ويرجح أنها بنيت في عهد الحاج بكتاش في القرن الثامن الهجري ، وهي تتكون من قسمين ، الأول : خاص بالصلاة والدروس والجماعة وهو مكون من أربعة اواوين متعامدة يتوسطها صحن صغير مكشوف .

والقسم الثاني : يسكن فيه المنقطعون للعبادة ، وهو مربع الشكل ، يتكون من طابقين فيهما العديد من الغرف ، وما يلزمها .

المدارس الدينية في النجف :

بعد قدوم الشيخ الطوسي إلى النجف أصبحت النجف محط الأنظار من سائر الأقطار الشيعية ، وصارت على مر الزمن مركزاً علمياً هاماً وانشئت فيها المدارس الكثيرة وقد أشار ابن بطوطة إلى مدارسها هذه ، كما أشار إليها إجمالاً أو تفصيلاً غيره من المؤرخين. . .

ونذكر من هذه المدارس :

١ ـ مدرسة المقداد السيوري .

نسبة إلى الفاضل المقداد السيوري ، المتوفي سنة ٨٢٦ هـ .

٢ ـ مدرسة الصدر ، وهي أقدم المدارس الحاضرة ، وأوسعها ، وفيها ما يزيد على ثلاثين غرفة في طابق واحد .

٣ ـ مدرسة المعتمد اسست سنة ١٢٦٢ هـ . وجدد بناؤها بعد ذلك وتحتوي على ٢٠ غرفة .

٤ ـ مدرسة الشيخ مهدي كان أول بدء تأسيسها في سنة ١٢٨٤ هـ . وتحتوي على ٢٢ غرفة .

٥ ـ مدرسة القوام ، تم بناؤها سنة ١٣٠٠ هـ . وفيها ست وعشرون غرفة .

٦ ـ المدرسة السليمية اسست سنة ١٢٥٠ هـ . تحتوي علىٰ ١٢ غرفة .

٧ ـ مدرسة الايرواني ، تأسست سنة ١٣٠٥ هـ ، وفيها ١٩ غرفة .

٨ ـ مدرسة القزويني ، تأسست سنة ١٣٢٤ هـ وفيها ٣٣ غرفة في طابقين .

٩ ـ مدرسة البادكوبئي ، تأسست سنة ١٣٢٥ هـ .

١٠ ـ مدرسة الشربياني ، تأسست في حدود ١٣٢٠ وفيها ١٢ غرفة .

١١ ـ مدارس الخليلي :

أ ـ الصغرى ، مؤلفة من طبقتين وفيها ١٨ غرفة ، تأسست سنة ١٣٢٢ هـ .

ب ـ الكبرى ، فيها ٤٦ غرفة ، مؤلفة من طابقين تأسست سنة ١٣٣٠ هـ .

١٢ ـ مدارس الآخند ، وهي :

أ ـ الكبرى وفيها ٤٠ غرفة وهي في طابقين جدرانها مكسوة بالقاشاني ، تم بناؤها في سنة ١٣٢١ هـ وجدد بناؤها عام ١٣٨٥ هـ . وزيدت حجرها إلى ٨٠ حجرة .

ب ـ الوسطى وفيها ٣٣ غرفة ، وجدرانها مكسوة بالقاشاني تم بناؤها في سنة ١٣٢٦ هـ .

ج ـ الصغرى ، وفيها ١٢ غرفة تم بناؤها في سنة ١٣٢٨ هـ .

١٣ ـ مدرسة الهندي وفيها ٢٠ غرفة .

١٤ ـ مدرسة البخاري ، تم بناؤها في سنة ١٣٢٩ هـ . وجددت في سنة ١٣٨٠ هـ.

١٥ ـ مدرستا السيد محمد كاظم اليزدي الأولى والثانية ، وتشتمل على ثمانين غرفة ، مؤلفة من طابقين ، وجدرانها مكسوة بالقاشاني تأسست سنة ١٣٢٥ هـ . والثانية عام ١٣٨٠ هـ . بأمر من آية الله الحكيم (قده) .

١٦ ـ مدرسة المجدد الشيرازي في طابقين ، وبها قبر مؤسسها رحمه الله .

١٧ ـ مدرسة البروجردي ، تحتوي على ٦٤ غرفة في ثلاث طوابق ، وفيها مكتبة حافلة بالكتب العلمية والفقهية ، وبعض المخطوطات وكان تأسيسها عام ١٣٧٣ هـ .

١٨ ـ مدرسة البغدادي ، في حي السعد ، وهي مدرسة جيدة وحديثة البنيان فيها غرف كثيرة .

١٩ ـ جامعة النجف الدينية ، وهي أضخم مدرسة في النجف على الاطلاق إذ أنها تضم أكثر من مأتى غرفة في ثلاث طوابق ، وفيها مكتبة جامعة لنفائس الكتب ، وطائفة من المخطوطات الثمينة . . . وفيها مسجد ، وهي من أجل المدارس ، وأحسنها بناءً وتصميماً والذي بنى هذه المدرسة هو الحاج محمد

تقي الاتفاق الطهراني ، وقد بوشر ببنائها في سنة ١٣٧٦ هـ . على قطعة أرض في حي السعد ، تبلغ (٥٠٠٠) متر مربع . .

٢٠ ـ المدرسة اللبنانية ، وموقعها في الجديدة .

٢١ ـ المدرسة الازرية ، وهي في الجديدة أيضاً . . .

٢٢ ـ دار الحكمة ، وقد أسسها الإمام الراحل السيد محسن الحكيم . وغير ذلك . . .

المكتبات العامة :

وإذا كانت النجف هي مهد العلم والعلماء ، ومركز الحوزة العلمية لأكبر طائفة من المسلمين ، فمن الطبيعي : أن تكون غنية بالكتب والمصادر المطبوعه والمخطوطة النادرة ، وبالفعل فإنك تجد في النجف سواء في المكاتب الخاصة أو العامة نفائس الكتب القيمة النادرة الوجود ، ونذكر من المكتبات الخاصة التي تحوي أثمن الكتب وأغلاها مكتبة الشيخ علي كاشف الغطاء المتوفي سنة ١١٥١ هـ . ومكتبة الشيخ هادي كاشف الغطاء ومكتبة السيد جعفر آل بحر العلوم ، ومكتبة آل القزويني ، وغيرها مما يتعذر حصره وعده في هذه العجالة ـ وكثير منها يقصده رواد العلم والفضيلة للاستفادة منه بلا أي ممانعة . . .

ونذكر من المكتبات العامة :

١ ـ مكتبة الحسينية ، التي أسسها الحاج علي محمد النجف آبادي .

٢ ـ مكتبة الشيخ محمد رضا آل فرج الله تضم حوالي أربعة آلاف مجلد . . .

٣ ـ مكتبة آل حنوش العامة ، أسسها الحاج كاظم حسون آل حنوش سنة ١٣٧٠ هـ .

٤ ـ مكتبة النجف العامة ، تأسست سنة ١٩٤٦م .

٥ ـ مكتبة جامعة النجف الدينية . .

٦ ـ مكتبة العلمين : الطوسي وبحر العلوم .

٧ ـ مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامة ، أسسها العلامة الاميني مؤلف كتاب « الغدير » في سنة ١٣٧٣ هـ . وفيها آلاف الكتب بشتى اللغات والعلوم وفيها طرف ونفائس ونوادر .

٨ ـ مكتبة الحكيم العامة أسسها الإمام الراحل السيد محسن الحكيم سنة ١٣٧٧ هـ .

مطابع النجف :

مطابع النجف كثيرة وأول مطبعة جلبت إلى النجف هي مطبعة: حبل المتين ، وهناك : المطبعة المرتضوية ومطبعة النعمان ، والزهراء والقضاء والآداب وغير ذلك .

من يزورون النجف :

كانت النجف ولا تزال مهوى الأفئدة وموئل القصّاد لملايين المسلمين ويعد من يزورون النجف سنوياً بمئات الالوف ، تجد من بينهم العلماء والمفكرين ، والملوك والوزراء والسلاطين ، بهدف التبرك بلثم قبر سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه ، والحصول على الثواب بزيارته ، ويذكر أنه لما جاء السلطان مراد (أو السلطان سليمان القانوني) إلى زيارة المشهد العلوي في النجف ومعه كثير من وزرائه وعساكره ، فلما لاحت القبة المباركة ترجل بعض وزرائه المتشيعين باطناً من مسافة أربعة فراسخ فسأله عن سبب ترجله ، فقال : هو أحد الخلفاء الراشدين ، نزلت تعظيماً له ، فترجل السلطان أيضاً ، فقال بعض النواصب للسلطان : إن كلا منكما خليفة ، واحترام الحي أولى من احترام الميت ، فتردد السلطان في الركوب ، وتفأل بالقرآن المجيد ، فكانت الآية الشريفة : ﴿ فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى ﴾ ، فعندها أمر السلطان بضرب عنق الناصبي الذي عذله على ترجله واستشهد مؤدب السلطان ببيتي أبي الحسن التهامي وهما :

تــزاحــم تيـجــان الملوك بـبــابــه ويكـثر عنـد الاستلام ازدحـامهــا
إذا مــا رأتـه من بعيــد تـرجلت وإن هي لم تفعـل ترجـل هـامهـا

ولا مجال لاستقصاء من زاره من الملوك والوزراء والسلاطين ، فإن ذلك متعسر بل متعذر .

أشهر الحوادث في النجف :

لقد تعرّضت النجف على مدى التاريخ لاحداث تاريخية هامة ، ففي القرن الرابع الهجري كان هجوم مرة الخارجي على النجف ، ودخلها بعد حصار وحرب داما ستة أيام، وأراد أن ينبش القبر المطهر، فحدثت كرامة لصاحب القبر جعلت هذا الخارجي عبرة لمن اعتبر، وسبب إقدامه على ذلك أن علياً (ع) قتل الكثيرين من آبائه وأجداده.

وفي سنة ٨٥٨ كانت حادثة المشعشعي الغالي حيث هجم على النجف ، وكسر الصندوق الذي على قبر أمير المؤمنين وأحرقه ونهب المشهـد المقدس، وعـاث فساداً في المدينة المقدسة ، حيث قتل أهلها قتلاً ذريعاً ، وشرد الكثيرين منهم .

وفي سنة ٩٩٧ سار ملك الازبك ، عبد المؤمن خان بالعساكر ، ونزل على مشهد الإمام علي عليه السلام وقتل أهل النجف بشكل بشع وفظيع . .

وفي سنة ١٠٣٢ هـ . حاصر الـروم النجف ، وقاومهم النجفيـون ، واستمر الحصار زمناً طويلاً ، ولم يظفروا منهم بطائل . .

وفي أيام السلطان مراد حين توجه إلى فتح بغداد ، تعرّضت النجف لعدة هجمات ، كان عسكر الشاه عباس الأول الذي كان في النجف يدفعها .

وفي سنة ١٠٤٠ هـ . دخل كنج عثمان النجف وكربلاء ظافراً .

وفي سنة ١٠٤١ هـ . فتح النجف خسرو باشا حينما عجز عن فتح بغداد التي كانت تحت سيطرة الصفويين .

وبعد ظهور الوهابية في الحجاز ، صار الوهابيون يغيرون على النجف

طمعاً بالذخائر والتحف والأموال وبدافع من عصبية بغيضة، فينذر النجفيون بهم، فيغلقون أبواب السور، فيطيف الوهابيون بالسور، ويقتلون من يظفرون به، ويلقون برأسه إلى داخل البلد . . .

وفي سنة ١٢١٦ هجم الوهابيون على كربلاء، وقتلوا أهلها، وهتكوا حرمة الحرم الحسيني ثم توجهوا إلى النجف وحاصروها، وكانت النتيجة أن انكسر الوهابيون أمام النجفيين شر كسرة . .

وفي سنة ١٢١٧ هـ . جاؤا مرة أخرى، وأغاروا على النجف بمناسبة عيد الغدير، وقتلوا جملة من العلماء والمجاهدين . .

وفي سنة ١٢٢١ هـ . بلغ أهل النجف نبأ توجه الوهابيين إليهم، فنقلوا خزانة الأمير إلى الكاظمية، خوفاً عليها من النهب واستعدوا للدفاع، وكان القائم بعبء ذلك الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء، بمساعدة آخرين من العلماء الأبرار، وجاء الوهابيون ونزلوا على النجف ليلاً . . على أمل أنْ يهجم ابن سعود على البلدة نهاراً، ويوسع أهلها قتلاً ونهباً، وكان أكثر أهل النجف قد فروا إلى العشائر من خوفهم، ولم يبق فيها إلا حوالي مائتين من المقاتلين وقد وطنوا أنفسهم على الموت لقلتهم وكثرة عدوهم، ولتداعي السور الذي يدافعون من خلفه . .

وبات ابن سعود بجنده خارج البلدة وهم خمسة عشر ألف رجل، وما أصبح الصباح إلا وهم قد انجلوا عن البلدة المشرفة، وتفرقوا أيدي سبا، وقد قتل منهم سبعمأة رجل وكفى الله العباد والبلاد شرّهم، ويظهر من بعض النصوص : أن سبب ذلك هو أن النجفيين فاجؤهم ليلاً فصار يقتل بعضهم بعضاً وانتهى الأمر بهزيمتهم شرّ هزيمة . .

وبعد ذلك كانت حوادث الزكرت والشمرت التي أقلقت راحة النجفيين، وهي أحداث حصلت بين أهالي النجف أنفسهم، الذين انقسموا إلى هذين الفريقين وبدأت العداوة والبغضاء، وقامت الحرب بينهم واستمرت نحو مئة سنة وكانت آخر وقعة بينهم في سنة ١٣٢٣ هـ . كان النصر فيها آنئذ للزكرت.

ثم كانت بعد ذلك حوادث الاحتلال البريطاني ، فبعد إعلان الحرب العالمية الأولى قام العراقيون مع الأتراك وأفتى علماء الشيعة بوجوب الدفاع عن بيضة الإسلام ، بل لقد اشترك العلماء بأنفسهم في الدفاع ، ضد الانكليز ، وقد قاد السيد محمد سعيد الحبوبي جيشاً جرّاراً إلى جبهة الشعيبة وكذلك غيره من العلماء الاعلام ، لكن الأتراك خسروا الحرب ، وأساؤا معاملة العراقيين ، والنجف بشكل خاص . . . فثار النجفيون في وجههم وطردوهم ، وألفوا حكومة محلية وطنية تحكم بلدهم دامت سنتين . .

وبعد ذلك احتال البريطانيون في بغداد حتى وضعوا أيديهم على النجف . . . ولكن النجفيين بدافع من دينهم ووطنيتهم أبوا هذا الحكم الدخيل ، وشكّلوا تنظيمات تقود الناس إلى الحصول على حريتهم وكرامتهم ، وكان العلماء الاعلام فيها في طليعة الأحداث وهم الذين يخططون ، ويدبّرون ويشتركون في التنفيذ في كثير من الأحيان . . . وحصل الصدام الأول بينهم وبين الانكليز الذين حشّدوا له أربعين ألف مقاتل وقتلوا من الانكليز حوالي سبعمأة جندي في مقابل أربعين قتيلاً كثير منهم من الناس العزل . . . ولم يسيطر الانكليز على الوضع إلا بعد وقت طويل وجهد شاق . . .

وبعد ذلك قامت ثورة العشرين بقيادة النجف وعلمائها ومفكّريها ضدّ الاحتلال الانكليزي وكان إعلان الثورة من النجف في يوم الأحد في النصف من شوال ١٣٣٨ هـ . وقاد كل زعيم قومه إلى الجهاد فانسحب الانكليز من النجف إلى الكوفة ، واحتشد الجند هناك ، وتوالت الثورات في أكثر نقاط الفرات الأدنى وكان الأسرى من الجيش الانكليزي يجلبون إلى النجف حيث مركز قيادة الثورة وقد جيىء من معركة الرارنجية بـ ١٦٠ أسيراً إلى النجف .

وعلى كل حال . . . فإن ثورة العشرين ، التي قادتها النجف بعلمائها ومفكّريها هي التي دفعت العراق إلى السير في طريق الاستقلال وقيام حكم عربي يدين بالإسلام ـ مبدئياً ـ بدلاً من الحكم الاستعماري المقيت .

مشهد علي (ع) عبر العصور :

قد عرفنا : أن موضع القبر ظل سراً مكتوماً لا يعرفه إلا أهل البيت ، وخواص شيعتهم إلى انقضاء دولة الامويين ومجيىء دولة العباسيين ، فحينئذ دلّ العلويون بعض الشيعة عليه ، وصاروا يتعاهدونه ، وصار في معرض الظهور والخفاء ، يثبته قوم وينفيه آخرون .

فلما رأى داود بن علي العباسي إقبال الناس على موضع القبر أمر ـ على ما قيل ـ بعض الفعلة بالمضي إلى هذا القبر الذي افتتن به الناس ، ويقولون : إنه قبر علي ، حتى ينبشوه ويجيئوه بأقصى ما فيه ، فمضوا إليه وحفروا خمسة أذرع فوصلوا إلى موضع صلب لم يقدروا عليه ، فاستعانوا بغلام معروف بالشدة ، ولكن هذا الغلام بعد أن ضرب ثلاث ضربات صاح ، وصار لحمه يـنتثر إلى أن مات فلما عرف داود بالأمر تاب ، وأمر علي بن مصعب بن جابر بأن يبني على القبر صندوقاً ، ففعل . . .

ولكن مطاردة العباسيين للعلويين وشيعتهم أوجبت أن يهجر القبر من جديد ، فلا يزوره زائر إلا خلسة .

ثم جاء أبو جعفر المنصور ، وحاول أن ينبش القبر ، فأمر غلامه بذلك ، فبدأ بالحفر حتى ظهر له القبر ، ثم أمر بطمه ، وصرفه الله عنه . . .

وبعد ذلك وفي زمن الرشيد عاد القبر إلى الظهور من جديد في قصة معروفة جرت للرشيد وهو يتصيد حول القبر حيث رأى الظباء تحتمي بالاكمة التي فيها القبر ، فلا تقتحم كلاب الصيد وطيور الباز إليها ، الأمر الذي أثار عجبه فسأل أحد شيوخ الكوفة عن ذلك ، فأخبره أنها تلوذ بقبر علي (ع) . . . فكان أن أقام أول عمارة على القبر ، وهو بناء مربع الشكل مبني بحجارة بيضاء فوقه قبة من الطين الأحمر فوقها جرة خضراء .

وبعد ذلك جاء المتوكل العباسي ، فخرب عمارة النجف كما خرب عمارة الحسين . ثم قام بالعمارة الثالثة عمر بن يحيى القائم بالكوفة المقتول سنة ٢٥٠ .

وكانت العمارة الرابعة على يد محمد بن زيد الداعي المقتول سنة ٢٨٧ والذي ولي إمرة طبرستان بعد أخيه الحسن بن زيد ، فإنه بنى على القبر الشريف قبة وحائطاً وحصناً فيه سبعون طاقاً ، والظاهر أن هذه العمارة هي التي اعقبت خراب المتوكل لبناء القبر كما يظهر من تاريخ طبرستان (الفارسي) ج ١ ص ٩٥ .

ثم كانت العمارة الخامسة على يد أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان المقتول سنة ٣١٧ ، وسترها بفاخر الستور ، وفرشها بثمين الحصر . .

وبعد ذلك كانت العمارة السادسة ، وهي أجلّ العمارات وأحسنها على يد عضد الدولة المتوفي سنة ٣٧٢ هـ . أو ٣٧٣ وقد بذل عليها الأموال الجزيلة ، وجلب إليها الزارة ، والنجارة والعملة من سائر الأقطار .

وقد شاهد هذه العمارة الرحالة ابن بطوطة ووصفها حين وروده النجف سنة ٧٢٧ هـ . بأنها : « معمورة أحسن عمارة وحيطانها مزينة بالقاشاني ، وهو شبه الزليج عندنا لكن لونه أشرق ، ونقشه أحسن ، وإذا ما دخل زائر يأمرونه بتقبيل العتبة ، وهي من الفضة وكذلك العضادتان ، ثم يدخل بعد ذلك إلى القبة ، وهي مفروشة بأنواع البسط من الحرير وسواه ، وبها قناديل الذهب والفضة منها الكبار والصغار ، وفي وسط القبة مسطبة مربعة مكسّوة بالخشب ، عليه صفائح الذهب المنقوشة المحكمة العمل ، مسمرة بمسامير الفضة قد غلبت على الخشب ، لا يظهر منه شيء . وارتفاعها دون القامة ، وفوقها ثلاثةُ من القبور يزعمون أن أحدها قبر آدم عليه السلام ، والثاني قبر نوح ، والثالث قبر علي ، وبين القبور طشوت ذهب وفضة فيها ماء الورد والمسك وأنواع الطيب ، يغمس الزائر يده في ذلك ويدهن بها وجهه تبرّكاً وللقبة باب آخر عتبته أيضاً من الفضة ، وعليه ستور الحرير الملوّن ، يفضي إلى مسجد مفروش بالبسط الحسان ، مستورة حيطانه وسقفه بستور الحرير ، وله أربع أبواب عتبها فضة ، وعليها ستور الحرير الخ . . . »

ولكن هذه العمارة وإن كان تأسيسها يرجع إلى عضد الدولة ، إلا أنه قد

طرأت عليها إصلاحات كثيرة ، وتحسينات ثمينة من البويهيين أنفسهم ووزرائهم ومن الحمدانيين ، وبعض العباسيين المتشيعين.

فإن المستنصر العباسي قد عمرّ الضريح المقدس ، وبالغ فيه ، وزاره مراراً ، وكذلك فقد أصلحه وحسّن فيه وفي الأبنية الملحقة به المسلمون من أسرة جنكيز خان وغيرهم . .

ولكن عمارة عضد الدولة هذه قد احترقت في سنة ٧٥٥ ، وكانت حيطانها قد سترت بخشب الساج المنقوش ، فجددت عمارة المشهد سنة ٧٦٠ وهذه هي العمارة السابعة للمشهد ولكن عمارة عضد الدولة لم تذهب آثارها بالكلية ، بل بقيَت إلى ما بعد التجديد الأخير للمشهد حيث يذكر النسّابة النجفي محمد حسين كتاب دار : إنه رأى في المشهد بقية عمارة عضد الدولة في سنة ١٠٤١ هـ .

ثم جاء الشاه عباس الأول ، فأصلح عمارة المشهد ، وعمرّ الروضة والقبة والصحن الشريف بنظر الشيخ البهائي رحمه الله الذي عمل رسالة في عمارة المشهد ووضعه الهندسي . . .

وبعد ذلك جاءت العمارة الثامنة للمشهد الشريف على يد الشاه صفي الصفوي حفيد الشاه عباس الأول ووسع الصحن الشريف ووسع ساحة الحرم العلوي ، وأتمها ولده الشاه عباس الثاني بعد وفاة أبيه سنة ١٠٥٢ هـ .

إجمال وصف المشهد الحالي :

وعمارة المشهد القائمة في هذه الأيام هي عمارة الشاه صفي وهي بديعة الشكل فخمة الصنعة .

يقع القبر الشريف تحت قبة عالية ويحيط به فسحة طول كل ضلع منها ١٣ متراً ، ويحيط الروضة المقدسة من جوانبها الأربع رواق مسقف ، ثم من الجهة الشرقية ايوان الذهب الذي تقع على جانبيه مئذنتان مذهّبتان ويحيط بهذا المبنى كله الصحن الشريف ، الذي له سور عالٍ مؤلف من طابقين ، فيه أربعة أبواب

رئيسية ، وخامس جانبي . . . وارتفاع سور الروضة ، والرواق المحيط بها ثم السور المحيط بالصحن كله واحد لا يختلف .

وصف الروضة المقدسة :

يقع القبر الشريف وسط الروضة المقدسة المربعة الشكل يعلوه قبتان : خارجية وداخلية. والخارجية مدببة الشكل يبلغ سمك جدرانها ٨ س م . وارتفاعها عن سطح الضريح ٤٢ متراً وقطرها ١٦ متراً ، ومحيط قاعدتها ٥٠ متراً . . والداخلية مستديرة الشكل سمك جدرانها ٦٠ س .م وارتفاعها عن سطح الضريح ٣٥ متراً ، وقطرها ١٢ متراً . .

وتقوم القبة على رقبة طويلة علوها ١٢ متراً فتح فيها ١٢ شباكاً للتهوية والإضاءة . وقد زخرفت القبة الداخلية والخارجية بزخارف تعتبر آية من آيات الفن الإسلامي ، فالمقرنص الكبير الذي يحمل رقبة القبة كسي بالمرايا المصنوعة على شكل بديع ، وبالقاشاني والكتابات الجميلة ، والنقوش الرائعة . . . وكذلك القبة نفسها من الداخل . . .

أما القبة الخارجية فقد كانت مغشاة بالبلاط القاشاني ـ وكذلك المئذنتان والايوان وسائر الصحن الشريف ـ إلى أن جاء السلطان نادر شاه لزيارة النجف ، فأمر بقلع القاشاني عن القبة والايوان والمئذنتين واستبدلا بصفائح الذهب ، وصرف على ذلك مبالغ جسيمة ، وذلك سنة ١١٥٦ هـ .

وفي وسط القبة يوجد القبر الشريف ، وقد وضع عليه صندوق من خشب الساج الهندي المطعّم بالصدف ، والعاج والابنوس وأنواع أخرى من الأخشاب المتعددة الألوان ، فجاء تحفة رائعة ، وقد حفر على الصندوق الكثير من الكتابات العربية المتعددة الطرز ، وتاريخ صناعة هذا الصندوق هو ١٢٠٢ هـ . ووضع فوق الصندوق مقصورة من الحديد . ثم فوق هذه المقصورة مقصورة أخرى من الفضة الخالصة يبدو أنها صنعت ووضعت في عهد الصفويين ، وجددت عدة مرات . . ثم استبدلت أخيراً أي في سنة ١٣٦١ هـ . بمقصورة أخرى تحوي :

عشرة آلاف وخمسمأة مثقال من الذهب ، ومليوني مثقال من الفضة . . وتعتبر آية من آيات فن صناعة الذهب والفضة ، وكذا الترصيع بالمينـاء المتعددة الألوان .

أما جدران المربع التي تقوم عليها القبة ، فيبلغ ارتفاعها ١٧ متراً ، قد غشيت كلها بأنواع متعددة من الزخارف النفيسة ، والألوان البديعة ، والكتابات الرائعة كما وفرشت أرض الروضة المقدسة وكذلك الجدران إلى ثلاثة أذرع ونصف بالمرمر ، فوقها على الجـدران شريط من القاشـاني المزين بـالنقوش والآيات ، فوق هذا الشريط حتى رقبة القبة طبقة من الفسيفساء تتكون من أحجار كريمة ، كالياقوت والزمرد ، وألماس ، واللؤلؤ النادر ، ثم يأتي بعد ذلك التزيين بالمرايا على شكل بديع جميل . . .

أبواب الروضة المطهرة :

وللروضة المطهرة ستة أبواب تؤدي إلى الرواق المسقف المحيط بها . .

إثنان من جهة الغرب لا ينفذان إلى الرواق لأن خلفهما شباك من الفضة وإثنان من جهة الشرق يؤديان إلى الرواق في مقابل باب الايوان الذهبي ، واثنان خلف الإمام من جهة الشمال يؤديان إلى الرواق أيضاً . وأما البابان اللذان في مواجهة باب الايوان الذهبي فالذي يكون عـلى يمين الـداخل نصب سنـة ١٢٨٣ هـ . والذي على يسار الداخل نصب سنة ١٢٨٧ هـ . والأول كان قد أهداه لطف علي خان الايرواني ، والثاني أهداه ناصر الدين شاه القاجاري ، وكلاهما كانا من الفضة ، ولكنهما معاً قلعا في سنة ١٣٧٦ هـ ، واستبدلا ببابين ذهبيين جميلي الصنعة بذل نفقتهما الحاج محمد تقي الاتفاق الطهراني والبابان اللذان من جهة الشمال خلف الضريح ويؤديان إلى الرواق فهما من الفضة الخالصة وكانا في الأصل باباً واحداً لكنه قلع في سنة ١٣٦٦ هـ . وجعل مكانه البابان اللذان كانا إلى جهة الغرب عند رأس الإمام عليه السلام . ومن هذه الأربعة فقط يكون الدخول والخروج من الرواق إلى الروضة المطهرة . .

الرواق المحيط بالروضة المقدسة :

ويحيط بمبنى القبة (الروضة) من جميع الجهات رواق مفروشة أرضه وقسم من جدرانه متصل بجدار الروضة نفسها بسقف مزيّن بالمرايا الملونة ، ذات الأشكال الهندسية المختلفة البديعة وأرضه والقسم الأسفل من جدرانه مفروش بالمرمر ويساوي ارتفاع جداره ارتفاع جدار الروضة وجدار الصحن الخارجي ويبلغ طول ساحته من الشرق إلى الغرب ٣٠ متراً ومن الشمال إلى الجنوب ٣١ متراً . . .

وله ثلاث أبواب : بابان متقابلان أحدهما من جهة الشمال مقابل لباب الصحن المعروف بباب الطوسي ، والثاني من جهة الجنوب ، مقابل لباب القبلة ، وهذا قد نصب فيه باب فضي ثمين محلى بالذهب وقد نصب سنة ١٣٤١ ، وقد بذلت نفقته والدة الحاج عبد الواحد زعيم آل فتلة ، وهو المعروف بباب المراد .

والباب الثالث : وهو الذي في الايوان الذهبي ويدخل الداخل منه إلى الرواق وهو من الأبواب الثمينة المتقنة نصب سنة ١٣٧٣ هـ . وهو مرصّع بالأحجار الكريمة ومطعّم بالميناء وهو لوحة فنية رائعة كتبت عليه الآيات القرآنية ، والأشعار اللطيفة .

وفتح في سنة ١٣٧٣ باب جديد ينفذ إلى الرواق ، ويمر على مرقد العلامة الحلي ، الذي برز للرائح والغادي حين فتح هذا الباب . .

وجدران مبنى الروضة والايوان الخارجية مزينة بالقاشاني يرجع معظمها إلى العصر العثماني ويحيط بالجدران من أعلا شريط من الكتابة بخط الثلث الجميل . . .

الايوان الذهبي الكبير :

ومن جهة الشرق يقع الايوان الذهبي الكبير ، وسقفه وجدرانه مكسوة بالذهب الابريز الخالص وفي ركنية المئذنتان الذهبيتان ، وكتب في وسطه على

جانبي الباب قصيدة فارسية بحروف ذهبية بارزة وفي أعلاه كلمات عربية ، وحروفها ذهبية بارزة ، وفيها تاريخ تذهيب القبة والمئذنتين والايوان بأمر السلطان نادر شاه ، وقد دفن في هذا الايوان كثير من العلماء والأعيان ، وفي غرفة تقع على يمين الداخل إلى الرواق يوجد قبر العلامة الحلي ، وفي أخرى على يسار الداخل يقع قبر المقدس الاردبيلي ، وهذه الغرفة اليوم مخزن لبعض النفائس الثمينة . . .

أمام هذا الايوان رحبة كبيرة ترتفع عن أرض الصحن قدر متر ، ويبلغ طولها ٣٣ متراً ، وعرضها ٢٠ متراً . .

المآذن :

تقع المئذنتان في ركني الايوان ، في الجهة الشرقية من الروضة الشريفة ، ومحيط كل منها ٨ ثمانية أمتار وارتفاع كل واحدة منها ٣٥ متراً ، وقطرها متران ونصفا ، ويقال : إن على كل واحدة منهما أربعة آلاف صفحة من الذهب الخالص . وعلى ارتفاع ٢٥ متراً يحيط بالمئذنتين شريط عرضه متر من الكتابة العربية فيه آيات من سورة الجمعة ويعلو الكتابة صفان من المقرنصات ترتكز عليهما شرفة المؤذن التي قطرها متر ونصف وارتفاعها ثلاثة أمتار ، فوقها اسطوانة ضيقة يبلغ قطرها متراً ونصفا وارتفاعها ستة أمتار ، ويتوج الاسطوانة طاقية مصفقة يعلوها الهلال .

ونادر شاه هو الذي أمر بإزالة القاشاني الذي عليهما وعلى القبة والايوان ، واستبداله بصفائح الذهب وذلك في سنة ١١٥٦ وهدمت المئذنة الجنوبية في سنة ١٢٨١ هـ ، حتى أساسها ، ونزعت الصفائح الذهبية عنها ، لهدف إصلاحها ، ثم أعيد بناؤها على طرزها الأول . . وفي سنة ١٣٥٢ قلع الذهب عنها اجمع وهدم أعلاها ثم أعيد كل ذلك كما كان وأصلحت المئذنة الشمالية المجاورة لمرقد العلامة الحلي في سنة ١٣١٥ هـ . فنزع ما عليها من الذهب ، وهدمت إلى نصفها ثم أعيد بناؤها على طرازها السابق كذلك . . . وفي سنة ١٣٦٧ قلع الذهب عنها أجمع ، وهدم أعلاها ثم أعيد بناؤه .

الصحن الشريف :

يحيط بهذا المشهد الشريف سور مربع الشكل تقريباً ، طول كل من ضلعيه : الشرقي والغربي ٨٤ متراً من الخارج ، و٧٧ متراً من الداخل ، وطول ضلعه الشمالي ٧٤ متراً من الخارج ، و٧٢ متراً من الداخل ، والجنوبي من الخارج ٧٥ متراً ، ومن الداخل ٧٢ متراً . أما ارتفاع السور فيبلغ ١٧ متراً ، وهو مؤلف من طابقين الأول منهما مؤلف من ٥٤ ايواناً مقبياً يتقدم حجرة هي مقبرة لأحد المشاهير ويسكنها عادة طلاب العلم ، ولكنها أصبحت الآن مشغولة بالقراء على الأموات . أما الطابق الثاني : فهو عبارة عن ايوان معقود ، بعقود فارسية مدببة يتقدم مجموعة من الغرف المقبية يسكنها عادة الطلبة ، والمنقطعون للعبادة ، ويحتوي الطابق الأعلى على ٧٨ غرفة . وجميع جدران السور مكسوة بالقاشاني البديع النقش وعلى حواشي جدرانه العليا مكتوب بعض السور القرآنية بأحرف عربية جلية .

وهذا السور يحيط بالصحن الشريف الذي هو رحبة واسعة تبلغ مساحتها ثمانية آلاف متر مربع مفروشة بالرخام ، كانت قبل فرشها بالرخام مملوءة بالقبور والمحاريب ، التي تعيق عن التحرك بحرية . .

وفي سنة ١٣٠٦ حفرت السراديب التي نقل إليها كثير من القبور ثم سويت أرض الصحن ، وكسيت ببلاطات من المرمر .

وفي هذا السور المحيط بالصحن خمسة أبواب :

الأول : الباب الكبير في الجهة الشرقية من السور مقابل السوق المشهور بـ : السوق الكبير ، وفوق هذا الباب توجد الساعة التي أمر بإرسالها من إيران الوزير أمين السلطنة سنة ١٣٠٥ هـ وقد زخرفت وجهات الساعة الأربع ، وكذا القبة التي تعلوها ببلاطات من الذهب الخالص ، في سنة ١٣٢٣ هـ .

والباب الثاني : باب ليس رئيسياً إلى يمين الباب الكبير ، ويسمى بباب مسلم بن عقيل . . .

والباب الثالث : هو المعروف بباب الطوسي ، لأن الخارج منه ينتهي إلى

قبر الشيخ الطوسي محمد بن الحسن ، المتوفي سنة ٤٦٠ .

والرابع : باب القبلة الذي جدد بناؤه عدة مرات ، وهو أصغر الأبواب الرئيسية .

والخامس : الباب السلطاني الذي هو في الجهة الغربية ، سمي بذلك لأنه فتح في عهد السلطان العثماني عبد العزيز سنة ١٢٧٩ هـ . ويسمى أيضاً : باب الفرج لأنه ينتهي إلى مقام الحجة عجل الله تعالى فرجه . .

وعلى سائر الأبواب كتابات جميلة وتواريخ تجديد بنائها ، وفيها مدح لسيد الأوصياء عليه السلام ، ونقوش جميلة بالقاشاني . . . وأخيراً . . ففي الجهة الشمالية من السور الخارجي يوجد ايوان العلماء ، لأن كثيراً من العلماء مدفونون فيه .

اعجاز هندسي للمشهد العلوي :

وبعد . . . فقد كان ما تقدم وصفاً موجزاً للمشهد العلوي المقدس . . . ويبقى أن نشير أخيراً قبل أن ننتقل إلى الحديث عن الشؤون الأخرى إلى أن الهندسة العامة للمشهد المقدس تحير العقول حقاً ، فقد روعي فيه امران :

الأول : أن يكون شكل البناء بحيث أنه كلما وصل الظل إلى نقطة معينة عرف أن الشمس قد زالت وإن وقت الظهر هو في تلك اللحظة ، ولا يختلف ذلك لا صيفاً ولا شتاءً .

الثاني: إن الشمس كلما طلعت فإنها تطلع وتشرق على الضريح المقدس مباشرةً سواءً في الصيف أو في الشتاء.

وتحكيم هذين الأمرين- كما هو معلوم ـ صعب عادة يحتاج إلى الكثير من الدقة والمعرفة . .

خزانة التحف والهدايا :

ويوجد في مشهد الإمام علي عليه السلام مجموعة من التحف القيمة ، والمنقطعة النظير ، التي اهديت إليه عبر العصور من قبل الملوك والسلاطين ،

وكبار رجال الدولة ، والأعيان ، وكبار التجار وغيرهم .

ويرجع تاريخ أقدم هذه الهدايا إلى القرن الرابع الهجري ، أي من عهد البويهيين ، فقد أهدى عضد الدولة البويهي المتوفي سنة ٣٧٢ أو بعدها غطاء قبر يعتبر آية من آيات فن النسيج والتطريز ، والزخرفة ، التي يعزّ لها مثيل حتى في القرن العشرين رغم التقدم الآلي فيه .

وتوالت الهدايا على المشهد في سلسلة متصلة ، ويوجد العدد الأكبر من هذه المخلّفات في خزانة مبنية في جدار الروضة الحيدرية في الرواق الجنوبي من الحرم الشريف ، ويبلغ عددها (٢٠٢٠) تحفة موزعة على الوجه التالي :

١ ـ من المصاحف المخطوطة الأثرية ، التي يرجع أقدمها إلى القرن الأول الهجري (٥٥٠) مصحفاً ، وهي تبدأ من القرن الأول حتى الرابع عشر للهجرة في سلسلة تكاد تكون متصلة .

٢ ـ التحف المعدنية (٤٢٠) قطعة معدنية مكونة من الحلي الذهبي المرصع بالجواهر المتعددة الألوان ، كالزمرد والماس ، واللؤلؤ والفيروزج وغير ذلك . . . ومن قناديل من الذهب المكفت ، والمرصّع بالأحجار الكريمة ، والمزخرف بالميناء . . ، ومباخر وطاسات ، وأباريق ، وشماعد ، وألواح زيارة ، ومزهريات وكشكول ومجموعة كبيرة من الأسلحة ، ورؤوس اعلام ، ورؤوس اخرجة . . . وتيجان . . .

٣ ـ المنسوجات (٤٤٨) قطعة ، منها أغطية قبور ، وستور ، وخيام ، وملابس ، وغير ذلك . وقد رصّع بعضها بالأحجار الكريمة واللؤلؤ .

٤ ـ السجاد (٣٢٥) سجادة ، وتعتبر مجموعة السجاد الموجودة بالمشهد نادرة ولا مثيل لها في العالم ، من الناحيتين : الفنية والمادية ، إذ يوجد بين هذه المجموعة سجادة معقودة من الوجهين ، وبكل وجه زخارف وألوان تختلف كل الاختلاف عما في الوجه الآخر . . .

٥ ـ التحف الزجاجية (١٢١) قطعة مختلفة الأشكال بعضها : مشكاوات مموهة

بالميناء وبعضها ثريات من البلور النادر ، وقناديل تضاء بالشمع ، وغير ذلك .

٦ ـ التحف الخشبية (١٥٦) قطعة ، ومعظمها عبارة عن كشكول من خشب الساج الهندي ، البديع الصنع والزخرفة . ثم هناك عدد من كراسي المصحف وألواح الزيارة .

أهم الشخصيات المدفونة في المشهد العلوي :

وقد دفن في مشهد الإمام علي عليه السلام الكثير من الشخصيات الإسلامية من علماء ، وملوك وسلاطين ، ووزراء ، وأعيان ، تيمناً وتبرّكاً . . . ونذكر على سبيل المثال من هؤلاء : ممن دفن في الروضة المطهّرة .

١" ـ عضد الدولة البويهي المتوفي ٣٧٣هـ. ودفن عند رجلي الإمام .

٢ ـ شرف الدولة بن عضد الدولة ، المتوفي سنة ٣٧٩ هـ .

٣ ـ بدر بن حسنويه ، المشهور بالشجاعة والسياسة والعدل ، وهو أحد ولاة البويهيين .

وهناك العديدمن غيرهم من الأمراء والوزراء البويهيين، المدفونين بالمشهد الطاهر ، مثل بهاء الدين بن عضد الدولة ، وفيروز أبي النصر الملقب ببهاء الدولة . وغيرهم . . .

ودفن في الرواق تحت القبة ، من جهة رجلي الإمام عليه السلام :

٤ ـ الشاه عباس الأول الصفوي .

٥ ـ السلطان محمد القاجاري المتوفي سنة ١٢١١ هـ . مدفون في الرواق من جهة الشمال بالقرب من منبر الخاتم ، في حجرة خاصة تعرف اليوم بحجرة السلاطين . . .

٦ ـ الملك كيومرث ، الملقب بملك آراء ابن السلطان فتح علي القاجاري المتوفي سنة ١٢٨٨ هـ . حمل جثمانه إلى النجف ودفن في المشهد الشريف .

٧ ـ السلطان محمد حسن خان حمل جثمانه إلى النجف ودفن في المشهد .

٨ ـ الملك حسين قلي خان ، حمل جثمانه إلى النجف ودفن في المشهد .

٩ ـ فخر الملك أبو غالب ، وزير سلطان الدولة المتوفي سنة ٤٠٦ هـ .

١٠ ـ أبو القاسم حسين بن علي بن حسين بن علي وزير شرف الدولة المتوفي سنة ٤١٨ هـ .

١١ ـ يعقوب بن داود بن ظماء المتوفي سنة ٤١٨ هـ .

١٢ ـ الوزير شرف الدين انوشروان بن خالد المتوفي سنة ٥٣٣ .

١٣ ـ المستجدى المعروف بطاشكين المتوفي سنة ٦٠٢ كان والياً على عدد من البلاد .

١٤ ـ الأمير عماد الدين أبو المظفر الحربدار .

١٥ ـ الوزير معز الدين المعروف بابن حديد . .

١٦ ـ مظفر الدين بن زين الدين .

١٧ ـ بدر الدين لؤلؤ .

١٨ ـ عماد الدين أبو الخير ابن الوزير نصر الدين .

١٩ ـ الملك عز الدين بن عبد العزيز المتوفي سنة ٦٧٢ . وفي المشهد العلوي أيضاً مقابر آل حمدان والأليخانيين وملوك مهاباد .

٢٠ ـ الملك عز الدين بن زيد الأصفر ، ملك سواكن .

٢١ ـ تيمورلنك المتوفي سنة ٨٠٧ يقع قبره بالقرب من قبر الشيخ الطوسي . في سرداب في دار تحت الطاق على يمين الذاهب إلى قبر الشيخ من الصحن الشريف .

٢٢ ـ وزير الشاه عباس الأول، السيد علاء الدين حسين، المتوفي سنة ١٠٦٤ هـ.

٢٣ ـ مظفر الدين شاه ، الذي أودع في شاه عبد العظيم مدة ، ثم نقل إلى النجف .

ثم هناك ملوك من مصر ومن وزرائهم الفاطميين، والأشراف، وامراء الهند وملوك إيران.

ومن أصحاب علي (ع) :

وفي الثوية وهي اليوم تل بقرب مسجد الحنانة ـ جماعة من خواص أمير المؤمنين ، نذكر منهم :

١ ـ خباب بن الارت .
٢ ـ جويرية بن مسهر العبدي .
٣ ـ كميل بن زياد النخعي .
٤ ـ الاحنف بن قيس .
٥ ـ سهل بن حنيف .
٦ ـ عبد الله بن أوفى .
٧ ـ رشيد الهجري .

ومن العلماء الأبرار المدفونين في النجف نذكر :

١ ـ شيخ الطائفة ، محمد بن الحسن الطوسي ، المتوفي سنة ٤٦٠ هـ. الذي دفن في داره ، وأوصى أن تتخذ الدار مسجداً بعده .

٢ ـ المقدس الاردبيلي أحمد بن محمد ، المتوفي سنة ٩٩٠ هـ .

٣ ـ الشيخ أحمد الجزائري ، صاحب آيات الأحكام ، المتوفي سنة ١١٥١ هـ .

٤ ـ الآقا محمد محمد باقر الهزارجريبي ، المتوفي سنة ١٢٠٥ هـ . وهو أحد مشايخ السيد بحر العلوم .

٥ ـ ولده الفقيه الآقا محمد علي المتوفي سنة ١٢٤٥ هـ .

٦ ـ السيد حسن الجزائري، المتوفي سنة ١١٧٣ هـ.
٧ ـ السيد محمد مهدي بحر العلوم .
٨ ـ الشيخ مرتضى الأنصاري .
٩ ـ الآخند ملا محمد كاظم الخراساني .
١٠ ـ العلامة الحلي . .
١١ ـ الميرز النائيني .
١٢ ـ السيد أبو الحسن الأصفهاني .
١٣ ـ السيد محمد سعيد الحبوبي .
١٤ ـ شيخ الشريعة .
١٥ ـ الشيخ ضياء الدين العراقي .
١٦ ـ المولى علي نقي الكمرئي .
١٧ ـ الشيخ أحمد النراقي ، صاحب مستند الشيعة .

وغير هؤلاء من كبار العلماء الاعلام ، الذين آثروا جوار سيد الوصيين علي أمير المؤمنين عليه السلام ، وتجد في مختلف أنحاء المدينة مقابر لمشاهير العلماء وأساطين المعرفة . . . لا مجال لنا هنا لذكرها . .

مناقشات وردود



اللاموضوعية إلى متى ؟

٢١ / جمادي الثاني / ١٣٩١ هـ .

كل منا يعلم أن ليس لكل إنسان ، من كان ، ومهما كان ، الحق في التدخل في كل شيء، وإصدار الأحكام في مختلف الموضوعات ، التي يواجهها أو يحتاج إليها هذا الكائن . . . فليس للنجار أن يتكلم في المسائل الفلسفية ، والكلامية ، ولا لسائق التاكسي الحرية في أن يصدر أحكاماً طبية ، وأن يعطي علاجات نفسية ، أو اجتماعية ، ولا للنحوي صلاحيات تشريع القوانين ، وسن النظم والتشريعات .

وأيضاً . . ليس للصحفي أو الشاعر الحق في أن يصدر أحكاماً تاريخية ، يهم أمة بأسرها كل ما يصدر عليها من أحكام . . .

وإلا . . فإننا إذا أعطينا الحرية لكل أحد في أن يتصدى لمعالجة قضايا ، وإصدار أحكام في غير مجال اختصاصه ، فإن علينا أن ننتظر أن تعود الحياة فوضى ، لا يحكمها قانون ، ولا يهيمن عليها نظام . . . وأن نتوقع الكثير من الأخطاء والانحرافات في مختلف المجالات ، وعلى جميع المستويات .

وبديهي أنه كلما كانت القضايا هامة وخطيرة ، وضرورية ، تمس حياة هذا الكائن ، وعقائده ، وسلوكه . . . كان الخطأ أكبر والانحراف أخطر ، ولذا . . . فإن كل محاولة شاذة تستهدف العبث براحة وهناء هذا الكائن ـ عن هذا الطريق ـ يجب أن تواجه بالرفض المطلق ، والقوي ، من مختلف الفئات ،

وعلى جميع المستويات ، ويجب اعتبار من يقدم على عمل كهذا معتدياً ، بل وحتى « جانباً » أيضاً . . .

* * *

وغني عن البيان هنا : أن الدعوة للتعاون والتعاضد للوقوف في وجه هؤلاء ، لا يمكن أن تعتبر ـ بأي حال من الأحوال ـ دعوة شريرة ، وهدامة ، الهدف منها : نسف الوحدة الإسلامية ، والعبث بها . .

لأننا نؤمن ، بل والكل يؤمن : أن الحقيقة هي التي يجب أن تكون المنطلق لوحدة الصف لهذه الأمة الإسلامية العظيمة[1] . . وهل يمكن أن يتصور أحد أن قول الحق يكون فصماً لعرى الوحدة الإسلامية ؟ وسبباً في انعدام التفاهم بين المسلمين ؟!! .

إن وحدة يزعزعها قول الحق ، وتفاهماً يذهب به بيان الواقع لجديرة بأن لا نفرح بها وبه كثيراً ، ولا أن نحزن للعبث بها وبه كثيراً أيضاً ، بل لعل عكس ذلك هو الصحيح ، والصحيح جداً . .

وبعد : فإننا إذا كنا نعتز بأن نجد طائفة كبيرة من المنصفين الذين لا بد لنا من وقفة تقدير ، وإجلال ، وإكبار لكثير من مواقفهم . . .

فإننا نجد طائفة أخرى تشذ عن الخط الطبيعي ، وتتمرد على كل الموازين ، والقيم ، وتتخذ لنفسها سلوكاً ، ومنهجاً ، لا نظن بتلك الطبقة الواعية ، والمنفتحة ، والمتفهمة للحقيقة ، والواقع ، أن تشجعهم عليه ، لأنها ولا شك ترى كيف أن تلك الفئة المتمردة تحاول أن تنكر حتى ابده البدهيات ، أو

---

(١) لا يكاد يشك أحد فى أن هذه الاختلافات بين المذاهب الأربعة : عقائدياً وفقهياً كبيرة وعميقة جداً ، ولكنها مع ذلك قد اعتبرت خلافات في الرأي بين المجتهدين ، وأن هدفهم كلهم هو الحقيقة، أخطأها من أخطأها، وأصابها من أصابها بل قد أصابوها جميعاً، لأن بعض أهل السنة قائلون بالتصويب في الأحكام، ولا يجب بل لا يجوز أن تؤثر على سلوك المتمذهبين بها، كل منهم تجاه الآخر.

ولعل الاختلاف بين أهل السنة والشيعة لا يزيد على اختلافات المذاهب الأربعة فيما بينها إن لم ينقص فلماذا لا ينظر إليه بنفس المنظار ، ويعامل الشيعة بنفس المعاملة ؟! . .

التشكيك بها ، لا لشيء . . إلا لأن ذلك ينسجم مع رغبات نفسية تأبى إلا أن تكشف عن وجهها ، وتظهر على واقعها ، من وقت لآخر ، ومن فترة لأخرى . . . تلك الرغبات ، وهاتيكم الميول ، التي تدفعهم لأن يطرحوا على الساحة آراء جديدة ، بل وحتى غريبة عن أي منطق ، أو أي ميزان . لا يهمهم ، ولا يعنيهم أن تكون عواقبها خيراً لهذا الإنسان ، أو أن تكون شراً له . . .

وإذا ما استطعنا معاً ـ سنة وشيعة ـ أن نعرف أولئك الذين يكيدون للإسلام ، عن قصد منهم أو عن غير قصد ، فلا يختص وجوب دفعهم والتصدي لهم ، بطائفة دون طائفة ولا بفريق دون فريق ـ تماماً كما لا يتخير الخطر الآتي من قبلهم فريقاً دون فريق ، ولا طائفة دون طائفة . . حيث الهدف الأول والأساس لهم ـ والدوافع مختلفة ـ هو هدم أساس الإسلام ، والقضاء على القرآن . . .

وقد يبدو هذا الموقف غريباً وعنيفاً ، بل وحتى قاسياً أيضاً . ولكننا إذا ما أمعنا النظر قليلاً فلسوف نجد أنه يستمد عنفه وقسوته ، ومرارته من نفس الحقيقة التي يعبر عنها ، والواقع الذي يعالجه ، فلقد كان الحق بنفسه مراً ، والواقع بذاته كان مفجعاً وكيف لا يكون كذلك ، ونحن نشهد في هذه السنوات الأخيرة هجوماً واسعاً ، ومكثفاً من أولئك المتطفلين وهواة الشغب ـ خالف تعرف ـ وأصحاب المصالح ، والأغراض المعينة ـ هجوماً ـ على كل القيم والمعتقدات الدينية الضرورية ،وعلى الحقائق التاريخية ، تحت ستار وشعار يرون أنه يحميهم ، ويدفع عنهم ، وهو « حرية الرأي ، وحرية التعبير عنه » ، وذلك بدعوى الموضوعية ، والبحث العلمي ، مع أنهم في الحقيقة ، إما متطفلون على الأدب ، أو متطفلون على الصحافة ، أو نحوها ، فضلاً عن المعارف الدينية ، والحقائق التاريخية ، ولست ترى واحداً منهم يستحق أن يعتبر متخصصاً في هذه الموضوعات التي يحاول بحثها والتطفل عليها . . .

ولسنا نريد أن نذهب بعيداً هنا ، ولا أن نستعرض كل تعدياتهم على القيم والمعتقدات ، لأن ذلك بحث لا يتسع له المجال هنا . . . وإنما نريد فقط

أن نلفت النظر إلى ظاهرة بارزة ، تستقطب معظمهم ، إن لم يكن كلهم . . .

وهذه الظاهرة ، هي ما نراه من محاولاتهم التشكيك في أبده البديهيات التاريخية ، واطراح كل الشواهد والأدلة ، التي لا تنسجم مع ما افترضوه مسبقاً نتيجة لبحثهم . . .

فهذا محمد عبد الله عنان يتناول الصحابي الجليل ، الذي لا يرتاب مسلم في إخلاصه ، ووفائه لما عاهد الله عليه ، والذي يعرف كل أحد مواقفه المشرفة ، وثقة الصحابة به ، واحترامهم له . ألا وهو « سلمان الفارسي » ـ يتناوله ـ بالتجريح ، والاتهام ، حتى لقد قال عنه : « . . والظاهر أنه من خصوم الإسلام الباطنيين . . » ناسياً أو مكذباً للنبي الذي يقول ـ حسبما رواه جهابذة وحفاظ أهل السنة ـ سلمان منا أهل البيت . . . فلعل محمد عبد الله عنان أفهم وأعرف من النبي (ص) ، الذي لم يكن ينطق عن الهوى . . . وأعرف بسلمان من كل الصحابة ، الذين عاش بينهم ، وعرفوه عن كثب . . .

إن من الواضح أن فشل « عنان » في العثور في كل تاريخ سلمان الطويل على أدنى مخالفة ، ولا رأى فيه مغمزاً لقول ، ولا محلاً لريبة وأيضاً كون سلمان من أصل غير عربي هو الذي دعاه لأن يصمه بهذه الوصمة ، ويفتري عليه هذه الفرية ، غير مقيم وزناً لكل الحقائق التاريخية ، التي لا يكاد يرتاب فيها أحد . . .

ولقد سمعنا ورأينا من قبل الحملات الشعواء على مالك الأشتر ، الذي وصفه ابن حجر في صواعقه بـ « المارق »[1] غير مقيم وزناً لمكانته من الإمام علي عليه السلام ، ولا لما وصفه به في كتبه عليه السلام إليه ، ومواقفه معه ، حتى ليقول فيه على ما نقله ابن أبي الحديد « رحم الله مالكاً ، ولقد كان لي كما كنت لرسول الله (ص) » . . ووصفه أيضاً بأنه « سيف من سيوف الله ، لا نابي الضريبة ، ولا كليل الحد الخ . . . » .

---

(١) الصواعق المحرقة ط سنة ١٣١٢ ص ٣٨ .

وعند ما بلغه موت الأشتر قال وهو يتلهف ، ويتأسف : « لله در مالك ، وما مالك ؟! لو كان من جبل لكان فندا ، ولو كان من حجر لكان صلداً ، والله ليهدمن موتك عالماً ، وليفرحن عالماً . وعلى مثل مالك فلتبك البواكي ، وهل مفقود كمالك ؟ وهل موجود كمالك ؟! » إلى غير ذلك مما لا مجال لنا هنا لاستقصائه . . .

ولو أن الأشتر كان له موقف أخر من العرش الأموي ، فلا شك أن الموقف منه سيكون مختلفاً تماماً عما هو عليه الآن . .

وأبو ذر أيضاً لم يسلم من ذلك ، حتى لقد صور ـ والمصور له هو محمد جلال كشك[1] ـ بصورة اعرابي لا يفقه، ولا يعقل شيئاً، لم يتادب بأداب الإسلام ، ولا استفاد من اخلاقياته شيئاً ذا بال . . . فهو جلف ، جاف ، قاس ، بلغ من جفائه أن كان النبي (ص) يتضايق منه ، وحتى لقد قال له في إحدى المناسبات « طف الصاع !! طف الصاع » ومرة أخرى يقول له « أما ذهبت عنك اعرابيتك » وهو ضعيف لا يصلح لأن يتحمل أية مسؤولية وهو لا يحسن شيئاً ، اللهم إلا الشتائم والاهانات للآخرين، الذين كانوا يقابلون ذلك منه ـ ومنهم أبو الدرداء ! ـ بالخلق السامي ، والأدب الرفيع . . . هذا فضلاً عن أنه كان بذاءً فحاشاً ، يواجه النساء بكلام « لا يمكن لكاتب معاصر أن يذكر الفاظه ، ولا يترك لسامعه أو سامعته مخرجاً للتأويل ، أو ادعاء شبهه في الفهم ، أو مجالاً للاعتذار عن قصد قائله . . »[2] .

إلى غير ذلك من الأمور التي حاول إلصاقها به ، والإهانات التي وجهها إليه .

هذا . . . ونرى هذا الكاتب يمهد مقدمات من نوع معين ، من أجل أن يصل إلى نفي الحقيقة التاريخية الهامة ، ألا وهي قضية نفي أبي ذر إلى الربذة من قبل الخليفة الثالث عثمان . . هذه الحقيقة التي لا تزال تزعجه ، وتزعج كل من

---

(١) راجع : أبو ذر والحق المر .

(٢) أبو ذر والحق المر ص ٢٠ .

هم على شاكلته وينسجون على منواله . . إنه يريد نفيها ولا أقل التشكيك فيها بأي ثمن ، حتى ولو استلزم ذلك أن تضرب كل الأدلة القاطعة ، والبراهين الناصعة عرض الجدار . ونأمل أن نوفق في مناسبة أخرى للحديث عن هؤلاء الصفوة ، الذين تحاول الأيدي الأثيمة وضع علامات استفهام حول إخلاصهم ، وحول سلوكهم ، وكل قضاياهم ، ومشاكلهم . .

بل لقد تجاوز الأمر هؤلاء جميعاً . .. ووصلت النوبة إلى « أهل الكساء » أنفسهم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . . فنرى بعض الباحثين اليوم ـ ومنهم الدكتور أحمد شلبي ـ لا يرى للحسن ميزة على يزيد إلا بأنه ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال هذا الدكتور وهو يتحدث عن خصوم يزيد ، وهل إنهم كانوا أكفأ منه :

« . . وأما الحسين بن علي ، ففضله أنه من الارومة الطيبة ، وأنه قريب النسب بالمصطفى صلوات الله عليه ، وفيما عدا ذلك لا يثبت له التاريخ مفاخر سياسية ، وإدارية متعددة ، أو بارزة ، تجعله يفضل غيره (المقصود بهذا الغير هو يزيد ، لأنه في مقام بيان التفاضل بين يزيد وخصومه) في حمل هذا العبء . ولعله أخطأه التوفيق حينما قبل دعوة أهل العراق ، الخ . . . »[1] .

وقال في موضع آخر بعد أن تأسف لأن بعض تصرفات الحسين لم تكن مقبولة : « ويظل الحسين يتقي السهام والضربات بأولاده ، وأهله ، وصحبه ، حتى خروا جميعاً بين يديه يالله ! قد تكون ولاية يزيد العهد عملاً خاطئاً ، ولكن هل هذا هو الطريق لمحاربة الخطاء والعودة إلى الصواب ؟ »[2] .

وأما عن الإمام الحسن ، فيقول الدكتور أحمد شلبي أيضاً :

« على أن صفات الحسن لم تكن تهيؤه للخلافة ، فلم تكن له ميزة أعظم من أنه ابن علي بن أبي طالب ، وتلك لا تكفي قطعاً لنيل تلك المكانة ، فلم يكن للحسن علم أبيه ، ولم تكن له بطولة أبيه ، ولم تكن له سابقة أبيه ، ومع

---

(١) التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ج ٢ ص ٤٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٠١ /٢٠٢ .

هذا غلبت أباه الأحداث فأنّى للشاب المزواج المطلاق، الذي يروى أنه تزوج مئة امرأة أن يملأ هذا الفراغ ، لقد كان يجر على أبيه المتاعب ، ويخلق له الأعـداء، بسبب كثرة الـزواج والطلاق، حتى أوصى (عـلي) الناس أن لا ينكحـوه بناتهم ، فيكف يستطيع الحسن أن يقود الناس ، ويوجه الأمور ؟ . . »[1] .

وهكذا . . . فلم يكن للحسين ميزة على يزيد إلا أنه ابن بنت رسول الله (ص) .

أما أن له مؤهلات قيادية أو إدارية تفضل مؤهلات يزيد ، فذلك لم يثبت ، إن لم يثبت العكس من ذلك . . . ولقد أخطاء في ثورته على الظلم ، والطغيان ، وكان يتقي بأولاده وأهله وصحبه السهام والضربات . . .

وأما الحسن فكذلك أيضاً ، بالإضافة إلى أنه إنسان مبتذل ، يطارد النساء ولا همَّ له سواهن ، وكان بذلك يخلق لأبيه الكثير من المتاعب والمشاكل ، حتى أوصى علي الناس بأن لا يزوجوه . . .

هذا حال الإمام الحسن والإمام الحسين في نظر الدكتور أحمد شلبي واضرابه . . ولننظر الآن إلى ما يقولونه عن امهما الزهراء بضعة الرسول (ص).

إنهم يقولون عنها ببساطة إنها ليست إلا امرأة من بنات آدم ، وليست بواجبة العصمة . على حد تعبير ابن كثير[2] .

« . . . ولم يعرف لها نشاط ديني ، ولا سياسي ، إلا أن الشيعة أحاطوها بهالةٍ تبجيل خاصة ، ونسجوا حولها أقاصيص كثيرة ، فقالوا إنها روح الله ، وسمـوها « البتـول » وفضلوها عـلى عائشـة ، وأطالـوا في بيان فضـائلها ، وخصائصها ، وقصروا عليها ، وعلى بنيها اسم « أهل البيت » و « أصحاب الكساء » . . .[3] .

---

(١) المصدر السابق ص ٣٥ / ٣٦ .

(٢) راجع : البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ و٢٨٩ .

(٣) الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٦٧ .

بل لم يسلم حتى علي عليه السلام من الإهانة والتجريح ، وحدث عن مواقف الناس المختلفة منه ولا حرج . . .

وبعد . . فإننا ننتظر أن نرى ، ونسمع الإهانة والتجريح في شخص النبي (ص) بسبب مواقفه من أهل الكساء ، ومن أبي ذر ، وسلمان وغيرهم . . . وليس ذلك ببعيد على هؤلاء المتفرنجين المتحذلقين . . .

* * *

وبعد :

فهل ترى قارئي العزيز : أن السبب في ذلك لا يقتصر على ما يبدو للوهلة الأولى من السطحية، أو إرضاء رغبات نفسية ، كحب الظهور ، أو المتاجرة بالقيم والمثل والحقائق التاريخية ، والموضوعية ، ونحو ذلك . . . بل إن السبب ليتعدى ذلك إلى ما هو أبعد منه بكثير . . إنه يتصل بشخص علي . . . وبعلي فقط . . .

فعلي ، وكل أهل بيته ، وكل شيعته ، ومحبيه ، وكل مواقفهم ، يجب أن ينظر إليها بمنظار أسود، يشوهها، ويقضي على كل ما فيها من حيوية، وإشراق، وأصالة.

يجب أن يوضع علي دائماً في موضع النقد والتجريح ، ولا يجوز أن يبقى له ، ولا لأي من المنتسبين إليه أية قدسية ، أو أية فضيلة ، كل ما لهم يجب أن ينسف ، أو أن يكون في مهب الريح . . وليستبدل من ثم بالمواقف المائعة ، والمبتذلة والوصمات الشنيعة، و. . . إلى آخر ما هنالك حتى وإن كذبت ذلك كل الشواهد والحقائق التاريخية ، والموضوعية ، والوجدانية ، . . بل وحتى ولو لزم منه التكذيب للنبي نفسه وللقرآن الذي ينص على أن الله قد أذهب عنهم الرجس أهل البيت وطهرهم تطهيراً . .

أما الفريق الآخر ، ومن هم في الجهة الأخرى ، وهم مناوؤا علي ، وأعداؤه وأعداء أهل بيته وشيعته ومحبيه . . حتى يزيد بن معاوية والحجاج بن

يوسف ، وغيرهم من امويين وعباسيين . . . أما هؤلاء فلا بد من رفعهم ـ إن أمكن ـ إلى السماء السابعة ، وجعلهم في مصاف الملائكة ، ولا بد من تبرير كل ما يرتكبون ، وتصحيح وتوجيه كل ما يفعلون . . . ولا بد من التماس الحجج والمبررات لهم ، وإن خالفت كل الأدلة القاطعة ، والبراهين الناصعة ، التي تدينهم ، وتكشف بما لا مجال معه للشك عن حقيقتهم وواقعهم . . . بل وحتى ولو خالفت محمداً والقرآن ، وكل المثل والقيم الرفيعة . .

وهذا أنت . . جرب . . وتكلم عن أبي هريرة ، أو عن كعب الاحبار أو النعمان بن بشير . . ومن هو على شاكلتهم . . بل وتكلم عن عمرو بن العاص ، وطلحة ، والزبير ، ويزيد بن معاوية بن أبي سفيان . . وعن أبي سفيان ، واضرابهم . . تكلم عنهم بما هو فيهم ، وبما لا يشك أحد في صدوره منهم . . جرّب ذلك . . فإنك سوف تواجه ألف عاصفة وعاصفة تهب في وجهك ، ولسوف ترى أن كل شيء أصبح فما يتكلم في سبك ، وفي اتهامك ، وفي تهجين كل ما يصدر منك ، أو يرتبط بك ، مهما كان حقاً ، ومهما كان صدقاً !! . .

وما ذلك إلا لأن العرش الأموي هو الذي كان يمتلك زمام السلطة لفترة من الزمن . . والسلطة ـ حتى ولو كانت سلطة ابليس ـ يجب عند هؤلاء احترامها وتقديسها في حال الحياة وفي حال الممات على حد سواء .

وما ذلك إلا لأن في الجهة المقابلة علي وشيعته ومحبوه وإن كان من بينهم محمد (ص) والأنبياء والمرسلون والملائكة المقربون .

وهكذا . . . تكون النتيجة هي أن ذنب الأشتر وسلمان وأبي ذر واضرابهم هو ارتباطهم بعلي خاصة ، وبأهل البيت عامة . . وهل ثمة ذنب يكون أعظم من هذا ؟ !!

ولو أن هؤلاء أنفسهم كانوا من أعوان الجهة المناوئة لعلي ، وأهل بيته ، ـ من بني أمية ـ لرأيت لهم من التعظيم والتبجيل ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولنسب إليهم من الفضائل والكرامات ما يجعلهم في عداد الأساطير . . . هذا . . . إن لم يوجد من يقول بنبوتهم ، أو بألوهيتهم ، كما قالوا

بذلك بالنسبة لمعاوية ، وولده يزيد وبعد ذلك بالنسبة للمنصور وأمثاله . .

وختاماً . . فلا بد وأن نقول لهؤلاء ، ولهؤلاء فقط ، لا لأبي ذر :

اللهم . . إنا نعاهدك على أن نقول الحق ، كل الحق . . للحق وأن نقف في وجه هذه الفئة ، ونعيدها إلى جحورها، التي خرجت منها .

اللهم . . لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهّاب . .

مصادر البحث

١ ـ أبو ذر والحق المر . . . . لمحمد جلال كشك

٢ ـ البداية والنهاية . . . . لابن كثير

٣ ـ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية . . . . لأحمد شلبي

٤ ـ الصواعق المحرقة . . . . للهيثمي

٥ ـ الموسوعة العربية الميسرة . . . .

جوابنا على مجلة المجتمع الكويتية

بسم الله الرحمن الرحيم
والحمد لله والصلاة على نبيه وآله . .

وبعد : فقد نشرت مجلة المجتمع الكويتية مقالاً تتهجم فيه على الشيعة لأنهم يحتفلون بعيد الغدير وأنكرت أن يكون ذلك جائزاً شرعاً ، واعتبرته بدعة وطعناً في نزاهة الصحابة الذين لا يعقل أن يتواطؤا على خلاف الرسول الأعظم (ص) وقالت إنه ليس إلا عيدان : الفطر والأضحى وخوّفت من الفتنة المترتبة على أمور كهذه .

كما أنها قد ادعّت أن الأمة قد أجمعت على عدم النص وعلى هذا الترتيب : «أبو بكر، عمر، عثمان، علي» وقالت: إن قضية الغدير لا يثبتها أهل السنة وإنما هي رواية شيعية ، وحتى لو صح فإنه لا يدل على مطلوب الشيعة واستشهدت بإنكار الحسن المثنى لدلالة الحديث ، كما أنها أوردت أيضاً الرواية التي قال البخاري إنها جرت بين العباس وعلي حول سؤالهما للنبي (ص) عن أمر الخلافة بعده، كما أنها قد دعمت دعواها تلك بالقول بأن علياً لم يستخلف أحداً بعده.

فكتبنا الرد الآتي على تلك المجلة ولكنه لم يرسل ولم ينشر كله على اعتبار أن بعض الأخوة قد رأى فيه قسوة بالغة . . ولذا فنحن ننشره بتمامه وكما هو على أمل أن يرجع القارىء إلى الكتب المتكفّلة لبحث موضوع الخلافة بعد النبي

(ص) كالمراجعات ودلائل الصدق ليتضح له صحة وسلامة موقفنا الذي سجلناه في هذه الرسالة ، والرسالة هي التالية :

رسالة مفتوحة إلى مجلة المجتمع الكويتية

الاستاذ المشرف على مجلة المجتمع المحترم .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فإنكم دائماً تلوحون بالعصا السحرية ، وتعتبرونها كل شيء ، فهي حلالة المشاكل عندكم .. هذه العصا السحرية هي خوف الفتنة !! عجيب !! .. لماذا تخافون الفتنة ؟! إن الفتنة إذا لم تصنعوها أنتم فمن ذا الذي يصنعها ؟ وإذا لم تثيروها أنتم فليس على وجه الأرض أحد يثيرها .. وها أنتم تعتبرون الشعائر الدينية التي تمارسها أمة من المسلمين منذ ألف وأربعمأة سنة خطة مرسومة .. ولكنكم لا تعتبرون أن حملتكم المسعورة هذه خطة رسمها لكم أسيادكم الـذين يمدّونكم بالمال ويجعلونكم أداة للفتنة ووسيلة لإثارة النعرات .. وذلك حينما أجزتم لأنفسكم أو أجاز لكم أسيادكم التجريح والإهانة ومساس عواطف أكثر من (١٥٠) مليون مسلم ..

ولست أدري كيف أجمعت الأمة على هذا الترتيب : (أبي بكر وعمر ، وعثمان وعلي) ؟ .

.. ونحن نرى أن هذا الترتيب إنما وضعه معاوية باستثناء علي (عليه السلام) ، والحق به علي (عليه السلام) في الدولة العباسية وبقي يتأرجح في الأمة الإسلامية طيلة ما يقرب من مائتي سنة ولم يحصل أي إجماع عليه ولا على غيره وهذه كتب الفرق والمقالات كمقالات الاسلاميين للأشعري والفرق بين الفرق للبغدادي والملل والنحل للشهرستاني وفرق الشيعة للنوبختي وغيرها تنادي وتقول إن أكثر الفرق الإسلامية من عهد الصحابة وحتى الآن لا تعترف بهذا الترتيب ولا تعول عليه .. نعم هو قد أصبح مذهب الدولة في وقت ما في القرن الثالث الهجري .

وأما بالنسبة للصحابة فلعمري لا تلامون فيهم بعد أن اعتبرتموهم معصومين ومنزّهين خلافاً لصريح عشرات الآيات القرآنية وعشرات الأقوال النبوية فيهم .

وإذا كان عيد الغدير : يعتبر طعناً في نزاهة الصحابة . . فإن عدم الاعتراف بعيد الغدير يعتبر طعناً في نبوة النبي (ص) نفسه وتكذيباً للقرآن نعوذ بالله من الخذلان والزلل في القول والعمل .

ولقد أنكرتم عيد الغدير واعتبرتموه بدعة !! ، وقلتم : ليس إلا عيدان : الفطر والأضحى ، ولعمري لقد احتفلتم قبل أيام بعيد الهجرة وتبادلتم رسائل وبرقيات التهاني ونشرت مجلتكم الكلمة التي وجهها الوزير الكويتي بهذه المناسبة كما أنكم تعتبرون يوم المولد النبوي عيداً أيضاً وتحتفلون في عيد الاستقلال إلى غير ذلك مما لا مجال لذكره . .

ولم نكن نعلم أنه حتى الأعياد عندكم توقيفية حتى رأيناكم تحكمون على عيد الغدير بأنه مخالفة شرعية . .

وأغرب من ذلك أنكم قلتم : إن قضية الغدير لا يثبتها أهل السنة لا رواية ولا دراية ولو أنكم قرأتم كتاب الغدير للعلامة الاميني (رحمة الله) وقد طبع منه حتى الآن أحد عشر مجلداً ، أو قرأتم كتاب دلائل الصدق للمظفر ، أو كتاب المراجعات للسيد شرف الدين أو غير ذلك من الكتب التي تعالج موضوع الخلافة بعد الرسول (ص) ، لكان ذلك أغناكم عن هذه الفرية المفضوحة، ولعلمتم أن المئات من المصادر السنية المعتبرة بل والتي تعد أوثق المصادر عندكم تثبت هذه القضية ولرأيتم أن هذه القضية ليس فقط متواترة في كتبكم بل هي من ضروريات مذهبكم ولاطلعتم على أن الكثيرين من علمائكم يصححونها على طريقتكم .

هذا على رغم اعترافكم بصحة ما نقلتموه عن ابن عساكر ، وأما قصة إنكار الحسن المثنى لدلالة الحديث **فأولاً** : إنه لا بد وأن يكون قد خاف من

الإظهار في دولة كلها تريد الولوغ في دماء أهل البيت الاطهار وشيعتهم الاخيار . .

وثانياً : إنه لا يبعد أن تكون قضيته مفتراة تعمد الوضاعون أن تكون على لسان أحد أهل البيت لأن ذلك يكون أوقع في النفس وذلك مما يتعمده الوضاعون عادة حتى لتجدهم يضعون على لسان علي بعض الفضائل لأبي بكر ، وقد ذكر في الغدير ٦٧ حديثاً مفتعلاً في فضل أبي بكر على لسان علي (عليه السلام) . . .

كما أنكم قد نقلتم الحديث مبتوراً ، ولا نشك في أنكم قد تعمدتم ذلك فإننا قد تعودنا منكم تحريف الكتب والروايات وحذف ما ترونه مضراً بمصلحتكم من طبعاتها المختلفة . .

وبعد ما تقدم كيف تقولون: قد اجتمعت الأمة على عدم النص، فيما قيمة إجماعكم هذا ونحن نرى أن النص على علي (عليه السلام) يملأ كتبكم وتضيق به مجاميعكم وإن النص عليه كان معروفاً وشائعاً بين الصحابة أنفسهم ، بل وقد اعترف به الخوارج أعداء علي عليه السلام فكان مما احتجوا به على علي (عليه السلام) قولهم زعم أنه وصي فضيع الوصية كما ذكره اليعقوبي وغيره .

وقد احتج علي عليه السلام بالنص يوم الشورى واحتج بحديث الغدير نفسه كما أنه استشهد عليه في الرحبة بالكوفة وشهد له به عدد كبير من الصحابة منهم ١٢ أو ١٨ بدرياً أو غير ذلك حسب اختلاف النقول . .

وأما الرواية المجعولة بين العباس وعلي فتكذبها كل مواقف علي وأقواله وأفعاله . . وإن كانت قد وردت في صحيح البخاري الذي هو قرآنكم الحقيقي وتؤولون القرآن ليوافقه وينطبق عليه فإنه قد طعن في مئة وعشرة أحاديث منه وقد ضعف من رجاله أكثر من ثمانين رجلاً منهم من اتهم بالكذب والوضع . . ومنهم من هو من القدرية مثل كهمس وسفيان بن سليمان واضرابهم ويكفيه أنه يروي عن عمران بن حطان الذي مدح ابن ملجم في قوله :

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

هذا عدا عن اشتماله على أحاديث التجسيم والإسرائيليات وغير ذلك مما ينكره العقل والتاريخ ويخالف القرآن كما لا يخفى على من راجعه .

ويبقى لنا أن نشير إلى ما ذكرتموه من عدم استخلاف علي عليه السلام حين موته ونحن نقول :

إنه لا داعي بل لا معنى لاستخلافه عليه السلام بعد أن كان الحسن عليه السلام قد نص عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونصبه وأخاه الحسين عليه السلام للامامة والخلافة عندما قال :

« الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا » .

ومع ذلك فقد ذكر في العقد الفريد / ج ٤ ص ٤٧٤ عن الهيثم بن عدي ، قال: «حدثني غير واحد ممن أدركت من المشايخ أن علي بن أبي طالب عليه السلام اصار الأمر إلى الحسن . . » .

وعن شرح النهج للمعتزلي / ج ١ ص ٥٧ قال عن الخلافة : « وعهد بها إلى الحسن عليه السلام عند موته » .

وقال ابن عباس عند موت علي عليه السلام : « هذا ابن بنت نبيكم ووصي إمامكم » ثم طلب منهم البيعة له .

وذكروا أن جندب بن عبد الله دخل على علي عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين إن فقدناك فلا نفقدك فنبايع الحسن قال نعم . . مناقب الخوارزمي / ص ٢٧٨ .

وقال ابن كثير : « الخلفاء الأربعة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي خلافتهم محققة بنص حديث « سفينة الخلافة بعدي ثلاثون سنة » ثم بعدهم الحسن بن علي كما وقع ، لأن علياً أوصى إليه وبايعه أهل العراق . . » . البداية والنهاية / ج ٦ ص ٢٤٩ .

وفي الأغاني إنه لما أتى أبا الأسود نعى أمير المؤمنين وبيعة الحسن قام أبو الأسود خطيباً إلى أن قال أبو الأسود :

« وقد أوصى بالإمامة بعده إلى ابن رسول الله وابنه وسليله وشبيهه في خلقه وهديه. . . . . الخ». قاموس الرجال/ ج ٥ ص ١٧٢.

وفي الخرائج والجرائح ما يدل على ذلك أيضاً .

وفي إثبات الوصية للمسعودي / ص ١٥٢ أنه عليه السلام قال : « وإني أوصي إلى الحسن والحسين فاسمعوا لهما واطيعوا أمرهما ».

وبعد هذا . . فقد ذكر صاحب كتاب منتخب الأثر : ٥٠ حديثاً عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نقلها من كتب أهل السنة والشيعة يذكر فيها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الأئمة الاثنى عشر بأسمائهم .

ونقل عن سليم بن قيس وصيته عليه السلام لولده الحسن عليه السلام أيضاً وأنه دفع إليه كتبه وسلاحه كما فعل رسول الله.(صلى الله عليه وآله وسلم) حين أوصى إليه هو . (راجع البحار / ج ١٠ ص ٨٩) . وفي إثبات الهداة / ج ٥ ص ١٤٠ إنه عليه السلام لما ضربه ابن ملجم قال للحسن : « وأنت يا حسن وصيي والقائم بالأمر بعدي».

وفي انساب الأشراف طبع الأعلمي / ص٥٠٢ ـ ٥٠٤ ما يدل على ذلك أيضاً .

وقال الشيخ آل ياسين في كتابه : صلح الحسن (ع) :

« وأمره أبوه أمير المؤمنين (ع) ـ منذ اعتل ـ أن يصلي بالناس وأوصى إليه عند وفاته قائلاً : « يا بني أنت ولي الأمر » وأشهد على وصيته الحسين (ع) ومحمداً وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته ، ودفع إليه الكتاب والسلاح ، ثم قال له : « يا بني أمرني رسول الله (ص) أن أوصي إليك وأن أدفع إليك كتبي وسلاحي كما أوصى إلي رسول الله (ص) ودفع إلي كتبه وسلاحه وأمرني أن آمرك ، إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين».

وأما عدم صراحة حديث الغدير ، فذلك أمر غريب حقاً ، وقد بحث هذه النقطة العلامة الاميني والمظفر وشرف الدين وغيرهم ، ولقد احتار الرسول

(ص) مع هؤلاء القوم فإنه كما يظهر من تتبع كلماته لم يبق أسلوباً ولا طريقة ولا تصريحاً ولا كناية ولا غير ذلك إلا استعمله أكثر من مرة وفي أكثر من مناسبة ليدل على نصبه علياً (عليه السلام) بعده ولكنهم مع ذلك لا يزالون يمارون في ذلك ولسنا نعرف أسلوباً لم يتبعه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على ذلك أصلاً . . هذا عدا عن أنه قد نصب له (عليه السلام) في عيد الغدير خيمة وتوافد عليه الصحابة للتهنئة ، وكان الشيخان من جملة المهنئين . وعدا عن أنه صرح بأنه وزيره ووصيه وخليفته من بعده حين نزلت آية : ﴿ وانذر عشيرتك الاقربين ﴾ إلى غير ذلك مما لامجال لتتبعه واستقصائه .

وإذا كان الأمر يتعلق بغير علي فهناك تكون البسمة والجلسة والمشية والسكوت والكلام وكل شي إشارات ودلالات على الخلافة فتبارك الله أحسن الخالقين .

وأما عن تواطىء الصحابة على خلاف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فلعمري إنها للحجة الواهية ، فيمكن أن يكون ذلك لتأويل من بعضهم كما أولتم ، وانحراف من الآخرين ، والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أخبر عن هذا الانحراف وذلك في العديد من الأحاديث الواردة في صحاحكم حسبما تدل عليه روايات الحوض وغيرها . كما فصلناه في مقالنا : «الصحابة في القرآن والسنة» .

وأما مخالفتكم لنص القرآن فيكفي أن نذكر لكم مثالاً واحداً هنا وهو آية الوضوء التي تنص على مسح الأرجل فخالفتم ذلك ، وقلتم بغسلها . . وأما عقائد التجسيم والجبر والخضوع لكل متغلب ظالم ونحوها فتلك حدث عنها ولا حرج ، وبشاعتها مشهودة للعيان وفظاعتها لا يمكن أن يكتمها اللسان . .

وفي الختام فإنا على انتظار لأن تكونوا على مستوى أعلى من الوعي خصوصاً وأنكم تدعون أنكم تقارعون الكفر ، وتحاربون الطغيان والانحراف .

* * *

مصادر البحث

١ ـ إثبات الهداة . . . .

٢ ـ إثبات الوصية . . . . للمسعودي

٣ ـ الأغاني . . . . لأبي الفرج

٤ ـ انساب الأشراف . . . . للبلاذري

٥ ـ البحار . . . . للمجلسي

٦ ـ البداية والنهاية . . . . لابن كثير

٧ ـ الخرائج والجرايح . . . . للراوندي

٨ ـ شرح النهج . . . . للمعتزلي

٩ ـ صلح الحسن (ع) . . . . لآل يس

١٠ ـ العقد الفريد . . . . لابن عبد ربه

١١ ـ قاموس الرجال . . . . للتستري

١٢ ـ المناقب . . . . للخوارزمي

١٣ ـ منتخب الأثر . . . . للصافي

الصحابة في القرآن والسنة

٢١ / صفر / ١٣٩٧ هـ.

إننا نلفت نظر مجلة « المجتمع » إلى أن عليها قبل أن تبادر إلى توجيه أي اتهام أن تتأكد تماماً من صحة وسلامة وجهة نظرها لا سيما إذا كانت تدعي لنفسها أنها رائدة توحيد الكلمة والدعوة إلى التصافي والتفاهم والتعاون ، بين المسلمين جميعاً . وأما إلقاء الكلام على عواهنه ومن دون أي تـثبت وتأكد ، فهذا ما لا نرضاه لها ولا لغيرها، ونربأ بها أن تجعل نفسها ألعوبة للأهواء وفريسة للعواطف غير المتزنة ولا المسؤولة . . .

ولقد طالعتنا هذه المجلة مؤخراً بعدة أعداد تحاول فيها النيل من كرامة طائفة معينة من المسلمين ، والطعن في مقدساتها وفي وجهات نظرها . . . وحاولت أن تلقي في أذهان قرائها ذلك المفهوم الذي كان قد روّج له فريق ما في وقتٍ ما من أجل الوصول إلى أهداف معينة في فترة معينة . . . ألا وهو الايمان المطلق بعدالة الصحابة ، وطهارتهم ونزاهتهم من كل شين وريب ، وعلى ذلك جرت قافلة طائفة كبيرة من المسلمين لا اجتهاداً واستناداً ، وإنما تقليداً واتباعاً .

ونحن . . . في نفس الوقت الذي نؤمن فيه بأن فريقاً من الصحابة قد بلغوا القمة بل وما فوق القمة في النزاهة والطهر . . نؤمن بأن سائر الصحابة كانوا كسائر الناس العاديين لا يزيدون عليهم ، ولا يمتازون عنهم إلا في أنهم رأوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعاشوا معه فترة من الزمن ، لم يتهيأ لغيرهم

أن يعيشوها . . . ولكن ذلك لا يعني أن مجرد رؤيتهم للرسول صلى الله عليه وآله وسلم تعطيهم ملكة العدالة والاجتهاد ، وتضفي عليهم صفة النزاهة والطهر . . . كما يشهد على هذا كل من الكتاب وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكلمات الصحابة والتابعين والعلماء الأبرار .

أما الكتاب ففيه سورة ﴿ المنافقون ﴾ و﴿ البراءة ﴾ التي تسمى أيضاً الفاضحة والمبعثرة والمشرّدة والمخزية والمثيرة والحافرة والمنكِّلة والمدمدمة وسورة العذاب[1] .

وكذلك ما في سورة النساء ، وثلاثون آية في أول البقرة ، وسورة الأحزاب ، وغير ذلك من الآيات القرآنية الكثيرة جداً ، والتي لا مجال لذكرها في هذه العجالة . .

ولقد تخلف في غزوة تبوك بضعة وثمانون رجلاً ، وحلفوا للنبي (ص) فقبل منهم علانيتهم ، فنزل فيهم قوله تعالى :

﴿ سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم ، فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون . يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين . . ﴾[2] .

وقد صرح تعالى بفسق بعضهم في قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾[3] وقد أجمع المفسرون ، وأهل الحديث ، والتراجم على نزول هذه الآية الكريمة بالوليد بن عقبة الصحابي ، والذي شرب الخمر ، في عهد عثمان ، وصلى بالناس وهو سكران ، وجلد الحد بيد علي عليه السلام[4] .

وقال تعالى أيضاً : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن

---

(١) راجع الكشاف ، وغيره من كتب التفسير وعلوم القرآن .
(٢) راجع : أضواء على السنة المحمدية ص ٣٥٣ وأي كتاب آخر في السيرة .
(٣) سورة الحجرات ٦ .
(٤) راجع : صحيح البخاري ج ٥ ص ٦٣ وغيره .

مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً ، وسيجزي الله الشاكرين ﴾[1] . وقد استدل أبو بكر بهذه الآية على وفاة النبي (ص) . وأخرج ابن أبي شيبة عن إبراهيم قال : قال أبو بكر : « لو منعوني ولو عقالاً أعطوا رسول الله (ص) لجاهدتهم » ثم تلا : ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾[2] . وكان حذيفة يتمثل بهذ الآية أيضاً في يوم اليمامة[3] . . . وكان علي أيضاً يرددها في حياة رسول الله (ص) .

على أن القرآن الكريم يذكّر نبيه والمؤمنين بأن : ﴿ من أهل المدينة مردوا على النفاق ، لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذّبهم مرتين ، ثم يُردون إلى عذاب عظيم . . ﴾[4] . فإذا كان تعالى قد اختص نفسه بالعلم بهم ولم يعلم نبيه بهم فليس لأحد بعد هذا أن يدعّي العلم بعدالة كل من رأى الرسول (ص) . إلا أن يتحقق من عدالة كل صحابي على حدة ، وإلا فإنه يكون من القول بغير علم ، وقد **قال تعالى** : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم . . . ﴾ .

وأما الآيات المتضمنة لرضا الله عنهم ، والوعد لهم بالمغفرة ، والأجر العظيم وما إلى ذلك . . أما هذه الآيات فإنها كلها مقيدة بالايمان والعمل الصالح ، كما لا يخفى على من لاحظها ، وتمعّن فيها . . . وإلا فكيف يمكن أن نتصور رضى الله عن عبد الله بن أبي رأس النفاق ، مع أنه كان من المبايعين تحت الشجرة . . . وكذلك كل من ارتكب بعدها أعظم الكبائر . . . من قتل النفس المحترمة ، والزنا ، وشرب الخمر ، وغير ذلك كما سنشير إليه فيما يأتي . . .

وعلى كل حال . . . فإن لدينا إلى جانب تلك الآيات القرآنية الكثيرة ، التي لا تزال تنعى على المنافقين الذين لم يكن النبي (ص) نفسه يعلمهم ، وعلى

---

(١) سورة آل عمران ١٤٤ .
(٢) الدر المنثور ج ٢ ص ٨٢ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) سورة التوبة ١٠١ .

كثير من الصحابة مواقفهم ، وتذمهم عليها إن لدينا إلى جانب ذلك الكثير من الروايات الواردة عنه (ص) في ذلك، وهو الذي «لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى» ويكفي أنه كان باستمرار يقرع أسماع أصحابه، واتباع دينه بالحديث عن الفتن، في موارد مختلفة، بقي لنا الكثير الطيّب منها، وهي مخرجة في أوثق المصادر عندهم، ومخرجة في أصح الكتب بعد القرآن الكريم حسب ما يعتقده إخوتنا أهل السنة كالصحيحين وغيرهما ونحن نذكر بعضها على سبيل المثال:

١ ـ عن أبي وائل قال : قال عبد الله : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أنا فرطكم على الحوض ، ليرفعن إلى رجال منكم ، حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني ، فأقول : أي رب أصحابي : يقول : لا تدري ما أحدثوا بعدك[1] .

٢ ـ عن أبي حازم قال : سمعت سهل بن سعد يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : أنا فرطكم على الحوض من ورده شرب منه ، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً ليرد عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ، ثم يحال بيني وبينهم . .

قال أبو حازم : فسمعني النعمان ابن أبي عيّاش وأنا أحدثهم هذا فقال : هكذاسمعت سهلاً؟ فقلت: نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيه قال: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما بدّلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدَّل بعدي[2].

٣ ـ عن ابن عمر أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : لا ترجعوا بعدي كفاراً . يضرب بعضكم رقاب بعض ونفس ذلك رواه أبو بكرة ، وجرير ، وابن عباس عنه (صلى الله عليه وآله وسلم)[3] .

---

(١) صحيح البخاري ج ٩ ص ٥٨ كتاب الفتن ج ٨ ص ١٤٨ وفي آخره أنه نقل أيضاً عن حذيفة ومسند أحمد ج ١ ص ٤٣٩ مع تفاوت يسير.

(٢) صحيح البخاري ج ٩ ص ٥٨/٥٩ وج ٨ ص ١٥٠ وصحيح مسلم ج ٧ ص ٩٦ والاستيعاب هامش الإصابة ج ١ ص ١٥٩ ومسند أحمد ج ٥ ص ٣٣٣ وراجع ج ٣ ص ٢٨ .

(٣) صحيح البخاري ج ٩ ص ٦٣ و ٦٤ وصحيح مسلم ج ١ ص ٥٨ .

٤ ـ عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إني فرطكم على الحوض ، وإني سأنازع رجالاً فأغلب عليهم ، فأقول : يا رب أصحابي . فيقال : لا تدري ما أحدثوا بعدك[1] .

٥ ـ عن حذيفة : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ليردن علي الحوض أقوام فيختلجون دوني فأقول : رب أصحابي رب أصحابي فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك[2] .

٦ ـ عن ابن عباس في حديث له عنه يقول صلى الله عليه وآله وسلم فيه : وإن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول : أصحابي ؟ أصحابي ؟ فيقول : إنه لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم ، فأقول ، كما قال العبد الصالح : « وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم . . . إلى قول الحكيم »[3] .

٧ ـ وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : ليردون عليَّ ناس من أصحابي الحوض ، حتى (إذا) عرفتهم اختلجوا دوني فأقول : أصحابي . فيقول : لا تدري ما أحدثوا بعدك . وعبارة مسلم : ليردنَّ عليَّ الحوض رجال ممن صاحبني حتى إذا رأيتهم ورفعوا إليَّ اختلجوا دوني فلأقولنَّ : أي رب أصحابي أصحابي[4] .

٨ ـ عن أبي هريرة : إنه كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : يرد عليَّ يوم القيامة رهط من أصحابي ، فيحلؤون عن الحوض ،

---

(١) صحيح مسلم ج ٧ ص ٦٨ بعدة أسانيد ومسند أحمد ج ١ ص ٤٠٢ و٤٠٦ و٤٠٧ و٣٨٤ و٤٢٥ و٤٥٣ .

(٢) مسند أحمد ج ٥ ص ٣٨٨ وراجع ص ٣٩٣ وأشار إليه في صحيح البخاري ج ٨ ص ١٤٨ /١٤٩ .

(٣) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٦٩ و ٢٠٤ وج ٦ ص ١٢٢ و ٦٩ و ٧٠ وج ٨ ص ١٣٦ وصحيح مسلم ج ٨ ص ١٥٧ ومسند أحمد ج ١ ص ٢٣٥ و٢٥٣ والاستيعاب هامش الإصابة ج ١ ص ١٦٠ وعن الجمع بين الصحيحين .

(٤) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٤٩ وصحيح مسلم ج ٧ ص ٧٠ و٧١ ومسند أحمد ج ٣ ص ٣٨١ وعن الجمع بين الصحيحين الحديث رقم ١٣١ وفي احقاق الحق باب ما رواه الجمهور في حق الصحابة أنهم رووا مثل ذلك عن أم سلمة وأسماء بنت أبي بكر وسعيد بن المسيب وحذيفة وأبي الدرداء .

فأقول : يا رب أصحابي فيقول : إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى[1] .

٩ ـ عن أبي هريرة عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) إنه قال : ترد عليَّ أمتي الحوض وأنا أذود الناس عنه ، كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله قالوا : يا نبي الله أتعرفنا قال : نعم لكم سيما ليست لأحد غيركم تردون عليَّ غرّاً محجلين من آثار الوضوء وليصدّن عني طائفة منكم فلا يصلون فأقول : يا رب هؤلاء من أصحابي ؟ فيجيبني ملك فيقول : هل تدري ما أحدثوا بعدك ؟[2] .

١٠ ـ وعن أبي هريرة أيضاً عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال بينا أنا قائم إذا زمرة ، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال : هلم فقلت : أين ؟ قال إلى النار والله . قلت : وما شأنهم ؟ قال : إنهم ارتدوا بعدك على ادبارهم القهقري ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم قلت: أي أين؟ قال: إلى النار والله. قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على ادبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم[3] .

١١ ـ وروي عن عمار أيضاً : إن في أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إثني عشر منافقاً لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط[4] .

١٢ ـ عن أبي بكرة : إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ليردنَّ عليَّ الحوض رجال ممن صحبني ورآني ، حتى إذا رفعوا إليّ ورأيتهم اختلجوا دوني فلأقولن : رب أصحابي أصحابي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك[5] .

---

(١) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٥٠ وبعده نفس الحديث الذي رواه ابن المسيب عن أصحاب النبي(ص) .

(٢) صحيح مسلم ج ١ ص ١٥٠ .

(٣) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٥٠ /١٥١ والمصنف لعبد الرزاق ج ١١ ص ٤٠٦ وعن الجمع بين الصحيحين الحديث ٢٦٧ .

(٤) راجع: صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢٢ و١٢٣ .

(٥) مسند الامام أحمد ج ٥ ص ٤٨ وص ٥٠ بسند آخر.

١٣ ـ عن أبي سعيد الخدري عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إنه قال : تزعمون أن قرابتي لا تنفع قومي ؟ والله إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة إذا كان يوم القيامة يرفع لي قوم يؤمر بهم ذات اليسار فيقول الرجل : يا محمد أنا فلان بن فلان ويقول الآخر : أنا فلان بن فلان ، فأقول : أما النسب قد عرفت ولكنكم أحدثتم بعدي وآرتددتم على أعقابكم القهقرى[١] .

١٤ ـ قالت أسماء بنت أبي بكر : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إني على الحوض حتى أنظر من يرد علي منكم . وسيؤخذ أناس دوني فأقول : يا رب مني ومن أمتي فيقال : أما شعرت ما عملوا بعدك ؟ والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم[٢] الخ . . .

١٥ ـ عائشة تقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ، وهو بين ظهراني الصحابة : إني على الحوض أنتظر من يرد عليَّ منكم فوالله ليقتطعن دوني رجال. فلأقولن: أي رب مني ومن أمتي فيقول: إنك ما تدري ما عملوا بعدك ما زالوا يرجعون على أعقابهم[٣] .

١٦ ـ وعن أم سلمة : إنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : أيها الناس بينما أنا على الحوض جيىء بكم زمراً ، فتفرّقت بكم الطرق فناديتكم : ألا هلمّوا إلى الطريق ، فناداني منادٍ من بعدي ، فقال : إنهم قد بدّلوا بعدك ، فقلت : ألا سحقاً ألا سحقاً[٤] .

١٧ ـ عن أم سلمة : إنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : أيها الناس إني لكم فرط على الحوض فإياي لا يأتين أحدكم فيذب عني كما يذب البعير الضال ، فأقول : فيم هذا ؟ فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول : سحقاً[٥] .

---

(١) مسند أحمد ج ٣ ص ٣٩ ويقرب منه ما في ص ١٨ وكنز العمال ج ١١ رقم ٢٤٧٢ .

(٢) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٥١ /١٥٢ وصحيح مسلم ج ٧ ص ٦٦ وكنز العمال ج ١١ رقم ٢٤١٦ .

(٣) صحيح مسلم ج ٧ ص ٦٦ والاستيعاب هامش الاصابة ج ١ ص ١٥٩ وكنز العمال رقم ١٤١٦ .

(٤) مسند أحمد ج ٦ ص ٢٩٧ .

(٥) صحيح مسلم ج ٧ ص ٦٧ .

١٨ ـ عن أم سلمة قالت : قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : من أصحابي من لا أراه ولا يراني بعد أن أموت أبداً[١] .

١٩ ـ في كتاب المواهب لمحمد بن جرير الطبري الشافعي عن أبي علقمة قال : قلت لسعد بن عبادة وقد مال الناس إلى بيعة أبي بكر : ألا تدخل فيما دخل فيه المسلمون ؟ قال : إليكِ مني فوالله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إذا أنامتُّ تضِلّ الأهواء ، ويرجع الناس على أعقابهم فالحق يومئذ مع علي وكتاب الله بيده ، ولا تبايع أحداً غيره[٢] .

٢٠ ـ وكان طلحة بن عبيد الله وابن عباس وجابر بن عبد الله يقولون : صلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على قتلى أحد وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنا على هؤلاء شهيد ، فقال : أبو بكر : يا رسول الله أليسوا إخواننا ، أسلموا كما أسلمنا وجاهدوا كما جاهدنا ؟ قال بلى ولكن هؤلاء لم يأكلوا من أجورهم شيئاً ولا أدري ما تحدثون بعدي ، فبكى أبو بكر وقال : إنا لكائنون بعدك ؟[٣] .

٢١ ـ عن مرة قال : حدثني رجل من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ناقة حمراء مخضرمة فقال : أتدرون أي يوم هذا ؟ إلى أن قال : ألا وإني فرطكم على الحوض أنظركم وإني مكاثر بكم الأمم فلا تسودّوا وجهي . ألا وقد رأيتموني وسمعتم مني ، فمن كذب علي فليتبوأ مقعده من النار ألا وإني مستنقذ رجالاً أو اناثاً ومستنقذ مني آخرون فأقول : يا رب أصحابي ؟ فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك[٤] .

---

(١) مسند أحمد ج ٦ ص ٢٩٨ .
(٢) ملحقات احقاق الحق ج ٢ ص ٢٩٦ .
(٣) مغازي الواقدي ج ١ ص ٤١٠ .
(٤) مسند أحمد ج ٥ ص ٤١٢ وفي صحيح البخاري ج ٥ ص ١٥٩ / ١٦٠ : عن العلاء بن المسيب عن أبيه ، قال : لقيت البراء بن عازب (رض) فقلت : طوبى لك ، صحبت النبي (ص) وبايعته تحت الشجرة ، فقال : يا ابن أخي لا تدري ما أحدثنا بعده . .

٢٢ ـ وقال المغفور له العلامـة الأميني في كتاب «سـيرتنا وسنتنـا، سيرة نبينـا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) » ص ٢٦ : اخرج الحفاظ بأسانيدهم الصحيحة عن ابن عباس : « خرجت أنا والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعليّ رضي الله عنه في حيطان المدينة ، فمررنا بحديقة فقال عليّ رضي الله عنه : ما أحسن هذه الحديقة يا رسول الله ؟ فقال : حديقتك في الجنة أحسن منها ثم أومـأ بيده إلى رأسه ولحيته ثم بكى حتى علا بكاه . قيل : ما يبكيك ؟ قال ضغاين في صدور قوم لا يبدونها لك حتى يفقدونني » وفي لفظ عن أنس بن مالك : « ثم وضع النبي رأسه عليّ فبكى فقال له : ما يبكيك يا رسول الله صلى الله عليك ؟ قال : ضغاين في صدور أقوام لا يبدونها حتى افارق » .

وأخيراً . . فقد قال المقبلي : إن أحاديث « لا تدري ما أحدثوا بعدك » متواترة بالمعنى[1] .

هذا غيض من فيض ، مما يدل على أن الصحابة ليسوا كلهم عدولاً أبرار أخيـاراً بل هم كسـائر النـاس الآخـرين يخـطئـون ويصيبـون ، يـطيعـون ويعصون . . . وإن كان ربما يكون الذنب منهم أعظم ، والمعصية منهم أشد ، باعتبار أنهم نالوا شرف رؤية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ، وسعدوا بمجالسته ورأوا من براهينه ومعجزاته ما يبهر كل عقل ويقطع كل عذر . . . وعليه فكل ما يدعى لهم من صفات غير طبيعية وعدالة ونزاهة وطهارة حقيقية لا يعدوا عن أن يكون مجرد دعوى واهية لا تستند إلى دليل ولا يدعمها برهان .

ومن أراد التوسع في هذا الموضوع فليرجع أيضاً بالإضافة إلى ما تقدم : مصنف عبد الرزاق ج ١١ ص ٤٠٦ ـ ٤٠٧ ، وتنوير الحوالك ج ١ ص ٥١ ، والبحار ج ٢٨ كتاب الفتن ص ٢٦ حتى ٣٦ ، وكنز العمال ج ١١ ص ١٥٧ رقم ٦٤٥ وفي ذيله : « إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك مرتدين على أعقابهم » ورقم ٧٤٦ ورقم ٧٤٧ وفيـه : «ولكنكم ارتددتم بعـدي ورجعتم القهقـرى» وص ١٥٥ رقم ٧٧٦ وفيه : « فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم بعضاً » وج ١١ ص

---

(١) راجع : أضواء على السنة المحمدية ص ٣٥٠ نقلاً عن العلم الشامخ للمقبلي .

٢٢١ رقم ٢٤١١ عن أبي هريرة وفيه : «إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى » وفي بعضها عن حذيفة رقم ٢٤١٢ وعن أنس رقم ٢٤١٤ وعن سمرة رقم ٢٤٨١ وعن أبي هزيرة رقم ٢٤١٥ وعن حذيفة رقم ٢٤٧٦ و٢٤٧١ وعن أم سلمة رقم ٤١٧ وعن أنس وحذيفة رقم ٢٤١٨ وعن زيد بن خالد رقم ٢٤٢٤ وعن ابن مسعود رقم ٢٤٧٠ وعن أسماء بنت أبي بكر وعائشة رقم ٢٤١٦ وعن أبي سعيد رقم ٢٤٧٢ وغير ذلك مما لا يمكن استقصاؤه في هذه العجالة .

وحسب هذا الرأي قوة أن يكون مدعوماً بالنصوص القرآنية وبالنصوص النبوية التي رواها لنا عدد كبير من الصحابة أنفسهم كما يظهر مما تقدم مثل : سهل، حذيفة، ابن عباس، عائشة، أبي سعيد، ابن مسعود، أم سلمة ، أنس ، سمرة ، زيد بن خالد ، أسماء بنت أبي بكر ، ابن عمر ، أبي هريرة ، أبي بكرة ، عمار ، سعد بن عبادة ، طلحة ، جابر ، أبي الدرداء رجل من صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغير ذلك ممن لم يتهيأ لنا في هذه العجالة الاطلاع عليهم .

وعلى هذا فما ينسب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كلمات تدل على عدالة جميع الصحابة ووجوب الاقتداء بهم جميعاً لا يمكن أن تصح ولا شك في وضعها على لسانه (ص) وافتعالها ، لأنها مما يكذبها كل أفعاله وأقواله تجاههم وفي حقهم ، ويدحضها عامة سلوكه معهم . . .

وأما الحديث الذي يردده الناس في العصور الأخيرة وينسب إليه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم « فهو باطل ، صرح ببطلانه جمع كثير من الأعلام قديماً وحديثاً كأحمد بن حنبل ، والبزار، وابن حزم، وابن الجوزي وابن عبد البر، وغيرهم كثير، هذا عدا عن أن متن الحديث ذاته يدل دلالة واضحة على ضعفه ، فليس كل نجم من النجوم يهتدي به الضال في ظلمات البر والبحر . . . »

ولعله وضع في مقابل حديث : النجوم أمان لأهل السماء ، وأهل بيتي

أمان لأمتي . . . وبلفظ آخر : النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق ، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف[1] . . بل يظهر أنه وضع ليجعل الأصحاب هم الهداة لسفينة نوح ، التي من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق[2] بل في لسان الميزان / ج ١ ص ١٣٦ إن النبي (ص) قال : أهل بيتي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم .

وبعد . . . فهل يمكننا أن نقتدي ونهتدي بمعاوية ومروان ، وعمرو بن العاص ، والوليد بن عقبة ، واضرابهم في لعنهم علياً والحسن والحسين عليهم السلام وغيرهم . . . باعتبار أن معاوية وهؤلاء هم من تلك النجوم التي بأيها نقتدي ونهتدي ؟! . .

وهل يمكننا أن نهتدي بالحكم بن أبي العاص طريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ وبالوليد بن عقبة الفاسق بنص القرآن الكريم ، والذي نزل فيه ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ والذي شرب الخمر في عهد عثمان ، وصلى بالناس وهو سكران كما قدمنا ؟! . .

وهل يصح أن نقتدي ونهتدي بكل أولئك المنافقين ، الذين كانوا على عهد الرسول (ص) ؟ أم يعقل أنهم أصبحوا بمجرد موته (ص) عدولاً أبراراً إن ذلك لعجيب وعجيب حقاً !! . .

وهل يمكن أن نقتدي ونهتدي بأولئك الذين ارتكبوا أعظم المنكرات ، سواء في حياة النبي أو بعد وفاته ؟! . .

فها نحن نرى بعضهم قد شرب الخمر في أيام عمر ، وأقام عليه عمر الحد ، وهو قدامة بن مظعون[3] مع أنه كان صحابياً ، بل وبدرياً أيضاً ، ومن السابقين الأولين ، وقد هاجر الهجرتين .

---

(١) ذخائر العقبى ص ١٧ واسعاف الراغبين .

(٢) نزهة المجالس للصفوري الشافعي ج ٢ ص ١٧٩ .

(٣) الاصابة ج ٣ ص ٢٢٨ / ٢٢٩ والاستيعاب بهامشها ج ٣ / ص ٣٦١ وأسد الغابة ج ٤ ص ١٩٩ وشرح النهج ج ٢٠ ص ٢٣ .

كما وشربها أيضاً عبد الرحمان بن عمر ـ وعبد الرحمان قد عاصر الرسول (ص) ـ وأقام عليه أبوه الحد ، ومات من جراء ذلك ، وقضيته أشهر من أن تذكر[1] .

واتهم المغيرة بالزنا ، وشهد عليه ثلاثة ، وتردد الرابع ـ وهو زياد بن أبيه ـ وتردده هو الذي درأ الحد عن المغيرة ، وليس كون المغيرة صحابياً[2] مع أن المغيرة كان من المبايعين تحت الشجرة أيضاً، وهي المعروفة ببيعة الرضوان.

وكان أبو محجن يزني ، ويشرب الخمر ، وقد جلده عمر سبعاً أو ثماني مرات لذلك ونفاه[3] .

وارتد طليحة بن خويلد عن الإسلام وادعى النبوة[4].

وكان سمرة بن جندب يبيع الخمر في عهد عمر[5] وهو أحد الثلاثة الذين قال لهم النبي (ص) : آخركم موتاً في النار .

وحد النبي نعيمان ثلاث مرات في الخمر ، وطلب عمر قتله في الرابعة ، فلم يقبل منه[6] مع أن نعيمان قد شهد المشاهد كلها ، وشهد العقبة أيضاً .

وبسر بن أبي أرطاة قد عاث في الأرض فساداً وقتل طفلين لعبيد الله بن العباس، وما ذنب الأطفال؟! .

ومعاوية ـ وما أدراك ما معاوية بائع الأصنام[7] ـ يجعل رأي نفسه مقدماً

---

(١) الإصابة ج ٣ ص ٧٢ والاستيعاب بهامشها ج ٢ ص ٤٠٣ وأسد الغابة ج ٤ ص ٣١٢ وشرح النهج للمعتزلي ج ٢٠ ص ٢٣ .
(٢) الاصابة ج ٣ ص ٤٥٢ وشرح النهج للمعتزلي ج ٢٠ ص ٢٣ والقضية معروفة ومشهورة . .
(٣) الاصابة ج ٤ ص ١٧٤ والاستيعاب بهامشها ج ٤ ص ١٨٣ / ١٨٤ وأسد الغابة ج ٥ ص ٢٩٠ وشرح النهج للمعتزلي ج ٢٠ ص ٢٨ .
(٤) أسد الغابة ج ٣ ص ٦٥ والاصابة ج ٢ ص ٢٣٤ وشرح النهج ج ٢٠ ص ٢٨ .
(٥) الاحاديث الموضوعة : حديث أصحابي كالنجوم ص ٧٧ عن البخاري وغيره .
(٦) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٩٦ وأسد الغابة ج ٤ ص ١٩٩ / ٢٠٠ وج ٥ ص ٣٦ / ٣٧ والاصابة ج ٣ ص ٤٠٤ و٥٧٠ .
(٧) الاحاديث الموضوعة : حديث أصحابي كالنجوم ص ٧٧ عن المبسوط في الفقه الحنفي ، كتاب الاكراه .

على قول الرسول الذي لا ينطق عن الهوى ، فإنه عندما باع بيعاً ربوياً ، واعترض عليه أبو الدرداء بقوله : سمعت رسول الله (ص) ينهى عن مثل هذا إلا مثلاً بمثل فقال معاوية : ما أرى بهذا بأساً . فقال أبو الدرداء : من يعذرني من معاوية ؟ أنا أخبره عن رسول الله (ص) ويخبرني عن رأيه ، لا أساكنك بأرض أنت بها ، ثم قدم أبو الدرداء على عمر بن الخطاب فذكر ذلك له ، فكتب عمر بن الخطاب إلى معاوية أن لا تبع ذلك إلا مثلاً بمثل وزناً بوزن[1] . راجع مقدمة كتابنا : حديث الافك .

ومعاوية يسم الحسن عليه السلام ريحانه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ويفعل غير ذلك من أمور شنيعة كقتله حجر بن عدي ، وعمرو بن الحمق الخزاعي إلى آخر قائمة ضحا يا معاوية الطويلة ؛ فقد قتل في صفين فقط من أهل بيعة الرضوان ٦٣ رجلاً منهم عمار ومن البدريين ٢٥ رجلاً[2] .

ولقد نسي الناس أن الصحابة كانوا يتهمون أقرانهم بالفسق تارة ، وبالردة والكفر أخرى ـ كما فعل بمالك بن نويرة الصحابي ـ ونسي الناس أيضاً : أن الصحابة أنفسهم قد ثاروا على خليفتهم عثمان وقتلوه ، أو شاركوا في التأليب عليه ، وإثارة الناس ضده . وكيف ينسى دور عائشة وطلحة ، والزبير ، وولده عبد الله ، وعمرو بن العاص ، وغيرهم في ذلك ، وبعد أن قتلوه تركوه ثلاثة أيام بلا دفن ، حتى دفن في « حش كوكب » مقبرة اليهود . فكيف جاز لهؤلاء الصحابة مخالفة نص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الصحابة ؟ ولماذا لم يراعوا عدالتهم وهداهم ؟! .

وأخيراً . . فإن عمر نفسه يصرح بوجود المنافقين في الصحابة حين وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد أخرج ابن المنذر ، عن أبي هريرة قال : لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام عمر بن الخطاب فقال : إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توفي[3] وتقدم

---

(١) موطأ الامام مالك ج ٢ ص ١٣٥ وشرح النهج ج ٢٠ ص ٢٧ .
(٢) الاستيعاب هامش الاصابة ج ٢ ص ٢٧٨ والتنبيه والاشراف ص ٢٥٦ .
(٣) الدر المنثور ج ٢ ص ٨١ .

تصريح أبي بكر بذلك . . إلى غير ذلك مم تضيق به كتب التأريخ ، ومجاميع الحديث والرواية .

ويكفي أن نذكر أن البلاذري قد ذكر في أنساب الأشراف أسماء المنافقين ، واستغرقت عشر صفحات كاملة ج ٢ ص ٢٧٤ حتى ص ٢٨٣ .

وختاماً ننقل كلام حذيفة بن اليمان (وهو صاحب سر رسول الله وعرّفه صلى الله عليه وآله وسلم المنافقين) عن صحيح البخاري في كتاب الفتن : « إن المنافقين اليوم شر منهم على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يومئذ يسرون واليوم يجهرون » .

ولمعرفة المنافقين الذين يصفهم حذيفة إقرأ كتاب « الغدير » للعلامة الراحل الأميني وقد نشر منه حتى الآن أحد عشر مجلداً وغيره من الكتب العلمية التي توحد صفوف المسلمين مثل كتاب « المراجعات » للإمام شرف الدين العاملي وكتاب « عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى » لصاحب الفضيلة العلامة السيد العسكري وكتاب « خمسون ومأة صحابي مختلق » له أيضاً . وكتاب « أبو هريرة » و « أضواء على السنة المحمدية » و « قصة الحديث المحمدي » وكلها لعلامة مصر الراحل وفقيد العلم والمعرفة الاستاذ المرحوم محمود أبورية .

وبعد هذا . . فهل يصح أن يقال : إن حديث : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » صحيح ، ويجب العمل به ؟ وهل يصح الاقتداء حقاً بكل صحابي ، وفي جميع أفعاله وأقواله ، حتى من لم ير النبي (ص) ، إلا مدة يسيرة كيوم أو شهراً، أو شهرين مثلاً ؟ وهل مجرد رؤيته له (ص) تجعله لا يتعمد ذنباً ، ولا يميل إلى معصية ؟ .

وإذا كان الصحابة كلهم عدولاً أتقياء . . . فلماذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكذبهم في أقوالهم ، ويتبرأ من كثير من أفعالهم ؟ وهذه كتب السير والحديث والمغازي بين أيدينا وفيها ما لا يحد بحد ، ولا يعد بعد . . . ولماذا يقولون إنه صلى الله عليه وآله وسلم قد جلد الذين قذفوا أم المؤمنين ، بعد أن نزلت الآية ببراءتها ، مع أنهم من صحابته ، وفيهم من هو بدري أيضاً ؟!

وإذا كان الصحابة كلهم عدولاً ، مطهرين ، منزهين ، فلماذا تقام عليهم الحدود وتجري عليهم القصاصات ، سواء في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أو بعد وفاته ؟ وكيف تقبل الشهادة ضدهم ، وكيف يهتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقضية الإفك؟ ولم لا يحكم بنزاهة أصحابه ويقول إنهم لا تجوز عليهم المعصية ، من دون أن ينتظر الخبر من السماء ؟! .

وإذا كان حديث النجوم هذا صحيحاً ، فهل من المعقول أن نعتبر أهل الشام وفيهم من الصحابة أمثال معاوية وعمرو بن العاص مهتدين في حربهم علياً في صفين ، في نفس الوقت الذي نعتبر فيه علياً وأهل العراق ، مهتدين في حربهم لأهل الشام ؟!! .

وإذا كان الخطاب بقوله : « بأيهم اقتديتم اهتديتم » للصحابة ، فمن منهم الموصى أن يهتدي ويقتدي ؟ ومن منهم الذي يكون الاقتداء والاهتداء به .

وبعد هذا . . وإذا كان الحق واحداً ، وواحداً فقط ، فبمن نقتدي ونهتدي من الصحابة ، الذين لا يزالون مختلفين في أكثر الأشياء ، ويكذب بعضهم بعضاً ، ويعبر بعضهم عن سوء رأيه بالآخر .

وألسنا نجد أن أحداً من الصحابة لم يعمل بهذا الحديث . . فكل منهم يسب الآخر ويلعنه ، بل ويستحل دمه ، ويكفره فقد روي أن عماراً كان يكفر عثمان ، ويستحل دمه ، وأن عبد الرحمان بن عوف وابن مسعود كانا يستحلان دم عثمان أيضاً ، على ما ذكره طه حسين[1] وقال المعتزلي الحنفي : إن عثمان قال لعبد الرحمان بن عوف : يا منافق[2] . . . وذلك في كتب التأريخ والحديث كثير ، وكثير جداً . .

بل ونجد الكثير الكثير مما يدل على أنهم ما كانوا يقبلون الاهتداء ببعضهم البعض ، فإن علياً لم يكن يجوز الاقتداء بمعاوية ، والوليد ، ومروان ، وابن العاص ، واضرابهم . وعمر وعثمان ، وعائشة وعلي ، قد أكذبوا أبا هريرة[3] .

---

(١) الفتنة الكبرى ، عثمان ص ١٧١ و١٧٢ .

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج ٢ ص ٢٥ .

(٣) راجع : شرح النهج للمعتزلي ج ٢٠ ص ٣٠ وتأويل مختلف الحديث ص ١٠ وجامع بيان العلم ج ٢ .

وعلى ذلك جرى بعض الأئمة الكبار ، فقد نقل ابن أبي الحديد عن أبي حنيفة أن « الصحابة كلهم عدول ما عدا رجالاً ، ثم عدَّ منهم : أبا هريرة ، وأنس بن مالك » وفي المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء عن الشافعي : « إنه سرّ إليّ الربيع : لا يقبل شهادة أربعة من الصحابة وهم معاوية وعمرو بن العاص ، والمغيرة ، وزياد » أقول لكن زياداً ليس من الصحابة : لأنه ولد في زمن الرسول ولم يره . . . وقال شعبة : « كان أبو هريرة يدلس » كما في البداية والنهاية . وفي العقد الفريد لابن طلحة ص ١٧٤ قصة طويلة يذكر فيها تكذيب جمع من العلماء لأبي هريرة في حضرة الرشيد ، ووافقهم الرشيد على ذلك إلى غير ذلك مما لا يمكن تتبعه واستقصاؤه .

وبعد كل ما قدمناه . . . وإذا كان الصحابة أنفسهم لا يجيزون لنا الاقتداء ببعضهم البعض ، فلم لا نهتدي ونقتدي بهم ونقول : « لا يجوز الاقتداء بكل صحابي ، إلا من ثبتت عدالته ونزاهته » ؟ .

أم يعقل أن يكون معنى : « أصحابي كالنجوم . . » هو وجوب الاقتداء بهم في بعض أقوالهم وأفعالهم أو ببعض منهم هم دون البعض الآخر ؟ وإذا كان المقصود هو ذلك ، فهل يبقى معنى لقوله : « بأيهم اقتديتم اهتديتم » إن ذلك لعجيب ، وعجيب حقاً !

وعدا عن ذلك فلماذا لا يجوز لنا أن نقتدي بعلي عليه السلام في لعنه مثل معاوية ، ومروان ، وابن العاص واضرابهم مع أن الناس قد قلدوا معاوية عشرات السنين ولعنوا أخا رسول الله ووصيه ، ومن هو منه بمنزلة هارون من موسى ، ولعنوا كذلك الحسن والحسين عليهما السلام وقيس بن سعد ، وغيرهم من خيرة أصحاب الرسول (ص) .

وإذا كان حديث النجوم هذا صحيحاً ، فلماذا عندما أعلن سب أعظم صحابي على آلاف منابر المسلمين ، عشرات السنين وكان بعض الصحابة المتهالكين على الدنيا يشاركون في ذلك ويشارك أيضاً التابعون ـ الذين يقولون : إن قرنهم خير القرون ـ لماذا لم نجد من يعترض على ذلك بأنه ينافي عدالة

الصحابة ونزاهتهم ، ولم نجد من التابعين من قال أيها الناس لقد خالفتم قول رسول الله (ص) : « أصحابي كالنجوم . . » مع أن كثيراً منهم ليس فقط قد شارك في سب الصحابة الأبرار ولعنهم ، وإنما شارك في قتلهم وسفك دمائهم ، ومحاربتهم .

نعم . . لقد سب علي عليه السلام على المنابر مع أن الرسول (ص) قد قال : « من سب علياً فقد سبني »[1] ولم نجد من يعترض على ذلك بمنافاته لعدالة الصحابي ، ولا بحديث النجوم ، وإنما كانت اعتراضات المعترضين وصرخات المخلصين تحاول التذكير بمواقف علي ، وبأقوال الرسول فيه ، وبالآيات الواردة في حقه ، والتي لم يعبأ بها المزيفون وأهل الدنيا ، وطلاب اللبانات .

وليتنا ندري لماذالم يكفر التابعون، وكيف جاز لهم سب علي، وقتلهم الحسين، وغير ذلك من جرائم وفظائع ـ بل إن قرنهم خير القرون ـ ولماذا يوثق عمر بن سعد[2] ولماذا لم يجز لهذا الشيعي أن يعبر عن رأيه في هؤلاء اللاعنين، المصرين على هذا الإثم العظيم، ويكشف حقيقتهم وواقعهم للناس جميعاً. بل إذا حاول ولو مرة واحدة أن يبدي رأيه فيهم، فإنك ترى أصابع الاتهام بل والتكفير والاخراج من الدين تنصب عليه من كل جانب ومكان . .

ولكن الحقيقة هي أن حديث : أصحابي كالنجوم قد وضع فقط لصالح أعداء علي وآل علي . فهؤلاء فقط هم العدول ، الأبرار وليس لأحد أن ينالهم بسوء ولهم هم كل الحق في أن ينالوا علياً باللّعن ، وأهل البيت بالقتل والسبي ، وكل الفظائع . وهذا الحديث حينئذٍ لا يستطيع أن يؤثر أثره ، ولا أن يثبت وجوده .

وقبل أن نأتي على نهاية هذا الحديث نود أن نشير إلى أن حديث النجوم ـ الموضوع ـ لا يستطيع أن يقاوم حديث الثقلين المتواتر ، الوارد في الكتب المعتبرة عند إخواننا مثل : صحيح مسلم ، والترمذي ، ومسند أحمد ، وغيرها بأسانيد كثيرة جداً حيث يأمرنا في هذا الحديث ، ويأمر الصحابة باتباع خليفتين ،

---

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢١ وصححه الذهبي أيضاً .
(٢) وثقة العجلى على ما في تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٥١ .

أحدهما : كتاب الله ، والآخر : أهل بيته ، وجعل الاهتداء مشروطاً باتباعهما والتمسك بهما ، حيث قال : « ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً » وأهل بيته هم : عليّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين عليهم السلام ؛ فالأجدر بنا أن نهتدي بهداهم ، ونتبع خطواتهم ونسير على نهجهم ومن نهجهم نقد كل صحابي ، وإعطاء كل ذي حق حقه بلا إفراط ولا تفريط .

وأهل البيت فقط هم سفينة نوح ، التي من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق ، لأنهم هم الذين أذهب الله عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيراً . وكل من سواهم لا بد في الحكم بعدالته من دارسة تاريخ حياته ، ونقد عامة سلوكه وتصرفاته . .

وأخيراً . . فلقد صرح جماعة من إخواننا بأن الصحابة غير معصومين ، وفيهم العدول وغير العدول فقد ذكر صاحب كتاب أصحابي كالنجوم ص ١٥ إن منهم السعد التفتازاني ، في شرح المقاصد وابن العماد الحنبلي على ما في النصائح الكافية ص ٦٢ عن الآلوسي والشوكاني في إرشاد الفحول والشيخ المقبلي في العلم الشامخ ـ على ما في أضواء على السنة المحمدية وشيخ المضيرة ـ والمارزي شارح البرهان ـ على ما في النصائح الكافية ص ١٦١ والاصابة ج ٢ ص ٣٩١ ، ٣٩٢ ـ والسيد محمد بن عقيل في النصائح الكافية ، وطه حسين في الفتنة الكبرى : عثمان ، والشيخ محمود أبورية في أضوائه وشيخ مضيرته ص ١٠١ ، والشيخ محمد عبده على ما في أضواء أبي رية ، والسيد محمد رشيد رضا على ما في شيخ المضيرة ، والشيخ مصطفى صادق الرافعي في إعجاز القرآن ، وغيرهم .

وهكذا نجد : أن العلماء الاتقياء لا يزالون يعرضون أفكارهم على محك العلم ، وعلى الموازين الصحيحة التي يؤيدها القرآن ، وكلمات الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وقوانين الشريعة الغراء ، وأخيراً . . . العقل الفطري السليم .

ويكفي أن نذكر هنا : أن القرآن قد قرر أن لكل نفس ما كسبت ، وعليها ما اكتسبت ، ولو كان مثقال ذرة من خير ، أو من شر على حد سواء . . .

وإن أكرمكم عند الله أتقاكم ، لأن الإسلام لا ينظر إلى المصاحبة الجسدية كمقياس ، كيف وصاحبا يوسف عليه السلام كانا مشركين ، وأصحاب موسى قد عبدوا العجل ، في حين كان نبيهم يناجي ربه عز وجل في شأنهم ، وإن عيسى أحس من أصحابه الكفر . إلى آخر ما هنالك .

وفي الختام فإنا نود أن نذكركم بأن نقد الشيعة للصحابة ليس إلا لاحياء القيم الإسلامية وتقدير كل أحد منهم بمقدار ما يتوفر لديه من المكارمُ والفضائل والتقوى والعلم والشرف والشجاعة والطاعة والإتباع والكرامة والنجدة والعظمة والبخوع للحق ومضادة الباطل وكراهة العصيان وإقامة السنة وإبادة البدعة وترويج الحق ومحق الباطل والحض على الخيرات ودحض المنكرات . وما تتبعه الشيعة في معتقداتها معتضد بالعقل والنقل (يعني الكتاب والسنة النبوية كما جاء في كتب الشيعة وأهل السنة) ، وهم يناقشون الأحاديث ويميزون الغث من السمين ويتركون ذلك ويتمسكون بهذا ، ومن نظر في كتبهم الكلامية يلمس هذه الحقيقة . وبهذه المناسبة تراهم يحبون جمعاً من الصحابة لا يستهان بعددهم من أولي الفضيلة الذين اجتمعوا حول أمير المؤمنين علي عليه السلام كسلمان الفارسي وأبي ذر والمقداد وعمار بن ياسر وآخرين كثيرين مذكورين في كتبهم ولكن لا يمكنهم اطراء الفئة التي ذكرناها لك من تلك الناحية ولكل قوم سنة وإمامها .

إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وختاماً فنرجو من مجلة المجتمع : أن تنشر هذه الرسالة بحذافيرها إن كانت تعني ما تقول حينما تجعل من نفسها منبراً حراً للفكر الإسلامي .

ولكن المجلة المذكورة لم تنشر هذه المقالة ، وهي مع ذلك لا تزال تدعي : إنها منبر حر للفكر الإسلامي فاقرأ واسمع واضحك !! . . .

والسلام على من اتبع الهدى

مصادر البحث

١ ـ القرآن الكريم . . . .

٢ ـ الاحاديث الموضوعة : حديث أصحابي كالنجوم . . . .

٣ ـ احقاق الحق (الملحقات) . . . . للمرعشي النجفي

٤ ـ الاستيعاب . . . . لابن عبد البر

٥ ـ أسد الغابة . . . . لابن الأثير

٦ ـ اسعاف الراغبين . . . . للصبان

٧ ـ الإصابة . . . . للعسقلاني

٨ ـ أضواء على السنة المحمدية . . . . لأبي رية

٩ ـ تأويل مختلف الحديث . . . . لابن قتيبة

١٠ ـ التنبيه والاشراف . . . . للمسعودي

١١ ـ تهذيب التهذيب . . . . للعسقلاني

١٢ ـ جامع بيان العلم . . . . لابن عبد البر

١٣ ـ الدر المنثور . . . . للسيوطي

١٤ ـ دخائر العقبى . . . . للطبري

١٥ ـ شرح النهج . . . . للمعتزلي

١٦ ـ صحيح البخاري . . . . للبخاري

١٧ ـ صحيح مسلم . . . . لمسلم

١٨ ـ الفتنة الكبرى . . . . لطه حسين

١٩ ـ الكشاف . . . . للزمخشري

٢٠ ـ كنز العمال . . . . للمتقي الهندي

٢١ ـ المستدرك على الصحيحين . . . . للحاكم

٢٢ ـ مسند أحمد . . . . لابن حنبل

٢٣ ـ المغازي . . . . للواقدي

٢٤ ـ الموطأ . . . . لمالك

٢٥ ـ نزهة المجالس . . . . للصفوري الشافعي

بسم الله الرحمن الرحيم

العلوي يرد على مقالنا حول الصحابة

امضاء الأسنة على من جهل الصحابة
في القرآن والسنة (من العلوي إلى العاملي)

نظرت في مجلة الهادي (إيران قم المقدسة) العدد ٢ السنة ٥ الصفحة ١١٤ مضمون الصحابة في القرآن والسنة (وهو في الحقيقة الصحابة في المثالب المزخرفة) أريد به الرد على مجلة المجتمع فوجدت منشاء المغالطة فيه اعتبار الصحابة بالمعنى اللغوي دون الشرعي انكان هذا هو الطريق الصحيح فلا يبقى في عالم الإسلام طريق هداية ويدخل في الصحابة أبو جهل وابن أُبيّ ويدخل في أهل البيت أبو لهب وهو خلاف عقل ونقل فها أنا أنقل بعض أقواله وأعقبه بكلمة أقول رداً عليه وبالله التوفيق .

قوله : نؤمن بأن سائر الصحابة كانوا كسائر الناس لا يزيدون عليهم ولا يمتازون . . أقول : في الناس كفار ومنافقون ومرتدون والصحابي في الشرع المطهر لا يقال إلا لمؤمن تام قال الله تعالى هم المؤمنون حقاً (آخر الأنفال) وقال تعالى والسابقون الأولون (إلى) رضي الله عنهم (الجزء ٦ ص ١١) وغير ذلك من الآيات وفي نهج البلاغة (طبع بيروت ص ١١٦) قول علي رض : لا نستزيدهم في الايمان ولا يستزيدوننا الأمر واحد ٣٤٠ وفي صفحة ١٨٩ ج ١ لقد

رأيت أصحاب محمد فما أرى أحداً يشبههم (انظر يا عاملي إلى هذا وأنت تشبههم بسائر الناس) فما نقلت أنت من كتاب الله تعالى فهو مما ورد في حق الكفار والمنافقين كما اعترفت أنت حيث قـلت: (أما الكتاب ففيه سورة المنافقون والبراءة) . . وأما ما ذكرت من الروايات الحديثية فلا حجة فيها خلاف كتاب الله تعالى خصوصاً في باب العقائد الإسلامية وقد ذكر في هذه المجلة الهادي في ص ٢٣ أجمع المؤرخون أن أعداء علي وضعوا أحاديث أرادوا بها مقابلة الأحاديث الواردة في شأنه) فنحن نقول أجمع المؤرخون أن أعداء الصحابة وضعوا أحاديث أرادوا بها مقابلة الأحاديث الواردة في شأنهم قد ذكر أمامك أبو جعفر الطوسي في عدة الأصول (طبع بمبيء ص ٣٦) إن عبد الكريم بن أبي العوجاء قال أدخلت في أحاديثكم أربعة آلاف أحاديث مكذوبة ـ لكنك يا عاملي لم تنظر في دفاتر الصحاح ما ورد في بيان رفعة مكان الصحابة لما على بصرك من غشاوة العداوة وأما الحكايات التاريخية التي حكيت عن كتب تواريخك فعندنا كالبعرة في مقابلة الذهب والفضة ـ ذكر في أصول الكافي في باب الأخذ بالسنة (طبع لكهنو) ص ٣٥ عن الصادق إن ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف وفي باب (إن الأئمة امامان) ص ١٣١ عنه أيضاً إن الأئمة امان قال تعالى وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار يقدمون أمرهم قبل أمر الله ويأخذون بأهواءهم خلاف ما في كتاب الله فعلم أن مدار الإسلام على كتاب الله تعالى لا على الروايات خلافه فاعتبر يا عاملي العاقل يكفيه الإشارة .

قوله حديث (٩) ترد علي أمتي الحوض الخ

أقول هذه قصة أمة النبي عليه السلام على العموم أو قصة من ارتد بعده عليه السلام وهم الذين ذكرهم الله تعالى من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه (إلى) يجاهدون في سبيل الله (المائدة ص ٨) فهذا القوم هم الصحابة وهم غير مرتدين فما تقول في حقهم يا عاملي وما قال عليه السلام في حق المرتدين (هؤلاء أصحابي) فهو على سبيل الشفقة بزعم أنهم من أمته لا على الحقيقة وقد جاء نحو هذا في حق أهل البيت ففي آخر كتاب الفتن

من المشكوة ص ٤٦٤ ثم فتنة السراء من تحت قدمي رجل من بيتي يزعم أنه مني إنما أوليائي المتقون الخ ـ قال الله تعالى إن أكرمكم عند الله أتقاكم (الحجرات) وقال عليه السلام آل محمد كل تقي (الجامع الصغير للسيوطي) وفي رجال الكشي ص ٢١٩ قال الصادق أصحابي أولو النهى والتقى فمن لم يكن من أهل النهى والتقى فليس من أصحابي ـ .

فلعل العاملي لم يطلع على كتب الأصول فيعرف من هو الصحابي ذكر الشيخ ابن حجر في شرح النخبة (ص ٥٥) الصحابي من لقي النبي عليه السلام مؤمناً به ومات على الإسلام وذكر المجلسي في جلاء العيون في الباب الثامن (ص ٦٠٤) إن في أهل البيت جعفرين أحدهما صادق والآخر كاذب ـ وغير ذلك من النقول مما لا يمكن استقصاؤه في هذه العجالة .

قوله في كتاب المواهب للطبري الشافعي يرجع الناس على أعقابهم أقول ـ ليس الطبري من الشوافع بل هو من الروافض ويكفي لطالب الحق قول سيدنا علي في نهج البلاغة (ص ٧ ج ٣) بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان (إلى) كان ذلك لله رضا ـ وذكر المجلسي في أواخر حيات القلوب بسند معتبر عن الصادق إن النبي عليه السلام دعا الله تعالى أن يجمع الناس على خلافة علي بعده فرد الله تعالى دعاءه ولم يستجب وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد وفي حق اليقين للمجلسي (في باب ٥ مقصد ٦ فصل ٨) إن السيدة الزهراء رضيت عن أبي بكر وعمر وفي روضة الكافي للكليني ص ١٣٩ إن علياً بايع أبا بكر وفي أصول الكافي في باب مولد الزهراء إن السيدة فاطمة قالت في حق السيد عمر أنه لا ذنب له فلما اتفق الصحابة وأهل البيت على الدين وأمر الخلافة فانكان الصحابة مرتدين على الأعقاب بحسب الحكايات المزورة فأهل البيت كذلك فلم سودت هذه الأوراق يا عاملي ـ

قوله إن متن الحديث يدل على ضعفه أقول إن الضعيف مقبول عندنا إذا لم يخالف كتاب الله تعالى .

قوله ليس كل نجم يهتدي به الضال أقول هذا رد على نفسه حيث ذكر بعد

أن النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق ـ

قوله هل يمكننا أن نقتدي بمعاوية ومروان .

أقول نعم لا يمكن هذا لأهل التقية قتلة أهل البيت يا عاملي لأن معاوية بايعه سيدنا الحسن بن علي معتمداً عليه مقتدياً له كما ذكره إمامك المجلسي في جلاء العيون في الباب الرابع فصل ٥ ص ٣٢١ .

فمطاعنك فيه مطاعن حماقة إن كنت مصدقاً لسيدنا الحسن وكذا شأن جميع مطاعنك الكاذبة التي حكيت عن أحباءك الجاهلين ـ وأما مروان فقد ذكر في نهج البلاغة ص ١٢٣ ج ١ إن مروان أخذ أسيراً فشفع له الحسنان إلى أبيهما علي فخلى سبيله ـ فهذا سيدنا علي يقبل الشفاعة في حقه وأنت لا تقبل يا عاملي أهكذا عملك بحديث الثقلين فلم تقول مالا تفعل أم توكلت على التقية ـ

قوله إن الصحابة ثاروا على خليفة عثمان وقتلوه.

أقول كل ذلك كذب وافتراء من أرباب التقية إنما ثار عليه الذين ثاروا على علي رض فقتلوه بالكوفة وقتلوا الحسن رض بالسم بالمدينة وقتلوا الحسين رض بعدما دعوه فكل هؤلاء كانوا أصحاب ابن السبأ لا أصحاب النبي عليه السلام ونسبوا كل قتل إلى غيزهم تقية بوضع حكايات مضلة كما أوضحه محققكم الطبري في تاريخه وامامكم المجلسي في جلاء العيون بمزيد بسط ـ

قوله إذا كان الصحابة كلهم عدولاً اتقياء فلماذا كان علي يكذبهم في قولهم

أقول هكذا شأن أهل البيت حيث ذكر امامك المجلسي في جلاء العيون في الباب الثاني الفصل ٦ ص ١٥٧ بسند معتبر إن الله تعالى أوحى إلى النبي عليه السلام إنه يكذب فاطمة الزهراء فيما تشكو إليه في حق علي رض وفي الفصل ٧ ص ١٨٥ إنه عليه السلام رد شكايتها في خطبة علي رض ابنة أبي جهل وفي باب الإنذار من المشكوة ص ٤٦٠ قال عليه السلام يا فاطمة سليني ما شئت من مالي ولا اغني عنك من الله شيئاً ـ

قوله إن عماراً كان يكفِّر عثمان أقول إنك يا عاملي تتبع حكايات مزورة ولا تتبع قول سيدنا علي في نهج البلاغة ص ٦٨ ج ٢ في حق عثمان أنت أقرب إلى رسول الله نلت من صهره ما لم ينالا الخ

انظر يا عاملي حديث الثقلين هداك إلى ما ذكرت أم همزة الشيطان وفي روضة الكافي لامامك الكليني ص ١٤٦ عن الصادق ينادي مناد آخر النهار إلا أن عثمان وشيعته هم الفائزون ـ

قوله سب علي على المنابر أقول هذا من حكايات أهل التقية ولا حجة فيه وقد ذكر امامك المجلسي في حق اليقين الباب ٥ المقصد ٦ الفصل ٨ ص ٢٥٤ أن السيدة الزهراء سبت علياً والمذكور في نهج البلاغة(ج ٢ ص ١٨٥) سب أهل التقية أهل الشام بلا إذن علي رض .

قوله حديث الثقلين المتواتر أقول هو حديث مضطرب المتن لأن متنه الصحيح الموافق لكتاب الله تعالى ما هو في أصح الكتب الموطأ تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله (مشكوة باب الاعتصام بالكتاب والسنة أول الفصل الثالث ص ٣١) هذا هو المعمول به عند علماء الإسلام ولذا جعل العاملي عنوان كلامه الصحابة في القرآن والسنة وعليه ختم كلامه حيث قال (يعني الكتاب والسنة) وقد تواترت الأحاديث لكن لا يسع هذه العجالة إيرادها ومن دلائل ضعف حديث الثقلين إنه إنما يقدم لتفضيل علي على الصحابة ولا يعمل به لأن علياً كتب وصيته اتقوا الله تعالى في حق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم لم يدخلوا البدعة في دين الإسلام ولم يتركوا أهل البدعة أن ينشروا بدعتهم في الإسلام ذكره إمامك المجلسي في جلاء العيون الباب ٣ الفصل ٣ ص ٢٤٥ وهو حق بلا شك ـ لأن الإسلام إن فسد من أصله لم يبلغ إلينا وما كنا اليوم مسلمين وأيضاً في وصية علي رض إشارة ما اجتمع عليه الصحابة سراً على قتل التقية السبائية في وقعة الجمل كان حقاً لأنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم كما نطق به كتاب الله تعالى وإن ستره أهل التقية باستار ركيكة خلاف ما عليه المحققون وللتفصيل مقام آخر والعاقل تكفيه الإشارة وختاماً

المرجو من مجلة الهادي أن ينشر هذه الرسالة الوجيزة لإفادة القراء الكرام والسلام على من اتبع الهدى ،

نمقه القاضي عبيد الله العلوي مـهتم دار العلوم العبيدية من بلدة ديره عازيخان ـ باكستان المغربي .

۲۷ / رمضان المبارك ۱۳۹۷ هـ.

* * *

الرد على العلوي

٢٧ / شوال / ١٣٩٧ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين محمد وآله الطاهرين ، وعلى الصفوة والخيرة من صحبه . .

حضرة القاضي عبيد الله العلوي . . سلام وتحية ، وبعد :

لقد اطلعت علي مقالكم المرسل إلى مجلة الهادي رداً على مقالنا الذي نشرناه في المجلة نفسها حول : الصحابة في القرآن والسنة . . فأحببت أن أكتب لكم بعض الملاحظات على ما جاء في مقالكم المذكور ، مكتفياً بالإشارة الموجزة ، لأنكم قلتم : العاقل تكفيه الإشارة !! وأترك بعد ذلك الخيار لكم ، فإن أحببتم المناقشة الهادئة والموضوعية بهدف الوصول إلى الحق فإنا على استعداد لذلك ، شرط القبول بالحق بلا تعصب ولا تحيز . . وبلا سباب وشتم ، فإن ذلك لا يليق بالبحث العلمي ، ولا هو من شأن العلماء الاتقياء وأيضاً دون أن يكون هناك تهم لا تستند إلى دليل ولا برهان .

فإذا أردت استمرار الحوار العلمي معي ، فلا بد من نبذ رداء التعصب ، والتعهد بالقبول بالحق مهما كان وأياً كان وهذا هو ما نأمله منك ومن أمثالك من أهل المعرفة حين تنكشف لهم الأمور ويظهر لهم الحق ، فإنهم يسارعون إليه ، ولا يعولون إلا عليه . .

وعلى كل حال . . فإن في مقالك مواضع كثيرة بل في جميع ما ورد فيه موارد للنظر ، فها نحنِ نشير إلى بعض ذلك فنقول ـ بعد غض النظر عما فيه من اخطاء لغوية ونحوية وهي كثيرة ، وكذا ما فيه من ركاكة في التعبير وضعف في البيان وعما فيه من سباب وشتم وتعريض بذلك ـ لا بد من الإشـارة إلى الملاحظات التالية :

١ ـ ذكرت أن في مقالنا مغالطة ، حيث اعتبر فيه الصحابة بالمعنى اللغوي دون الشرعي . . ولو صح هذا لدخل أبو جهل فيهم . .

ولكن هذا يا حضرة القاضي لم يرد أصلاً في مقالنا ، وقد سردنا في مقالنا جملة من أفعال الصحابة بالمعنى الشرعي كالوليد بن عقبة ، وقدامة بن مظعون ، ومروان ومعاوية وغيرهم . كما أن الروايات التي أوردناها كلها تتعرض للصحابي بالمعنى الشرعي ويخاطب فيها أصحابه المسلمين الذين يقول: إنه لا يسلم منهم إلا مثل همل النعم . . وأما حمل هذه الروايات على الذين ارتدوا عن الإسلام بعده فهو حمل على فرد نادر ينافيه تصريح بعضها : إنه لا يبقى منهم إلا مثل همل النعم . وغير ذلك مما ظاهرة الإشارة إلى كثرة معتد بها فيهم ـ وكذلك حال آيات سورة التوبة والأحزاب وغيرها فإن المقصود فيها والمخاطب هو أيضاً الصحابي بالمعنى الشرعي فراجعها ـ يا حضرة القاضي وتأملها ـ وقد توعدهم في كثير منها بالعذاب الأليم ، والخطر العظيم . .

هذا ويجب أن نشير هنا إلى أن لدينا أضعاف ما كتبناه في مجلة الهادي مما يدل على عدم عدالة كل صحابي .

وأما ما ذكرت من أن ذلك يلزم منه دخول أبي لهب في أهل البيت ، فسواء اعتبرت الصحابي هذا أو ذاك فإن أهل البيت لا يدخل فيهم أبو لهب ولا غيره ، إذ قد عينهم الرسول نفسه وحصرهم في علي وفاطمة والحسن والحسين . . حتى العباس عم النبي خرج عنهم . .

٢ ـ وذكرت أن الصحابي لا يقال في لغة الشرع إلا لمؤمن تام واستدللت على ذلك بآية : هم المؤمنون حقاً . وآية : السابقون الأولون الخ . . وبقول علي

في نهج البلاغة : لا نستزيدهم في الإيمان . . الخ وبقوله : لقد رأيت أصحاب محمد فما رأيت أحداً الخ . .

ولكن هذا غير صحيح ، إذ المعتبر في إطلاق لفظ الصحابي هو مجرد الإسلام ، أعني من لقيه (ص) مؤمناً به وبرسالته ومات على ذلك .

حتى إنهم يقولون : لو ارتد ذهبت صحابته فإن عاد عادت كطليحة بن خويلد، والمغيرة بن شعبة راجع : نزهة المجالس للصفوري الشافعي ج ٢ ص ١٤٦ وأما الآيتان الكريمتان فالأولى منهما تقول : إن المؤمن حقاً هو من اجتمعت فيه أوصاف : الإيمان والهجرة ، والجهاد أو كان ممن آوى ونصر ، ولا تريد تعيين المراد من لفظ الصحابي هل هو خصوص المؤمن حقاً أو الأعم منه ولو سلمنا جدلاً أنها تعين ذلك فإنها تعين خصوص من فيهم تلك الأوصاف دون غيرهم من سائر الصحابة . . مع أن هذا خلاف مصطلحك يا حضرة القاضي . .

ونفس هذا الكلام يأتي في آية : السابقون . . فإنها ليست بصدد بيان المراد من الصحابي وعلى أي شيء يطلق . . ولو سلم فإنما تشمل خصوص من كان سابقاً من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان أي بعمل صالح . . والدليل على أن المراد طائفة خاصة أنك تجد المفسرين يختلفون في المراد من الآية فمن قائل إن السابقين الأولين هم خصوص أهل بدر وآخر يقول : هم من صلى القبلتين .

وثالث يقول : هم من أسلم قبل الهجرة ، ورابع يقول : هم أهل بيعة الرضوان . أو السابقون إلى الإيمان في أول الإسلام . وليس المراد في الآية : الرضا عن كل مهاجري وأنصاري سواء أحسن أو أساء بعد ذلك اتقى أو فسق ، بل هو يرضى عن خصوص من اتبع باحسان أي بعمل صالح لا مطلقاً .

وعلى هذا فالآيتان تدلان على أن في الصحابة من يكون تام الإيمان والعدالة وفيهم من ليس كذلك ، وهي تتحدث عن خصوص القسم الأول منهما ، فالآيتان على خلاف مرادك أدل وأظهر . .

وأما كلمات علي في نهج البلاغة فإن مما لا ريب فيه أنه إنما يقصد فيها الاخيار من صحابة النبي (ص) لا مطلقاً حتى مروان ومعاوية والوليد بن عقبة وعمرو بن العاص ، واضرابهم ، فإنه قد وصفهم في نهج البلاغة بأقبح الأوصاف ، حتى لقد قال عن مروان : « لا حاجة لي في بيعته إنها كف يهودية لو بايعني بكفه لغدر بسبته . . » نهج البلاغة ج ١ رقم الخطبة ٧٠ .

نعم إنه لا يقصد بكلامه هذا من شرب الخمر وقتل النفس المحترمة وزنى وفعل ما فعل . . كيف وهو يقول في ج ١ ص ١٨٩ الخطبة رقم ٩٣ وهي التي أشرت إليها أنت : « لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله فما أرى أحداً منكم يشبههم ، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً ، وقد باتوا سجداً وقياماً يراوحون بين جباههم وخدودهم ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم الخ . . » فهل الوليد بن عقبة ومروان وقدامة بن مظعون وطليحة بن خويلد واضرابهم من شاربي الخمر والزناة ومرتكبي العظائم تنطبق عليهم هذه الأوصاف ؟ . . ونهج البلاغة مملوء بالذم والتشنيع على كثير منهم لا سيما معاوية ومروان وعمرو بن العاص وغيرهم من بني أمية وفيه يصفهم بأسوأ الأوصاف ويخرجهم عن دائرة الإيمان إلى دائرة الفسق والبغي والطغيان فراجع نهج البلاغة تجده طافحاً بالنصوص الدالة على ذلك ويصف معاوية فيه بأنه يعصي الله فإن كان نهج البلاغة حجة عندك فخذ بكل ما فيه ولا يصح أن تؤمن ببعض الكتاب ؟! . .

وأما عن استشفاع الحسنين لمروان وقبول علي شفاعتهم وأنا لا أقبلها الخ . . فعدم قبولي لها لأن علياً قال لهم حين شفاعتهم له عندما قالوا له : يبايعك يا أمير المؤمنين قال لهم: أولم يبايعني بعد قتل عثمان؟، لا حاجة لي في بيعته إنها كف يهودية الخ . .

وأما قوله (ع) عن أهل صفين : لا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله ولا يستزيدوننا . . فالمقصود منه هم أهل صفين وليس الصحابة . هذا بالإضافة إلى أنه لا يحكم على واقعهم وإنما يحكم على ظاهرهم قبل الحرب

حيث قال في أول هذا الكلام : « التقينا والقوم من أهل الشام ، والظاهر إن ربنا واحد ونبينا واحد ، ودعوتنا في الإسلام واحدة ، ولا نستزيدهم الخ . . » .

فالتعبير بكلمة : « والظاهر » للإشارة إلى خلاف ما تريد يا حضرة القاضي . . هذا بالإضافة إلى أنه إنما يريد أن يثبت لهم ظاهر الإسلام فقط لا الإيمان والعدالة التامة . . كما أنه في آخر نفس هذا الكلام يحكم عليهم بالهلاك إلا من تاب منهم ، حيث ذكر أن الحجة قامت عليهم وانقطعت منهم المعذرة : « فمن تم على ذلك منهم فهو الذي أنقذه الله من الهلكة ، ومن لج وتمادى فهو الراكس الذي ران الله على قلبه وصارت دائرة السوء على رأسه » .

ولا شك أن معاوية وابن العاص واضرابهما من سائر الامويين ومن شايعهم قد لجوا وتمادوا وأصروا فهم إذن الراكسون الهالكون وستكون دائرة السوء عليهم في يوم الدين . .

بقي أن نشير هنا إلى أن ما يرد في نهج البلاغة أو في غيره لا بد وأن ينقل عنه بلا تصرف فيه ، وأن ينقل تاماً غير مبتور لا من أوله ولا من آخره ليعلم ما المراد من الكلام الذي يراد الاستدلال به . . ولكننا قد رأينا في مقالكم الكثير من الموارد التي نقلت مشوهة أو استفيد منها معنى غير مراد أصلاً كما رأينا هنا وسنرى بعد . .

٣ ـ ذكرت أن ما قلناه في مقالنا من كتاب الله إنما ورد في حق الكفار والمنافقين .

ونحن نسأل : هل كل الآيات التي وردت في سورة التوبة والأحزاب والنساء وغيرها مما فيه توبيخ وتقريع وتوعد بالعذاب وردت في حق الكفار والمنافقين ؟! إن قلت : نعم فقد خالفت ضميرك وخالفت الواقع . وإن قلت لا فقد خالفت ما ذكرته في مقالتك . . وإذا كان كثير من الآيات تلك يختص بالمنافقين ، فإن من الواضح : أن المنافقين كانوا يظهرون الإسلام ، وكانوا مختلطين بغيرهم من المسلمين ولا يستطيع أحد أن يميزهم عن غيرهم من الصحابة ، حتى النبي نفسه لم يكن يعرف الكثيرين منهم بنص القرآن قال تعالى : ﴿ وممن حولك من

الاعـراب منافقـون ومن أهل المـدينة مـردوا على النفـاق لا تعلمهم نحن نعلمهم ﴾ . .

فإذا كان النبي (ص) لا يعرفهم كلهم فكيف عرفتهم أنت يا حضرة القاضي ؟! وكيف ميزت بين الصحابي المخلص وبين المنافق ؟! وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم حذيفة بن اليمان ببعض المنافقين ، وسأله سيدنا عمر عن نفسه إن كان منهم ، فقال له :لا، ولا ازكي أحداً بعدك أو ما بمعناه . فإذا كان سيدنا عمر لا يستطيع أن يعرفهم ، ولم يظهر حذيفة أسماءهم بعد تزكيته لسيدنا عمر فهل تعرفهم أنت يا حضرة القاضي ؟! وكيف ميزت أولئك الذين كتم أسماءهم حذيفة عن غيرهم من صحابة الرسول .

وهل اطلعت على خفايا قلوب كل صحابي فميزت المنافق منهم عن غيره ؟! .

٤ ـ وذكرت إن الروايات المذكورة في كتابنا لا حجة فيها لمخالفتها كتاب الله خصوصاً في العقائد الإسلامية . . فـ:

أولاً : هل قضية عدالة الصحابة من عقائد المسلمين؟ وهي معروفـة . ولسنا نعرف في أي من أقسام العقائد تدخل عدالة الصحابة عندك : في التوحيد ، أم في العدل ، أم في المعاد ، أم في النبوة ؟ أم في الإمامة ؟ . . ولماذا لا تكون عدالتك أنت وعدالة غيرك أيضاً من العقائد . .

ثانياً :وأيضاً . . لم تقل لنا كيف تخالف هذه الروايات كتاب الله ، وأي آية فيه تخالفها هذه الروايات . . إن القرآن ناطق وصريح ـ كما قلنا غير مرة بضد ما تقول والروايات هذه منسجمة معه كل الإنسجام ، وموافقة له تماماً حيث قد نص القرآن على فسق بعض الصحابة ، وتوعد طائفة منهم بالعذاب الأليم ، والغضب الجسيم . . وآية بيعة الرضوان قد قلنا إنها خاصة بطائفة منهم ، وحتى هذه الطائفة يشترط فيها الإيمان الخالص لا مجرد الإسلام ، وقد ميز الله بينهما في قوله: قالت الاعراب: آمنا. قل: لم تؤمنوا ولكن قولوا: أسلمنا.

وثالثاً : لقد رأيناك تسرق عقيدة غيرك وتنسبها إلى نفسك وتحتج بها حيث

ذكرت أنه لا بد من عرض الحديث على الكتاب . مع أن من عقيدة أهل السنة هي : أن السنة قاضية على القرآن وحاكمة عليه ، صرح بذلك السيوطي في الاتقان ج ٢ وسنن الدارمي ج ١ ص ١٤٥ نـشر دار إحياء التراث العربي .

وهو مذهبهم وعليه ديدنهم ، ويحتجون لذلك بأن من المحتمل أن تكون آية القرآن قد نسخت بهذا الحديث . . ولهذا فلا بد من العمل بالحديث وترك القرآن ، وهذا في الحقيقة خلاف ما ثبت عن سيدنا عمر رض الذي يؤثر العمل بالقرآن على سنة النبي (ص) حيث قد ثبت عنه في البخاري وغيره : أنه قال حين وفاة النبي (ص): حسبنا كتاب الله . . . بعد أن طلب النبي (ص) منهم أن يأتوه بكتف ودواة ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً، فقال سيدنا عمر: ما باله، أهجر؟ أو ما باله أغلبه الوجع؟!.

فسيدنا عمر رضي الله عنه يرى العمل بكتاب الله وحده من دون حاجة إلى سنة النبي (ص) وأنتم قد استقر عملكم على تقديم سنة النبي (ص) على القرآن مع أنكم تروون أنه ترك أمرين : كتاب الله وسنة رسوله . .

وخلاصة الأمر : إنكم لا بقول رسول الله (ص) عملتم ولا بقول عمر أخذتم وإنما خالفتموهما معاً وقدمتم السنة على القرآن وهذا أنت تعود فتسرق عقيدة الرافضة الذين يقولون ما خالف كتاب الله فهو زخرف ـ باطل ـ اضربوه عرض الجدار الخ . .

وهذا من مفاخرهم وليس يحق لأحد أن يفتخر به سواهم لأنه مذهبهم . .

أم لعلك صرت رافضياً يا حضرة القاضي . . وإلا فلماذا تسرق عقائدهم وتترك عقيدتك وعقيدة أسلافك ؟ .

وقلت : أجمع المؤرخون أن أعداء الصحابة وضعوا أحاديث في ذمهم واستدللت على ذلك بقضية ابن أبي العوجاء . . ولكن الذي رأيناه في كتب التاريخ لأهل السنة والجماعة : أن الامويين وغيرهم قد وضعوا الأحاديث في ذم علي ، وأمرهم معاوية بأن لا يتركوا فضيلة لعلي إلا أتوا بنظيرها في حق غيره من الصحابة وصرفها عنه . فإن أحاديث فضائل الصحابة هي التي يأتي فيها احتمال الوضع . . وقضية الزنديق ابن أبي العوجاء لا تدل على أن ما وضعه كان في قسم

الطعن في الصحابة فلعله وضع أحاديث فضائلهم لا أحاديث ذمهم ، وهذا هو الأقرب لورود مطاعنهم في القرآن وفي صحاح أهل السنة والجماعة .

وعلى كل حال فإن ما ادعيته من إجماع المؤرخين لم نجد له شاهداً بل الشاهد موجود على خلافه .

٦ ـ وقولك إنني لم أنظر في دفاتر الصحاح . .

هذا لا يصح لأن مقالنا في الهادي القسم الكبير منه مأخوذ من صحيح البخاري ومسلم وغيرهما ، وفضائل الصحابة إنما هي فضائل لبعضهم لا كلهم وما فيه تعميم لا بد وأن يصرف عن ظاهره حتى لا يكذب القرآن والسنة المتواترة كما دل عليه مقالنا . .

٧ ـ وقلت : إن الحكايات التاريخية التي ذكرتها في المقال عندك كالبعرة في مقابل الذهب والفضة . .

وإن كل منصف يرجع إلى مقالنا يجد : أن جميع ما ذكرته فيه هو من أمهات كتب أهل السنة والجماعة ، وكتبهم ومجاميعهم الحديثية المعتبرة ومنها البخاري ومسلم ومسند أحمد ومصنف عبد الرزاق ، وموطأ مالك الذي وصفته أنت بأنه أصح كتاب ، وغير ذلك وليس في مصادر مقالنا كتاب واحد لغير أهل السنة والجماعة ، وإن كان فهو ناقل عنهم أيضاً . . فلماذا هذا التوهين لكتب أهل السنة والجماعة ؟! . .

٨ ـ وقلت : إن مدار الإسلام على كتاب الله . .

هذا ليس عند أهل السنة والجماعة بل عملهم على خلافه كما قلنا فيما سبق . . مع أن مقالنا مؤيد لكتاب الله كما قلنا وكلامك فقط هو المخالف له .

٩ ـ وأما قولك في الحديث رقم (٩) ترد علي أمتي الحوض الخ إن هذا شأن أمة النبي لا الصحابة . . أو شأن من ارتد بعده ، وإن من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه الخ . .

هذا القوم هم الصحابة وهم غير مرتدين الخ . .

ففيه ان المقصود بالحديث هو الصحابة بلا شك ، وإن طائفة منهم يعرفهم النبي ويوجه لهم الخطاب في مجلسه سوف يصدون عنه فلا يصلون إليه فيقول : يا رب هؤلاء من أصحابي فيجيبه ملك : هل تدري ما أحدثوا بعدك ؟ .

وأما آية : من يرتد منكم عن دينه الخ . . فلست أدري من أين علمت أن المقصود بالقوم فيها هم الصحابة ، بل ظاهر كلمة : سوف يأتي الخ . . إن المراد قوماً آخرين من غيرهم . . وليس منهم ، والتأويل بلا قرينة ظاهرة غير مقبول . .

١٠ ـ وأما ما ذكرت من خبر المشكاة من أن رجلاً من أهل بيته (ص) سوف يخرج ويزعم أنه منه الخ . .

فهو إن صح فيقصد به رجل سوف يخرج ويكون لنسبه اتصال بالنبي (ص) بل لا نستبعد أن يكون هذا من موضوعات الامويين في حق علي (ع) . . وهو أيضاً لا يدل على أن كلمة أهل البيت التي وردت في قوله تعالى : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً، عامّة وشاملة، وكذا قولك : آل محمد كل تقي . . وذلك لتواتر الخبر في أن النبي (ص) قد عين أهل البيت في هذه الآية وأنهم هم خصوص علي وفاطمة والحسنين . . ولو صحت هذه الرواية فلا بد من حملها على التوسع والمجاز ولعله مكذوب من أجل تكذيب حديث الكساء المتواتر . . وأما أحاديث الحوض وغيرها مما يرتبط بالصحابة فلا مبرر لحملها على التوسع والمجاز ولم يرد من النبي (ص) تحديد للصحابي كما ورد عنه تحديد المراد من (أهل البيت) فلا يقاس ذاك على هذا . .

١١ ـ وأما قول الصادق : أصحابي أولوا النهى والتقى الخ . .

فهو دليل على ضد ما تريد أنت ، إذ هو يدل على أن في الصحابة العادل والفاسق ، لأن جعفراً يقول : ليس كل من يراني ويجلس إلى يكون من أصحابي ، لأن فيمن يأتيني ويجلس إلى التقي وغيره ، وأصحابي الحقيقيون هم الاتقياء ، أما الباقون فإنهم وإن رأوني وتكلموا معي وجلسوا إلي وحضروا عندي إلا أنهم ليسوا بأصحابي . . وكذلك حالِ صحابة النبي (ص) فيهم التقي

الورع فهو الصاحب الحقيقي ، وهو الذي وردت الأحاديث في مدحه وفيهم الفاسق المنحرف فهذا وإن كان مسلماً إلا أنه ليس يستحق أن يعد من أصحابه (ص) ويدل على ذلك :

ما في صحيح مسلم : أنه جرى بين خالد بن الوليد وعبد الرحمان بن عوف كلام فأغلظ له خالد ، فلما بلغ رسول الله (ص) ذلك قال : لا تسبوا أصحابي ، وقيل: ان ذلك في حق عمار . . فهذا يدل على أن أصحابه أناس مخصوصون ، وليس كل من رآه يكون من أصحابه حتى ولو كان مسلماً ومات على الإسلام . . وإلا لكان الموصى هنا عين الموصى به .

وأما ما ذكرت من أنه في أهل البيت جعفران الخ . . فقد تقدم جوابه رقم (١٠) وقد قلنا: إنه لا ربط له بما نحن فيه ولا يصح قياسه عليه . . ومن الغريب هنا أننا نجد أهل السنة يقولون : إن من لقي النبي (ص) مسلماً ثبتت صحابته فإن ارتد ذهبت فإن عاد عادت (نزهة المجالس / ج ٢ ص ١٤٥) .

١٢ ـ وقلت : ليس الطبري من الشوافع بل هو من الروافض . .

وهذا منك عجيب ؛ قد خالفت التاريخ السني بلا دليل تستند إليه ، فأهل السنة يقولون هو سني شافعي وأنت تكذبهم ؟! بلا دليل .

١٣ ـ وأما استدلالك بقول سيدنا علي عليه السلام : بايعني القوم الذين بايعوا الخ . .

فهذا لا يصحح بيعة أبي بكر بعد تواتر حديث الغدير ، وحديث المنزلة ، وآية التولية ، وغير ذلك مما يتعذر استقصاؤه في هذه العجالة . . وكلمات علي أمير المؤمنين المذكورة لا تدل إلا على أن الشروط التي بايعوه عليها وهي العمل بكتاب الله وسنة رسوله هي نفس الشروط التي بايعوا عليها أبا بكر وعمر ، فلماذا ينكثون بيعته ، ويلتزمون ببيعتهم ؟! فأمير المؤمنين عليه السلام هنا يلزمهم بما ألزموا به أنفسهم لا أكثر ولا أقل ، إلا إذا كنت تريد أن تحمل اللفظ أكثر من طاقته . . وأما أن بيعة أبي بكر وعمر كانت حقاً أو باطلاً فهذا أمر آخر ليس أمير المؤمنين عليه السلام بصدد بيانه وقد بين أمير المؤمنين (ع) بطلانها في غير مورد

من نهج البلاغة وغيره . . هذا كله عدا عن أن الكثيرين من أهل السنة يقولون بوجوب إطاعة كل متغلب ـ حتى ولو كان مغتصباً لحق غيره ومعتدياً وقاتلاً ومرتكباً للعظائم ، ويدينون الله بطاعته ووجوب النصيحة له ، كما نطقت به صحاحهم المخالفة للقرآن الكريم ، فكلام علي عليه السلام هنا ـ على مقتضى عقيدتكم ـ لا يدل على أن أبا بكر لم يكن مغتصباً للخلافة ومتغلباً فيها . كما أنه إذا كان قد بايعه من بايع أبا بكر وعمر ، فلماذا أطاعوهما دونه؟! .

١٤ ـ وأما ما نقلته عن المجلسي من أن النبي (ص) دعا الله تعالى : أن يجمع الناس على خلافة علي بعده الخ . .

فهو ان صح . . لا يدل على مطلوبك بل هو على ضد ما تريد أدل ، إذ المقصود : أن الحق لعلي عليه السلام ولكن الله عز وجل لا يريد أن يجبر الناس على الخضوع له ، بل ترك لهم الخيار . .

١٥ ـ وأما ما ذكرت عن حق اليقين من أن الزهراء قد رضيت على أبي بكر وعمر . .

فلست أدري ما المناسبة لذكرها هنا . . مع أن الموجود في حق اليقين هو خلاف ذلك ، أضف إلى ذلك : أنه قد فاتك أن البخاري الصحيح عندكم مئة بالمئة وهو الذي تقدمون حديثه على القرآن قد ذكر في موضعين : أنها ماتت مهاجرة لأبي بكر وغاضبة عليه . كما أنه قد ذكر قبل ذلك بصفحات أن النبي (ص) قال : فاطمة بضعة مني يغضبها ما يغضبني . .

وإذا كان قد ورد ما تقول في كتاب المجلسي ، فلا حجة فيه إلا بعد البحث في أسانيده ودلالته وعن معارضاته وعما إذا كان يخالف القرآن وما ثبت عن النبي (ص) أم لا . . إذ ليس كل رواية تكون صحيحة عندنا . . ولا نملك أصلاً كتاباً كصحيح البخاري وغيره من الصحاح الستة مفروغ عن صحته بل كل حديث عندنا سواء في ذلك ما رواه المجلسي أو الكليني أو غيرهما يخضع للبحث والتمحيص ويعرض على كتاب الله وما ثبت من سنة النبي (ص) بطريق القطع إلى غير ذلك من شرائط الأخذ والاعتبار.

١٦ ـ وبيعة علي لأبي بكر لا ينكرها أحد . . لكن ذلك إنما كان بعد وفاة فاطمة ، وحينما رأى أن عدم بيعته فيه ضرر على الإسلام كما صرح في نهج البلاغة وغيره . . وذلك لا يثبت عدم كون أبي بكر غاصباً لحقه . .

١٧ ـ وأما ما ذكرته من أن فاطمة قالت لعمر : إنه لا ذنب له الخ . . رويت ذلك عن روضة الكافي . .

فالرواية صريحة بضد ما تقول : وإليك نص الرواية : « إن فاطمة عليها السلام لما أن كان من أمرهم ما كان ، أخذت بتلابيب عمر ، فجذبته إليها ثم قالت : أما والله يابن الخطاب لولا إني أكره أن يصيب البلاء من لا ذنب له لعلمت إني سأقسم على الله ثم أجده سريع الإجابة » الكافي . باب مولد الزهراء (ع) .

فهي تتهدد عمر وتأخذ بتلابيبه ، وتجذبه ، وتتوعده بأنها تدعو عليه وعلى من هم على رأيه ممن فعلوا معها ما فعلوا من عظائم الأمور لكنها تخاف أن ينزل البلاء فيعم بعض الأبرياء . . أما عمر وأصحابه فهم المذنبون وهم الذين تتوعدهم ، وتأخذ بتلابيب رئيسهم ومدبر أمر الهجوم على بيتها واسقاط جنينها وغصب حقها . .

١٨ ـ وذكرت شرطية مفادها : أن الصحابة إذا كانوا ارتدوا على الأعقاب فأهل البيت كذلك . .

لكنك نسيت أننا قد ذكرنا في مقالنا في الهادي : أن كثيراً من الصحابة كانوا من الاتقياء الأبرار . ونسيت أن ارتداد بعض الصحابة لا يلزم منه ارتداد غيرهم . ولا سيما أهل البيت الذين عصمهم الله عن مثل ذلك حينما قال : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً . ولم يرو في الصحابة مثل هذا أصلاً بحيث يثبت بطريق القطع هذا عدا عن الأحاديث المتواترة في أهل البيت مثل حديث الثقلين وحديث السفينة وغيرهما . .

١٩ ـ وذكرت : أنك وأهل السنة تقبلون بالحديث الضعيف إذا لم يخالف كتاب الله . .

ولقد أخطأت ها هنا من ناحيتين :

الأولى : إنك خالفت مذهب أهل السنة والجماعة في أن السنة قاضية على الكتاب كما قدمنا ونزيد هنا : أن الدارمي قد روى في سننه / ج ١ ص ١٤٥ نشر دار إحياء السنة النبوية : « عن يعلي بن حكيم عن سعيد بن جبير إنه حدّث يوماً بحديث عن النبي (ص) فقال رجل : في كتاب الله ما يخالف هذا . قال : ألا أراني أحدّثك عن رسول الله (ص) وتعرض فيه بكتاب الله ؟ كان رسول الله (ص) أعلم بكتاب الله منك»، فالمخالف لكتاب الله إذن يجب أن تقبل به أنت لا نحن.

الثانية : إن الضعيف الذي لا يخالف كتاب الله . . إن كان موافقاً لنص القرآن فالعمل في الحقيقة يكون بالقرآن لا بالحديث الضعيف . وإن كان ليس في القرآن نص على وفقه كما لو نص في الحديث على وجوب الفعل الفلاني في الصلاة مثلاً أو حرمة لحم الطير الفلاني أو غير ذلك مما ليس في الكتاب نص يوافقه أو يخالفه فهذا الحديث الضعيف مردود عندكم غير مقبول . .

٢٠ ـ وقلت : إن قولنا : ليس كل نجم يهتدي به فيه رد على أنفسنا حيث ذكرنا بعد : أن النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق . .

ولكنه إشكال لا يرد علينا ، لأن النجوم السيارة مثلاً لا يمكن لراكب البحر أو مسافر الصحراء أن يعول عليها في الاهتداء لعدم استقرارها في مكان معين بل هي تنتقل من مكان إلى مكان . . لكن كونها أمان من الغرق لا يتوقف على ثباتها واستقرارها ، فهي أمان من الغرق سواء الثابت منها والمتحرك ، إذ يمكن أن تكون مقابلتها للأرض وجاذبيتها مؤثرة لذلك ألا ترى أن جاذبية القمر تؤثر المد والجزر في البحار والأمواج والحركات فيها . .

٢١ ـ وبعد ذلك . يأتي دور تشنيعك علينا بالعمل بالتقية . .

وكيف يصح منك ذلك ، وأنت تدعي أنك تعمل بالقرآن وتدين بما فيه كأنك لم تقرأ قوله تعالى : إلا أن تتقوا منهم تقاة . .

وقوله عز من قائل : إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان . . ولعمري لماذا يعمل أهل السنة والجماعة بالتقية ، وهم يدينون الله بإطاعة كل متغلب ، مهما كان فاسقاً فاجراً حتى يزيد بن معاوية والوليد بن عبد الملك وكل حاكم ، ولذا فهم لا يحتاجون إلى العمل بالتقية . . بل إنهم بمجرد احتياجهم إليها نرى أنهم يستعملونها كأبشع ما يكون الاستعمال وبلا قيود ولا حدود ، وقضية محنة خلق القرآن وغيرها خير شاهد على ما نقول . . أما الشيعة فرغم أنهم كانوا دائماً مضطهدين مقهورين على أيدي أهل السنة وحكامهم يقتلونهم تحت كل حجر ومدر وفي كل سهل وجبل . . مع ذلك نجد لهم الكثير جداً من المواقف النبيلة التي يجاهرون فيها بالحق . . ثم يلاقون الموت صابرين محتسبين . .

٢٢ ـ وقلت : إن أهل التقية هم قتلة أهل البيت . .

إن كنت تقصد بأهل التقية الشيعة وأنهم قتلوا أهل البيت . . فهذا التاريخ كله على خلافك وإن الشيعة لم يقتلوا أهل البيت وإنما دافعوا عنهم ، والذين قتلوا أهل البيت هم غير الشيعة !! فالخوارج قتلوا علياً وهم ليسوا من الشيعة ولا من أهل التقية ، ومعاوية قتل الحسن ويزيد قتل الحسين ، وهكذا وإن كنت تقصد أن أهل السنة هم أهل التقية ، وهم قتلوا أهل البيت . . فمن الواضح أن أهل السنة لا يقرون بالتقية تشريعاً وإن كانوا يمارسونها عملاً كما قلنا . . فكلامك متهافت . .

وإذا كنت تكذّب ما ذكرناه من أن قتلة أهل البيت هم غير الشيعة . . مع ان ذلك قد تواتر واستفاض في كتب أهل السنة والجماعة . . فلسوف تجد أن كل أهل السنة والجماعة لك بالمرصاد . . لأنه إذا فتح باب تكذيب ما ورد في جميع كتب أهل السنة والجماعة ، فإن هذا سوف يؤدي إلى ما هو أعظم من الحكم بعدم عدالة جميع الصحابة ، لا سيما إذا كانت مخالفة الإجماع لا تستند إلى دليل ولا تعتمد على برهان . .

٢٣ ـ ثم استدللت على الاقتداء بمعاوية ببيعة الحسن عليه السلام له .

ولا أظنك تجهل أن بيعته له كانت عن اضطرار وإلجاء لا عن اختيار واقتداء . . فما ذكرته من أنه بايعه معتمداً عليه مقتدياً له تكذبه جميع مواقف

الحسن مع معاوية وخطبه وكتبه وأقواله له ولغيره حين البيعة وبعدها وذلك مستفيض في كتب الحديث والتاريخ . . وإن شئت فراجع كتاب : صلح الحسن للشيخ آل ياسين ، أو كتاب صلح الحسن للسيد محمد جواد فضل الله . ولكن معاوية قد غدر به وقتله بعد ذلك بالسم وهو يعلم أنه سيد شباب أهل الجنة ، وابن رسول الله وريحانته . .

٢٤ ـ وقد وصفت ما جاء في مقالنا بالأكاذيب تارة وبالمطاعن الكاذبة التي حكيتها عن أحبائي الجاهلين أخرى ، والمثالب المزخرفة ثالثة وهكذا . .

ولكن . . قد علمت ورأيت أن جميع ما في مقالنا هو من القرآن وكتب أهل السنة والجماعة لا سيما البخاري ومسلم والموطأ وغير ذلك كما يُعلم لكل من راجع مصادر مقالنا وليس فيه مصدر شيعي واحد . . ولا أظن أحداً يرضى منك أن تصف القرآن وعلماء الإسلام بأنهم كذّابون ودجّالون . ولو علم أهل السنة والجماعة بما تتهم به علماء الإسلام لكان لك منهم موقف آخر يصعب عليك الخلاص منه .

نعم يا حضرة القاضي : أنا لا ذنب لي . . فإن كان ما في مقالي كذب فالذنب عليهم . . وإلا فما هذا البهتان العظيم .

٢٥ ـ وذكرت أن علياً قبل الشفاعة في حق مروان وأنا لا أقبلها . .

نعم يا حضرة القاضي . . لا نقبلها لأن علياً قال عنه في نفس تلك اللحظة : « لا حاجة لي في بيعته ، إنها كف يهودية ، ولو بايعني بكفه لغدر بسبته الخ . . » ولم يكن عفوه عنه إلا لكرم أخلاقه ، وذلك كعفوه عن عمرو بن العاص عندما أظهر سوأته ، وكعفوه عن غيره ممن حاربه وأجلب عليه . .

٢٦ ـ وقلت : إنما ثار على عثمان الذين ثاروا على علي الخ . .

لقد كان ممن ثار على عثمان طلحة والزبير ، وأجلبت عليه عائشة وغيرهم من صحابة الرسول كثيرون جداً ، فهل هؤلاء هم أصحاب ابن سبأ اليهودي . . ومع أن كل أخبار عثمان قد وردت في كتب أهل السنة والجماعة التي

أجمعت على أن كثيراً من الصحابة قد شاركوا في الثورة على عثمان . . لكن حضرة القاضي يكذّب الجميع، ويقول إنهم جميعاً من أرباب التقية وأصحاب ابن سبأ، لست أدري متى صار أهل السنة يكذبون ومتى أصبحوا من أهل التقية ومن أصحاب ابن سبأ . . كل ذلك لأنهم رووا أن الصحابة ثاروا على عثمان وقتلوه ؟ إن ذلك عجيب حقاً وأي عجيب . .

٢٧ ـ وأما عن اتهامك لنا بالسبائية واصرارك على ذلك . .

فقد كان الأجدر بك أن تبقى هذا الباب مسدوداً . . إذ الظاهر أنك لم تقرأ كتاب المحقق السيد مرتضى العسكري (عبد الله بن سبأ) بمجلديه الأول والثاني . . كما أنك قد نسيت أن كتب الصحاح عندكم وعلى رأسها البخاري أصح كتاب عندكم مملوؤة بالاسرائيليات، وروايات التجسيم الذي هو من أهم عقائدكم ـ وهو في الأصل عقيدة يهودية ـ موجودة في البخاري وفي سائر الكتب الحديثية عندكم . . وكذلك الروايات النافية لعصمة الأنبياء . . وغير ذلك مما يضيق المجال عن ذكره وتتبعه . .

٢٨ ـ وقلت : إن قاتلي علي وعثمان والحسن والحسين هم السبائية أهل التقية . وأن المجلسي ذكر ذلك . .

فالنسبة إلى المجلسي محل شك . . دلّنا على الموضع الذي صرح فيه بذلك . . ولو صحت فهو يخالف في ذلك كتب صحاحكم وتواريخكم التي تواتر فيها سم معاوية للحسن فهل معاوية سبائي وقتل يزيد للحسين فهل يزيد سبائي وقتل الخوارج لعلي فهل الخوارج من السبائية وقتل الصحابة لعثمان فهل الصحابة من السبائية ؟! . .

ولماذا قبل علماؤكم ومحدثوكم روايات السبائية في ذلك . . وكيف تواترت أحاديثهم في كتبكم . . أم يعقل أن يكون علماؤكم أيضاً من السبائية ؟ . .

٢٩ ـ وقلت: كما أوضحه محققكم الطبري في تاريخه . .

يظهر من هذا أنك تقول : إن الطبري المؤرخ كان شيعياً ، لأنك تتهمنا

بالتشيع ـ على ما يظهر ـ ونحن نوضح لك حقيقة الأمر ونقول : إن الذي يميل إلى التشيع هو : محمد بن جرير بن رستم الطبري ، مؤلف كتاب المسترشد ، ودلائل الإمامة . أما صحاب التاريخ والتفسير فهو محمد بن جرير بن يزيد بن خالد ، وهو من أعيان علماء السنة بالاتفاق ، وقد ترجمه في وفيات الأعيان والزركلي وغيرهما . .

٣٠ ـ وقلت: إن الله أوحى إلى النبي إن الله يكذب فاطمة فيما تشكو إليه في حق علي . . ثم ذكرت قضية خطبة بنت أبي جهل . . ثم خبر المشكاة : يا فاطمة سليني ما شئت من مالي ولا أغني عنك من الله شيئاً . .

ولكنك قد نسيت : أن الله قد طهر فاطمة وعلياً بنص آية التطهير ففاطمة لا تكذب ، ولا تطلب مالاً لا حق لها فيه ، وعلي لا يقدم على إيذاء فاطمة . والرواية إذا خالفت كتاب الله ـ عندنا لا عندك ـ لا قيمة لها وليس لنا كتاب صحيح مئة بالمئة كالبخاري والموطأ عندك ، مضافاً إلى أن قضية خطبة بنت أبي جهل قد ثبت كذبها وافتعالها من قبل أعداء علي وأهل البيت وكتب عنها الشيخ إبراهيم الأنصاري مقالاً مطولاً في نفس العدد الذي فيه مقالنا : الصحابة في القرآن والسنة ، في مجلة الهادي ، ويكذّبها أيضاً قول النبي : فاطمة بضعة مني يؤذيها ما يؤذيني فعلي لا يؤذي فاطمة لأنه مع الحق والحق معه يدور معه حيث دار ولأنه مطهر بنص آية التطهير . . وقد نص علي على أن فاطمة كانت خير زوجة له ، لم ير منها طول حياته إلا الطاعة وحسن العشرة فكل ما يقال عن خلافات بينهما مفتعل ومكذوب ، ولعله لأجل التخفيف من قبح معاملة عائشة للنبي ولنسائه . .

وقد ذكر في جلاء العيون ما يدل على أن قضية بنت أبي جهل قد اشترك في حياكتها عمر وأبو بكر ، حيث ذهب رجل وأخبر فاطمة كذباً بأن علياً قد خطب بنت أبي جهل . . وكذّب علي ذلك ، وأرسل النبي (ص) إلى عمر وأبي بكر ليسمعهما تكذيبه .

وخبر المشكاة ليس فيه تكذيب لفاطمة ولا إهانة لها أصلاً بل هو تصرف

طبيعي وسليم . هذا على تقدير صحة خبر المشكاة .

٣١ ـ وأما تكفير عمار لعثمان الذي وصفته بأنه حكاية مزروة . . .

فإنما ذكره الكاتب السني الكبير طه حسين ، واستدل به على ما يريد ، كما ذكره غيره من أعلام أهل السنة ومؤرخيهم ، ولقد عملت أن عثمان قد ضرب عماراً حتى فتق بطنه وكسر ضلعاً من أضلاعه ، وأزيدك هنا : أن علماء السنة قد رووا أيضاً تكفير ابن مسعود وحذيفة وزيد لعثمان . . وليس الذنب ذنبي وإنما ذنب مؤرخي وعلماء أهل السنة الذين يذكرون ذلك . .

٣٢ ـ وأما قول علي لعثمان : أنت أقرب إلى رسول الله ، نلت من صهره ما لم ينالا . .

فلعمري إن ذلك لا يدل على فضيلة لعثمان . . بل هو يدل على منقصة فيه ، حيث إنه في كلامه هذا كان يلومه على ما صدر منه ، ويوبّخه على أفعاله التي دفعت الناس إلى الاجتماع عليه والشكاية منه . . فهو يقول : إنك أولى من أبي بكر وعمر بالعمل بالحق لأنك أقرب إليه (ص) رحماً ، لأنك تجتمع معه في رابع أجداده، وتزوجت ابنتيه ـ أي ربيبتيه، فلماذا تخالف سنته، وتعمل ما يوجب نقمة الأمة عليك . .

٣٣ ـ وأما حديث : ينادي مناد آخر النهار ألا إن عثمان وشيعته هم الفائزون . .

فلقد نسيت أن هذا المنادي آخر النهار هو إبليس كما صرحت به نصوص هذه الرواية في موارد عديدة وكثيرة ، وحتى نص رواية روضة الكافي تراه مضطرباً مشوشاً إذ قد حذف منه الفقرة التي تدل على ذلك . . فراجع الحديث في البحار / ج ٥٢ ص ٢٨٩ و٢٩٠ و٢٩٢ و٢٩٣ و٢٩٤ و٢٩٥ و٢٩٦ ويراجع غيبة الطوسي وإرشاد المفيد وغيبة النعماني وغير ذلك ومرآة العقول . .

وأضاف في روضة الكافي عبارة : « وينادي أول النهار منادي آخر النهار » ولا معنى لهذه العبارة إلا إذا عرفنا سائر الروايات ، قال في مرآة العقول : أي

يخبر منادي أول النهار عن منادي آخر النهار ويقول : إنه شيطان فلا تتبعوه . ويدل على صحة هذا ، التصريح بذلك في الروايات الأخرى . . فراجع .

٣٤ ـ وقلت : إن سب علي على المنابر هو من حكايات أهل التقية ولا حجة فيه . . فنقول .

لقد تواتر ذلك في كتب أهل السنة والجماعة ، فإن كان أهل السنة والجماعة من أهل التقية فلا بأس . . ونكاد نقطع أنك تعرف ذلك ولكنك تتجاهل . .

٣٥ ـ وأما سب فاطمة لعلي . .

فلم نجده في حق اليقين بل الموجود فيه خلافه ومع ذلك فلا حجة فيه ـ لو صح ـ لمخالفته لآية التطهير ، ولما ثبت عن علي أنه مدح فاطمة بأنها كانت خير عشير ، وكانت مفرج همه وكربه ، ولم ير منها طول حياته ما يكره . . ويكذبه أيضاً سائر ما ورد عن النبي (ص) في حق فاطمة وعلي كما بيّناه آنفاً . . وبيّنا : أن الحديث عندنا ـ كل حديث ـ لا بد وأن يعرض على كتاب الله والسنة القطعية ويناقش سنداً ودلالة . . وأنه ليس عندنا كتاب مفروغ عن صحة ما فيه كالبخاري ومسلم عندكم . والموطأ عندك . .

٣٦ ـ وذكرت : أن أهل التقية سبوا أهل الشام بلا إذن علي (رض) . .

ونحن نقول لك : إن سبهم لهم كان حقاً لأنهم كانوا الفئة الباغية . . ثم لست أدري من أين علمت أن الذين لعنوا أهل الشام هم السبائية ، فهل علمت ذلك بطريق الوحي أو الإلهام . . أم بطريق آخر . . غاية ما أعرفه أنه ليس في أيدينا نص تاريخي يدل على ما تقول . وإنما النص التاريخي موجود على أن عماراً قد قاتل الفئة الباغية فقتلته . . وأن علياً استحل دماء أهل الشام وقتلهم . . وكذلك كان أمر أهل الجمل أيضاً . . ولعمري . . إن كلامه صريح في أنه نهاهم عن السب لأنه لا يؤدي إلى النتيجة المطلوبة وهي إقامة الحجة ، لا لأنه يرى سبهم حراماً شرعاً . . في حين هو يستحل دماءهم ويقتلهم . .

٣٧ ـ ثم كذّبت حديث الثقلين . وذكرت : أن الصحيح هو ما جاء في أصح الكتب . .

وإنما كـذّبت صحيح مسلم والترمـذي وأحمـد بـن حنبل وغيرهم ونحن مرسلون لك جزءاً يذكر لك مصادر حديث الثقلين الذي كذبته ، ويذكر لك من رواه في كل مئة على حدة ، نرجو أن تطالعه بإمعان ولا تتسرع في إلقاء الكلام على عواهنه . . وحسبك به جواباً إن كنت تريد الحق . .

وإذا كان الموطأ أصح الكتب فلماذا وصفت كل ما جاء في مقالنا بأنه أكاذيب ومزخرفات وغير ذلك . . مع أننا نقلنا عن الموطأ قضية بيع معاوية بيعاً ربوياً واعتراض أبي الدرداء عليه بمخالفته لقول الرسول ثم إصرار معاوية وقوله : في مقابل قول النبي : لكني لا أرى به بأساً القضية . . فإن كان هذا أصح الكتب فلماذا كذبت هذه القضية عن هذا الصحابي؟! .

٣٨ ـ وذكرت : أن حديث الثقلين ضعيف لأن مقتضاه تفضيل علي على الصحـابة ، ولا يعمـل بـه لأن علياً كتب في وصيتـه : اتقـوا الله في حق أصحـاب رسول الله (ص) لأنهم لم يدخلوا البدعة في دين الإسلام ولم يتركوا أهل البدعة أن ينشروا بدعتهم الخ . .

ولكن لا نفهم ما المانع من تفضيل علي على الصحابة جميعاً ، مع أن ما يدل على تفضيله عليهم جميعاً وبدون استثناء كثير جداً في الكتاب والسنة ، ويكفي من الكتاب آية التولية : إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . . ثم آية المباهلة ، وغير ذلك من الآيات ، ومن السنة حديث الطائر المشوي ، وحديث الغدير ، وغير ذلك مما تواترت به الأخبار ، ولا يمكن احصاؤه في عجالة كهذه بل يحتاج إلى رقم العديد من الكتب والاسفار . .

وأما وصيته عليه السلام في حق الصحابة . . فلا شك ولا ريب في أنه يقصد بهم جماعة خاصة من الاتقياء ، والأبرار الأخيار ، ولا يمكن أن يقصد معاوية ولا الوليد بن عقبة ولا مروان ولا ابن العاص وغيرهم ، كيف وهو

يصفهم في نهج البلاغة وغيره بأوصاف الفاسقين والبغاة والطغاة والعصاة . . هذا بالإضافة إلى أن الموجود في جلاء العيون مخالف للنص الذي ذكرته تماماً والـذي فيه هـو: أن رسول الله قـد لعن المحدث منهم والمؤوي للمحـدث مما يـدل على أن فيهم المحدث والمؤوي له . . لكنك قد تجاهلت هذه العبارة لحاجة في نفسك . . وعلى كل حال فإن ما ذكرناه حول ذلك كاف في المقام ولدينا إن شئت المزيد . .

٣٩ ـ وأغرب من ذلك كله استدلالك على صحة حديث الموطأ بأننا جعلنا عنوان مقالنا : « الصحابة في القرآن والسنة » وهو استدلال بديع لم تسبق ولن تلحق إليه ولا يخطر لأحد على بال !! . .

٤٠ ـ وقلت : تواترت الأحاديث في التمسك بالكتاب والسنة . .

نحن لا ننكر أن سنة الرسول (ص) حجة ولكننا نقول : إن حديث الثقلين هو المتواتر وما ادعيته من تواتر حديث كتاب الله وسنتي يحتاج إلى إثبات . .

٤١ ـ وقـلت: الإسلام إن فسد من أصله لم يبلغ إلينا وما كنا اليوم مسلمين . .

إنما لا يبقى لك أنت طريق هداية أما نحن فلنا طريق هداية واضح وهو أهل البيت المعصومون بآية التطهير ، ومن ثبتت عدالته من الصحابة الأبرار . . ونترك دين الفساق منهم والمنحرفين . .

٤٢ ـ وختمت مقالك بادعاء أن الصحابة اتفقوا سراً على قتل التقية السبائية ، وقلت إن ذلك قد أشير إليه في وصية علي . .

فأين هذه الإشارة التي تذكرها في وصية علي وهل الثمانية عشر ألفاً الذين قتلوا مع عائشة وطلحة والزبير كانوا من أهل التقية والسبئية ؟! وهل طلحة والزبير المقتولان كانا من أهل التقية والسبائية وكذلك غيرهما من الصحابة الذين قتلوا في حرب الجمل ؟! . وأين أنت عن كتب أهل السنة والجماعة لتعرف حقيقة ما جرى في حرب الجمل وصفين والنهروان ؟! وكيف يصح منك أن

تتخرص وترجم بالغيب وتأتي بما هو خلاف ما ثبت في كتب أهل السنة والجماعة ؟! . . إن ذلك عجيب وعجيب حقاً . .

٤٣ ـ وملاحظة أخيرة وهي أن مقالتك لم تناقش أصل الموضوع في مقالنا حول الصحابة إلا بشكل بسيط جداً ومحدود ، ولم تتناول إلا بعض النقاط الجانبية التي ليست في صلب الموضوع . .

أما نحن . . فقد ناقشنا جميع ما جاء في مقالك وكل فقراته ، والحمد لله وله المنة على توفيقه وتسديده وإلهامه الحق ، وقول الصدق وهو وليّنا وهو الذي هدانا إلى سواء السبيل . .

وفي الختام . . أعود فأكرر أنك تكذّب البخاري ومسلم وأحمد بن حنبل وعبد الرزاق وسائر علماء الإسلام الذين أوردوا ما جاء في مقالنا ، بل أوردوا أضعاف ما جاء فيه ، ولو علم أهل السنة والجماعة بذلك منك لكان لهم منك موقف آخر وحساب آخر . .

وقد قلت لك في أول هذه الرسالة : إنك إذا أحببت المناقشة الهادئة والموضوعية بهدف الوصول إلى الحق والالتزام به فأنا على أتم الاستعداد لذلك ، أما إذا أردت السباب والشتم والطعن والاتهام بلا مبرر وبلا دليل فأبحث عن رجل آخر يحسن معك مثل ذلك . .

والحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطيبين الطاهرين . . والسلام على من اتبع الهدى . .

أخوكم : جعفر مرتضى العاملي

العلوي يعيد الكره

وقد أجاب القاضي العلوي عن مقالنا السابق بمقال مطول . . ولكننا لما رأينا أنه قد ذكر أشياء متشعبة ومن هنا وهناك وأن مناقشة كل ما جاء في إجابته تلك يحتاج إلى كتاب مستقل . . اقترحنا عليه أن نناقش هذه الموضوعات بالتدريج . . فأجبنا عن جانب مما ذكره . .

على أمل أن نجيبه عن سائر الموضوعات بعد الاتفاق على الحق في كل موضوع يطرح . .

والفقرات التي أجبنا عنها هي التالية : قال القاضي العلوي :

بسم الله الرحمن الرحيم : حامداً ومصلياً ومسلماً ـ بعد تحية التسليم فقد وصل إلى مكتوبك المعظم الذي بدأته بالصلاة وتركت حمد الله تعالى إن الإنسان مركب من الخطأ والنسيان مع ما فيه من أغلاط نحوية لكن ما التفت إليها وسأسعى في إيجاز الكلام لأن خير الكلام ما قل ودل ولقلة فرصتي لكثرة مشاغلي من القضاء والافتاء والتدريس ولذا لا أكتب إلا هذه المقالة فقط ـ

(مقدمة)

ليعلم أن موضوع البحث هو أن لفظ الصحابي أو الصحابة إذا وقع في الروايات في الكتب الإسلامية لا يريد به الرواي إلا المؤمن التام العدل لا المنافق ولا الفاسق بخلاف لفظ الإنسان أو الناس على العموم فإنه لا يراد به المؤمن

العدل لكن حضرة العاملي لما لم يفهم كلام الفقهاء الفضلاء ادعى أن هذا خطأ ـ وليس للصحابة فضل بل هم كسائر الناس وإنما اهتم علماء الإسلام برواية العدل لقوله تعالى إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا فكل من ذكر روايته علماء الإسلام من صحابي فهو عدل عندهم لذا قالوا الصحابة كلهم عدول ـ فها أنا أشرع في جواب الجواب بعنوان قال وأقول وبالله التوفيق .

قال سردنا في مقالنا جملة من أفعال الصحابة بالمعنى الشرعي كالوليد بن عقبة وقدامة بن مظعون ومروان ومعاوية .

أقول ـ إن كان هؤلاء مؤمنين فهم من الصحابة فلا حاجة إلى سرد أفعالهم لقوله تعالى لا يغتب بعضكم بعضاً وإن وجد منهم فسق فتابوا فهم كمن لا ذنب له والروايات التاريخية موضوعة لا نصدقها كما فصلنا في المقال السابق ومروان ليس من الصحابة كما في التقريب فذكره خارج عن الموضوع . .

وقال: قال لو ارتد ذهبت صحابته فإن عاد عادت راجع نزهة المجالس أقول هذا كتاب لا عبرة به أهكذا دلائلك.

وقال : قال قدمتم السنة على القرآن وأنت تعود فتسرق عقيدة الرافضة الذين يقولون ما خالف كتاب الله فهو زخرف أقول كل ذلك كذب وافتراء لأني قد نقلت من قبل من كتاب أصول الكافي لإمامك الكليني باب الأخذ بالسنة ص ٣٩ عن سيدنا جعفر الصادق أنه قال ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف وفي سنن الدارمي ص ٧٧ عن ابن عباس أنه قال إذا سمعتموني أحدث عن رسول الله فلم تجدوه في كتاب الله أو حسناً عند الناس فاعلموا إني كذبت عليه وفي أصول الفقه للحنفية للشاشي البغدادي في البحث الثاني ص ٤٣ أن النبي عليه السلام قال تكثر لكم الأحاديث بعدي فإذا روي لكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافق فاقبلوه وما خالف فردوه وتحقيق ذلك عن علي رضي الله عنه أنه قال الرواة ثلاثة مؤمن مخلص صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم واعرابي سمع بعض ما سمع ومنافق لم يعرف نفاقه فروى ما لم يسمع وافترى انظر يا حضرة العاملي أكان سيدنا علي والصادق وابن عباس والشاشي الأصولي من

الرافضة أهذا هو سرقتي عندك.

وأما سرقتك إن السنة قاضية على القرآن فلم يوجد في كتاب عقائد ولا أصول بل هو قول قائل موعول وليس بحجة .

وقال : قال مذهب أهل السنة إن السنة قاضية على الكتاب أقول قد مر جوابه وقد أيدته بقولك (في ص ٦) صحاحكم مخالفة القرآن وما ذكرت عن سنن الدارمي قول سعيد بن جبير وهو تابعي لا حجة في قوله والصحيح ما ذكرت أنا عن سننه قول ابن عباس وهو صحابي حجة وعن الكافي للكليني قول الإمام الصادق إلا إنك لا تجعله حجة .

وقال : قال نحن مرسلون جزءاً يذكر لك مصادر حديث الثقلين أقول ذكر مؤلف هذا الجزء بنحو ثمانين اضطراباً في متن هذا الحديث وأنا أيضاً إنما ضعفته لاضطراب في متنه ونحن مرسلون جزءاً يذكر لك فضل أهل الشام والنهي عن السب .

عبيد الله العلوي

* * *

مع العلوي من جديد

١٨/شوال/١٣٩٩ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله وصلاته على عباده الذي اصطفى محمد وآله وصحبه المنتجبين .

جناب الأخ الكريم الفاضل عبيد الله العلوي مفتي بلدة دير غـازي خان المحترم . .

لقد تلقيت جواب الجواب منكم بيد الشكر والتقدير ، وقرأته بشغف وشوق . . ورأيت فيه نقاطاً إيجابية سرّتني . . ولا سيما التزامكم بعرض الحديث على الكتاب ، فإن هذا أثلج صدري وحمدت الله وشكرته على ذلك . .

وفي بقية المقال نقاط كثيرة تحتاج إلى بحث وكتابة كثيرة ، ولذا ، فإنني اقترح عليكم أن نبدأ من الآن حواراً على كل نقطة نقطة فيه وبالترتيب . . ومن دون أي تعصب أو تحيز إلا للحق وفي سبيل الحق . .

ولذا فقد قررت أن أكتفي في مناقشتي هذه بمناقشة أمرين : فإذا اتضح الحق فيهما ، وقبلناه معاً : أنا وأنت ، فإننا ننتقل إلى النقاط الأخرى كل واحدة على حدة . . أو إلى أي نقطة تقترحونها أنتم . . وهكذا . . وآمل أن ينتهي بنا الأمر أخيراً إلى الاتفاق الكامل على جميع النقاط ، ثم إلى التعاون الخيّر البنّاء على ما فيه خير الإسلام وصالح المسلمين . . هذا . . ورغم انكم ذكرتم إن في كتابي

السابقة أغلاطاً نحوية . . لكنني راجعت ذلك الكتاب الطويل جداً فلم أجد فيه من الأغلاط ما يعادل نصف أصابع اليد الـواحدة ـ رغم ذلك ـ فإنني أشكركم جزيل الشكر على تنبيهكم لي إلى أن رسالتي السابقة لم يكن فيها حمد الله . . وإن ذلك وإن لم يكن واجباً ولكنه راجح ولا شك . . فلكم الشكر والتقدير على هذا التنبيه . .

والنقطتان اللتان أردت الإشارة إليهما بإيجاز هما : تعريف الصحابي ، ولعن معاوية . . ولولا إنكم أرسلتم لي : (الناهية عن لعن معاوية) لتركت الحديث عن معاوية الآن لكن كتابكم أجبرني على الحديث عنه . . فكلامي يقع معكم أولاً عن هذا الأمر فأقول : قلتم عن حديث الثقلين بالحرف الواحد : « ذكر مؤلف هذا الجزء بنحو ثمانين اضطراباً في متن هذا الحديث ، أنا أيضاً إنما ضعفته لاضطراب في متنه . . ونحن مرسلون جزءاً يذكر لك فضل أهل الشام ، والنهي عن السب » .

ثم أرسلتم (الناهية) .

ولكن من الواضح : أن الاضطراب في متن حديث الثقلين إنما يضر في اعتباره إذا كان المعنى مضطرباً أيضاً . . فإذا كان المعنى واحداً والألفاظ مختلفة فلا يقدح ذلك في اعتباره ، فإن النقل بالمعنى يصح بإجماع أرباب الفن ، وقضاء العرف . . ولذا يقسمون الخبر إلى متواتر أو مستفيض معنى ، وإلى متواتر أو مستفيض لفظاً ، وإلى منقول بلفظه ، وإلى منقول بالمعنى . .

كما أن من الواضح أيضاً: أنه لا مجال للتعريض بنـا بقولكم: (والنهي عن السب) فإننا لم نسب أحداً ، وإنما كلامنا في الجرح والتعديل على طريقة علماء الرجال . . أي أننا في صدد الجرح والتعديل الذي يترتب عليه أخذ أو عدم أخذ معالم ديننا عن كل صحابي فرداً فرداً .

وأما كتاب ؛ (الناهية) فهو قد كان عندي قبل أن ترسلوه إلي ، وأنا أشكركم على أنكم تكرمتم به عليّ مرة أخرى . . ولكن لا يمكن قبول ما فيه . . لأنه كله مطعون ومردود وقد تصدى لرد أحاديثه جمع من العلماء ، ويكفي أن

تقرؤا المجلد التاسع والعاشر من كتاب الغدير ، فإن لم يكن عندكم فإنني أرسله إليكم . .

ولقد قال في تاريخ الخلفاء للسيوطي / ص ١٣٣ ، وفتح الباري / ج ٧ ص ٨٣ ، والصواعق المحرقة/ ص٧٦ : « قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سألت أبي عن علي ومعاوية ؟ فقال : إعلم إن علياً كان كثير الأعداء ففتش له أعداؤه عيباً ، فلم يجدوا ، فجاؤا إلى رجل قد حاربه وقاتله فأطروه كيداً منهم لعلي . . » .

وفي اللآلي المصنوعة للسيوطي / ج ١ ص ٢٢٠ ، وفتح الباري / ج ٧ ص ٨٣ : قال الحاكم : سمعت أبا العباس محمد بن يعقوب بن يوسف يقول : سمعت أبي يقول : سمعت اسحاق بن ابراهيم الحنظلي يقول : لا يصح في فضل معاوية حديث . .

وقال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري / ج ٧ ص ٨٣ : تعليقاً على باب ذكر معاوية في البخاري : « أشار بهذا إلى ما اختلقوه لمعاوية من الفضائل مما لا أصل له . وقد ورد في فضائل معاوية أحاديث كثيرة ، لكن ليس فيها ما يصح من طريق الإسناد، وبذلك جزم اسحاق بن راهوية والنسائي وغيرهما . . إلى آخر كلامه . . وقريب منه ما في عمدة القاري للعيني.

وقال ابن تيمية في منهاج السنة / ج ٢ ص ٢٠٧ : طائفة وضعوا لمعاوية فضائل ، ورووا أحاديث عن النبي (ص) في ذلك كلها كذب .

وقال الفيروز آبادي في خاتمة كتابه : سفر السعادة ، والعجلوني في كشف الخفاء ومزيل الإلباس / ص ٤٢٠ : باب فضائل معاوية ليس فيه حديث صحيح . .

وقال الشوكاني في الفوائد المجموعة : اتفق الحفاظ على أنه لم يصح في فضل معاوية حديث . .

فهذه آراء الإمام أحمد بن حنبل ، واسحاق بن ابراهيم ، وابن حجر

العسقلاني ، والعيني ، والنسائي ، واسحاق بن راهوية ، وابن تيمية ، والفيروز آبادي ، والعجلوني ، والشوكاني الذي ادعى اجماع الحفاظ على هذا الرأي . . هذه آراؤهم في الأحاديث التي في فضائل معاوية . .

ونعود فنشير إلى المجلدين : التاسع والعاشر من كتاب : (الغدير) فإنه قدناقش أسانيد ومتون جميع تلكم الفضائل . . وكتب محمد بن عقيل أيضاً : كتاب تقوية الإيمان . . وكتاب : النصائح الكافية لمن يتولى معاوية . .

هذا كله بالنسبة إلى النقطة الأولى . . وأما بالنسبة إلى :

النقطة الثانية : وهي معرفة المراد من الصحابي . . فقد ذكرتم في الكتاب : (إن لفظ الصحابي أو الصحابة إذا وقع في الروايات في الكتب الإسلامية لا يريد به الراوي إلا المؤمن التام العدل . . إلى أن قال : وإنما اهتم علماء الإسلام برواية العدل لقوله تعالى : إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا . فكل من ذكر روايته علماء الإسلام من صحابي فهو عدل عندهم ، لذا قالوا : الصحابة كلهم عدول . .) .

وقلتم في الجواب عن أفعال الوليد بن عقبة وقدامة ومروان ومعاوية : (إن كان هؤلاء مؤمنين فهم من الصحابة فلا حاجة إلى سرد أفعالهم لقوله تعالى : لا يغتب بعضكم بعضاً . وإن وجد منهم فسق فتابوا فهم كمن لا ذنب له ، والروايات التاريخية موضوعة فلا نصدقها إلى آخر الكلام . .) وقلتم في مكان آخر عن الصفوري الشافعي : إنه غير معتبر . .

ولنا نحن هنا مناقشات عديدة . .

فالأولى : قولكم : اهتم علماء الإسلام برواية العدل لقوله تعالى : إن جاءكم الخ . . يرد عليه سؤال : لماذا اهتموا برواية العدل من الصحابة فقط ، ويعملون بالآية هنا ، ثم نراهم يروون عن العدل وغيره من غير الصحابة ، ويتركون العمل بآية النبأ هناك؟ أوليست هذه الآية عامة تشمل التبين لكل خبر فاسق ؟! . . وتلك هي مجاميعهم الحديثية مشحونة بالرواية عن غير الثقات وعن الوضّاعين والكذّابين والقدرية والخوارج وغيرهم . .

والثانية : هناك إسلام وهناك عدالة . وهناك فسق ، وهناك نفاق ، وهناك كفر . . فالكفر واضح أمره . . والنفاق هو أن يظهر الإسلام ، ويبطن الكفر . . والمنافق : كافر في الواقع . . والمسلم : هو الإنسان المعتقد بحقيقة ما جاء به محمد (ص) . . والعدل : هو المسلم الذي لا يتعمد ارتكاب الذنوب الكبائر . . وربما تصدر منه صغيرة ، ولكنه لا يصر عليها ، بل يتوب منها .

والفاسق: هو الإنسان المعتقد بحقّية الإسلام ولكنه لا يلتزم عملاً ببعض أحكامه، ويرتكب بعض الكبائر. . التي لا تخرجه عن الإيمان والإسلام. . كشرب الخمر والزنا والكذب، والغيبة والنميمة ونحو ذلك.

وبعد هذا . . فقد قلتم : إن المراد بالصحابي إذا وقع في الروايات في الكتب الإسلامية فلا يريد به الراوي إلا المؤمن التام العدل . . فكل من ذكر روايته علماء الإسلام من صحابي فهو عدل عندهم لذا قالوا : الصحابة كلهم عدول . .

وهذا التعريف لا يوافقكم عليه العلماء المحققون ، فلقد قال البخاري في صحيحه : « من صحب النبي (ص) أو رآه من المسلمين فهو صحابي » وكذا قال أحمد بن حنبل . . فالصحابي لا يختص بالعدل إذن ولا يختص بمن يروي عنه ، ونقل في فتح الباري / ج ٧ ص ٤ عن علي بن المديني أنه قال : من صحب النبي (ص) ، أو رآه ولو ساعة من نهار فهو من أصحاب النبي (ص) . .

وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات / ج ١ ص ١٤ : « أما الصحابي ففيه مذهبان : أهمها ـ وهو مذهب البخاري وسائر المحدثين وجماعة من الفقهاء وغيرهم ! ـ أن كل مسلم رأى النبي (ص) ولو ساعة وإن لم يجالسه ويخالطه» . .

وفي الإصابة / ج ١ ص ٧ : « . . وأصح ما وقفت عليه من ذلك : أن الصحابي : من لقي النبي (ص) مؤمناً به ومات على الإسلام . . فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له ، أو قصرت ، ومن روى عنه أو لم يرو ، ومن غزا معه أو لم يغز ، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه ، ومن لم يره لعارض كالعمى . . » .

وفي فتح الباري / ج ٧ ص ٣ ، والإصابة / ج ١ ص ٨ ، واللفظ للفتح : « . . فلو ارتد ثم عاد إلى الإسلام، لكن لم يره ثانياً بعد عوده ، فالصحيح أنه معدود في الصحابة، لإطباق المحدثين على عد الأشعث بن قيس ونحوه ممن وقع له ذلك واخراجهم أحاديثهم في المسانيد . . » .

وهذا هو نفس ما ذكره الصفوري الشافعي الذي رددتم كلامه بأنه هو غير معتبر . .

وقال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري / ج ٧ ص ٢ : « . . وهذا الذي ذكره البخاري هو الراجح ، إلا أنه يشترط في الرائي أن يكون بحيث يميز ما رآه ، أو يكتفي بمجرد حصول الرؤية محل نظر ، وعمل من صنف في الصحابة يدل على الثاني ، فإنهم ذكروا مثل محمد بن أبي بكر الصديق ، وإنما ولد قبل وفاة النبي (ص) بثلاثة أشهر وأيام . . » .

وقال في الفتح / ج ٧ ص ٣ : والذي جزم به البخاري هو قول أحمد والجمهور من المحدثين . . وقد عدوا الحسن والحسين من الصحابة ، مع أن الحسن ولد في الثالثة من الهجرة والحسين ولد في الرابعة .

وفي أسد الغابة / ج ١ ص ١٢ : قال أحمد بن حنبل : (أصحاب رسول الله (ص) : كل من صحبه شهراً أو يوماً أو ساعة أو رآه . .)[1] .

وغير ذلك مما لا يمكن تتبعه واستقصاؤه . .

وبعد كل ما قدّمناه نقول : إن ما ذكره من أن الصحابي في الاصطلاح هو ذلك ففي غير محله . . لأن شرط العدالة غير موجود في المقام وإنما اشترطوا الإسلام والرؤية فقط ولذلك تجدهم يذكرون الوليد بن عقبة والحكم بن أبي العاص واضرابهم في الصحابة مع ما هو معلوم منهم . . ودعوى توبتهم مما يصدر منهم تحتاج إلى إثبات . . وإلا لأمكن دعوى توبة كل راو مما يوجب

---

(١) وواضح أن مروان قد رأى النبي (ص) وكان بحيث يميز ما رآه كما ذكره مفصلاً العسقلاني في الإصابة / ج ٣ ص ٤٧٧ ـ ٤٧٨ ، فكيف تقولون : إنه ليس من الصحابة ؟! . .

فسقه ، حتى ولو لم يكن صحابياً . .

وإذا كان المراد هو كل من رأى النبي (ص) ولو لم يرو عنه . . لم يصح قولكم : إذا وقع الصحابي في الروايات فلا يراد به إلا المؤمن التام العدل . . لأن الحديث يكون عن كل صحابي ، ولو لم يكن له رواية أصلاً . . ولو كان قد ارتد ثم عاد إلى الإسلام . .

وعلى قولهم حتى لو رأى النبي (ص) من بعيد فإنهم يقولون عنه إنه صحابي . . وعندكم كل صحابي فهو عدل للأدلة العامة التي تذكرونها . . وإذن فكل من رأى النبي (ص) فهو عدل حتى ولو لم يرو عنه ولو كان صغيراً حينما رآه ، ولو ارتد بعد ذلك ثم عاد وهكذا .

وواضح : أنهم يستدلون على عدالة الصحابي بعد تحقيقهم المراد منه أولاً . . فهم يذكرون أولاً أن من رأى النبي (ص) فهو صحابي . . ثم يستدلون على عدالة كل من رأى النبي (ص) بأدلة أخرى . . وهذه الأدلة لو سلمنا دلالتها فإنما هي ناظرة إلى المعنى العرفي للصحابي الذي يفهمه الناس لأن النبي (ص) والقرآن إنما يكلّم الناس بما يفهمون ويعرفون ، ومجرد أن يرى الإنسان رجلاً ماراً في طريقه أو يراه من بعيد لا يصير صاحباً له لا لغة ولا عرفاً . . نعم لو جلس معه وتكلّم معه فترة من الزمن قيل إنه صاحبه . . فلو سلمنا دلالة الأدلة . . فإنها لا تشمل الصغير . . ولا الذي رآه من بعيد أو وهو مار في طريقه . . وقد تكلمنا عن أصل دلالة الأدلة ولسوف نتكلم عنها فيما يأتي إن شاء الله بعد أن نتفق على المراد من الصحابي . .

الثالثة : استدلالكم بآية : ولا يغتب بعضكم بعضاً في غير محله لأن مجرد الإيمان لا يكفي في الوثاقة والعدالة . . لأن الإيمان هو عقد القلب على ما جاء به النبي (ص) . . والالتزام به . . وهذا لا ينافي وقوع المعصية منه مع اعتقاده بكونها معصية ، وبأنه معاقب عليها . . ومع اعتقاده بنبوة النبي (ص) وبما جاء به وعقد قلبه عليه . .

ولو سلمنا . . فإن جرح علماء الرجال لا يعد غيبة ، لأنه مما لا بد منه ،

إذا أريد أخذ معالم الدين وأحكام الإسلام من أولئك الذين يتعرض لمدحهم أو لقدحهم ، وإلا فلماذا جوزتم الغيبة لغير الصحابة مع أنهم مؤمنون . .

الرابعة : قولكم إن الروايات التاريخية موضوعة . . لا يمكن قبوله على إطلاقه . . إذ لا بد من دليل على كونها موضوعة ، ومجرد الدعوى لا تكفي بعد أن كان هؤلاء المؤرخون من كبار علماء أهل السنة ، وبعد أن كان العلماء من أهل السنة يوثقون الكثيرين منهم ، ويقبلون الكثير من رواياتهم التاريخية فكيف يصح رميهم بالكذب والوضع إذن من دون تثبت في ذلك؟!.

والخلاصة : الصحابي : هو كل من رأى النبي (ص) مؤمناً به ومات على ذلك . . وقولنا: مؤمناً به، ليس إلا لإخراج الكافر والمؤمن بغيره لا لأخراج الفاسق . .

وأما قضية المنافقين . . فإنهم كانوا يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر ولم يكن يمكن معرفة أشخاصهم وبعد موت النبي (ص) لم يكن يمكن لأحد تمييزهم عن غيرهم ممن رأى النبي (ص) وصحبه : أن هذا منافق أو لا ولا تمييز المؤمن عن غيره . .

وقول الصادق (ع) الذي نقلته من رجال الكشي يدل على أن من رأى النبي (ص) كانوا على قسمين : قسم من أولي التقى والنهى وقسم من غير أولي التقى والنهى . .

وخلاصة الأمر : إنه لا يمكنكم إثبات أن كل من رأى النبي (ص) مسلماً مؤمناً به فهو عادل . . إلا أن يكون المراد من كلمة صحابي هو خصوص جماعة من الذين رأوا النبي (ص) مسلمين وليس كلهم . . فإن كان هذا هو مقصودكم وقبلتم أن بعض من رآه (ص) من المسلمين لم يكن من أصحابه وإن روى عنه فلربما رآه مسلم وروى عنه وليس منه أصحابه . فنحن إذن نكون متفقين . . ولا بد إذن من تتبع أعمال وأقوال من رآه من المسلمين لنعرف : هل هو عدل أو لا . . وهل هو من أصحابه العدول أو لا .

وفي الختام . . فإنني قد أرسلت لكم بعض الكتب من مؤلفاتي وغيرها

أرجو أن تقرؤوها وتعطوني رأيكم فيها . .

ورجائي الأكيد . . أن ينحصر البحث في نقاط معينة حتى نقتنع بها معاً وبعد ذلك ننتقل إلى بحث غيرها من النقاط . . فالذي تقبلونه من رسالتي أذكروه والذي أقبله من رسالتكم أذكره لكم . . حتى لا يتلف الوقت في البحوث الجانبية . .

وقد اتفقنا على أنه لا بد من عرض كل حديث على القرآن فما وافق كتاب الله نأخذه ، وما خالفه ندعه . . وهذا شيء مهم جداً . . وأنقل لكم بعض الروايات لا احتجاجاً لأننا قد اتفقنا ، وإنما استيناساً فعدا عما نقل عن ابن عباس . . عن ابن مسعود أنه قال : فانظروا ما واطأ كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه (جامع بيان العلم / ج ٢ ص ٤٢) .

وعن معاذ : « فاعرضوا على الكتاب كل الكلام ، ولا تعرضوه على شيء من الكلام » كنز العمال / ج ٨ ص ٨٧ عن ابن عساكر ، وحياة الصحابة / ج ٣ ص ١٩٧ .

وعن أبي بن كعب فيما أوصى به رجلًا : اتخذ كتاب الله إماماً ، وارض به قاضياً وحكماً الخ . . حياة الصحابة / ج ٣ ص ٥٧٦ عن حلية الأولياء لأبي نعيم / ج ١ ص ٢٥٣ .

وقد ذكرت هذه الروايات كما قلت للزيادة في الاستيناس بالمطلب لا للاستدلال . . فإننا ولله الحمد غير مختلفين فيه . . وأطلب منكم أن تعرضوا كل حديث على كتاب الله فما وافقه تستدلون به عليّ وما خالفه فلا . . وأنا أيضاً بدوري كذلك . .

والسلام عليكم وعلى من تحبون . . وعلى الأخوة المؤمنين ورحمة الله وبركاته . .



العلوي يعترف ويعتذر

بسم الله الرحمن الرحيم

حامداً ومصلياً ومسلماً .

السلام عليكم وعلى جميع أحبائكم ورحمة الله وبركاته .

فقد بلغ مكتوبكم المكرم إلى : (عيد گاه) مصلى البلد لخطأ في العنوان ، ثم أوصل إلي في بدء هذا الشهر الربيع الثاني ، وما تهيأت للجواب لما تقدم من معذرتي في المقالة السابقة إلا أن تحريك جنابكم ألجأني إلى كتابة بعض الألفاظ المختصرة ما شاء الله تعالى ثم يكون مقامي السكوت عن أبحاث أخرى لكبر سني وقلة فرصتي وكفاية المقالات السابقة عن إطالة الأبحاث فأقول وبالله التوفيق .

(أما اضطراب حديث الثقلين) من حيث المعنى فعندما جاء في الموطأ والمشكاة في باب الاعتصام بالكتاب بلفظ : تركت فيكم أمرين : كتاب الله وسنة رسوله . وفي سنن الترمذي في أبواب الوصايا ـ أوصى النبي عليه السلام بكتاب الله تعالى ـ .

وفي المشكاة في باب وفاة النبي عليه السلام : اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده الخ ، ثم جاء الاختلاف في معنى أهل البيت ومن هم ، ثم أنا لا نرد حديثاً

ولو كان ضعيفاً إذا لم يخالف كتاب الله تعالى (كما أشرت في المقالة السابقة) فكيف نرد حديث الثقلين ، بل هو مقبول لنا وعلى الرأس والعين ، وأسرد لذلك بعض روايات الأئمة :

١ ـ في كتاب الآثار للإمام أبي يوسف (مطبوع مصر ص.١٢٤) عن أبي حنيفة عن حفعر بن محمد « الصادق » الخ .

و (ص ٣٤) عن أبي حنيفة عن أبي جعفر محمد بن علي « الباقر » الخ .

٢ ـ في كتاب الآثار للإمام محمد (مترجم طبع كراتشي) ص ٣٢٠ ، قال أبو حنيفة : أخبرنا محمد بن علي « الباقر » قال جاء علي رضي الله عنه إلى عمر رضي الله عنه الخ .

٣ ـ في كتاب الحجج للإمام محمد (مطبوع لكهنو) ص ٣١١ قال محمد أخبرنا محمد بن أبان عن جعفر بن محمد بن علي عن أبيه عن علي رضي الله عنه الخ .

٤ ـ في الموطأ للإمام محمد (مطبوع لكهنو) ص ٢١٣ مالك حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه الخ . قال محمد به نأخذ وهو قول أبي حنيفة الخ .

(فالفقه الحنفي فقه جعفري، والفقه الجعفري فقه نبوي سني).

٥ ـ في تفسير عمدة البيان للشيعة (مطبوع دهلي) امام صادق أبو حنيفة سى باتين كرراهى تهى ـ (أي كان الصادق يتكلم مع أبي حنيفة).

٦ ـ في همز المصائب (للشيعة) ص ٩٤٧ امام أعظم كويه رتبة إمام جعفر صادق سى ملا ـ أي ما حصل للإمام الأعظم من عظمة فمن فيض الإمام جعفر «الصادق» .

(أما بحث أحاديث فضائل معاوية رض) فإن كان فيها موضوعات فكذا في فضائل سيدنا علي رضي الله عنه موضوعات كثيرة أيضاً مذكورة في تلك الكتب الموسومة بتذكرة الموضوعات كما لا يخفى على من طالعها .

أما قول بعض المحدثين (لم يصح) فمعناه إنه لم يبلغه الحديث بالإسناد الصحيح وليس فيه نفي الفضيلة ولا عدم الصحة عند غيره وما ذكرتم من نقول فانظروا إلى ما أنقل ؛

١ ـ ذكر المحدث محمد طاهر في تذكرة الموضوعات (مطبوع بمبئي) ص ٧ قولنا لم يصح لا يلزم منه إثبات العدم إنما هو اخبار عدم الثبوت .

(وفي ص ١٠٠) أصح ما روى في فضائل معاوية حديث مسلم إنه كاتبه وبعده حديث العرباض : اللهم علمه الكتاب وبعده حديث اللهم اجعله هادياً مهدياً .

٢ ـ وفي تاريخ الخلفاء ص ١٣٦ قد ورد في فضله أحاديث قل ما تثبت (ثم ذكر) عن علي رضي الله عنه لا تكرهوا إمرة معاوية .

٣ ـ وفي فتح الباري ج ٧ ص ٨١ ظاهر شهادة ابن عباس رض على معاوية بالفقه والصحبة دالة على الفضل الكثير ـ (فشهادة أهل البيت على فضل معاوية كافية لمن يوقن بحديث الثقلين فينتهي عن الجرح على معاوية) .

٤ ـ ليس في الفوائد المجموعة للشوكاني ما ذكرتم (إنه اتفق الحفاظ على أنه لم يصح في فضل معاوية حديث) بل فيه (ص ١٤٨ طبع لا هور) قلت قد ذكر الترمذي في باب ذكره في مناقبه ما هو معروف فليراجع .

وأما هذه الأكاذيب فأمرها بين : (ففي هذه العبارة إشارة إلى صحة ما في سنن الترمذي من أحاديث فضل معاوية رض فليتأمل) .

(أما ابنه يزيد فملعون بالأعمال الخبيثة كما ثبت بالأحاديث النبوية) .

(وأما بحث عدالة الصحابة) :

١ ـ فالمناقشة الأولى أن العلماء لِمَ يروون عن العدول وعن غيرهم فالجواب أن العلماء قصداً لا يروون عن الفساق ولا عن الكذابين بل قالوا إن أحاديثهم موضوعة وصنفوا لإظهارها كتباً ـ قال الشيخ عبد الحق في مقدمة المشكاة إن جاء

المبهم بلفظ التعديل كما يقول الراوي أخبرني عدل ـ ففيه اختلاف والأصح أنه لا يقبل الخ .

٢ ـ والمناقشة الثانية إن الجرح لأخذ الحديث ليس بغيبة . .

فالجواب إن هذا صحيح وهل جرح أحد من علماء الجرح والتعديل على صحابي بل ذكروا أن الصحابة عدول .

٣ ـ والمناقشة الثالثة ـ إن الصحابي كل من رأى النبي عليه السلام فكيف يكون بهذا السبب عدلاً . .

فالجواب إن ذلك فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء كما في سورة الجمعة ، وفي الحديث المشهور طوبي لمن رآني وآمن بي . الحديث .

٤ ـ المناقشة الرابعة نسبة إلى هذا العبد إن الروايات التاريخية موضوعة . .

فالجواب إني ما قلت هذا على الاطلاق بل للروايات المزخرفة للمطاعن على المؤمنين خلاف كتاب الله ، والأحاديث الصحيحة وأيضاً تزعمون أن العلماء يرؤون عن العدول وعن غير العدول أكان المؤرخون أعظم درجة من المحدثين فلا يروون عن غير العدول ثم المحدثون يروون بالأسانيد ويتكلمون عليها أهكذا دأب المؤرخين يروون بالأسانيد ويتكلمون عليها ـ قال محمد طاهر في خاتمة مجمع البحار (ص ٥٠٩) ، في المقاصد قال أحمد ثلث كتب ليس لها أصول المغازي والملاحم والتفسير في الاتقان مراده أن الغالب أنه ليس لها أسانيد صحاح وكذا حكاه الشوكاني في الفوائد المجموعة (ص ١١١).

وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين .

رقّمه خادمكم عبيد الله العلوي ٧ / ٤ / ١٤٠٠

عنواني : باكستان ـ بلدة ديره غازي خان ـ بلاك ٣٦

قاضي عبيد الله علوي مفتي ديره غازيخان

فأخبرونا بوصول هذا المكتوب .

* * *

آخر كلمة لنامع العلوي

١٧/ربيع ٢/١٤٠٠ هـ.

بسمه تعالى وله الحمد وصلاته على نبيه وآله .

تحية لكم وسلام عليكم وعلى كل من تحبون ورحمة منه وبركات .

تلقيت كتابكم في هذا اليوم : ١٧ / ربيع ٢ / ١٤٠٠ هـ . وقد سرّني إنني رأيت فيه الأمور التالية :

الأول : إنكم قبلتم بحديث الثقلين المتواتر .

الثاني : ما ذكرتموه حول الفقه الجعفري .

الثالث ؛ ما ذكرتموه من أن ما في كتب التاريخ ليس كله باطلاً .

الرابع : ما ذكرتموه من وجود أحاديث موضوعة ولا تصح في فضائل معاوية .

الخامس : قبولكم بأن جرح الرجال لأخذ الحديث عنهم ليس بغيبة .

السادس : قبولكم بأن الصحابي في اصطلاح علماء أهل السنة هو من رأى الرسول الأعظم « ص » ولو من بعيد شرط أن يكون مميزاً .

ولكن قد بقي في كتابكم مواضع تحتاج إلى بحث . . وحيث إنكم طلبتم مني إيقاف النقاش واعتذرتم بالمشاغل وبكبر السن . . فإنني سوف أجمل بعض

موارد النظر في كتابكم على النحو التالي :

١ ـ أما بالنسبة لحديث الثقلين . وأن المراد بأهل البيت غير معلوم ، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد بين المراد من أهل البيت في آية التطهير وبقي ستة أو تسعة أشهر يذهب ويقف على باب دار فاطمة ويقول : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته . . وقد عيّنهم أيضاً حديث الكساء المستفيض في كتب المسلمين وهم : الخمسة أهل الكساء : النبي (ص) وعلي وفاطمة والحسنان . وقد تكلم العلامة الكبير السيد مرتضى العسكري حول حديث الكساء في مجلة الهادي السنة ٥ العدد ٤ وليراجع أيضاً دلائل الصدق/ ج٢ ابتداء من ص ٩٥ ، والدر المنثور في تفسير آية التطهير ، وصحيح مسلم ومستدرك الحاكم وسنن الترمذي وغير ذلك كثير جداً .

وأما ما ذكره في الموطأ من قول الرسول (ص) : كتاب الله وسنتي فمن جهة لا تنافي بين الحديثين ولا يضر ذلك بتواتر حديث كتاب الله وعترتي ، ومن جهة ثانية ؛

فإنما ذكره مالك بلاغاً ولم يذكر لنا سلسلة السند التي بينه وبين الرسول الأعظم فهو مرسل . . كما أن نفس الرسالة التي أرسلتها إليكم حول حديث الثقلين قد تعرّضت لرواية الموطأ والمشكاة فليراجع / ص ١٨ ـ ١٩ .

ووصية الرسول بكتاب الله كما ذكره الترمذي في الوصايا لا تضر بحديث الثقلين الذي ذكره الترمذي نفسه في سننه أيضاً كما نصت عليه الرسالة التي أرسلتها إليكم . .

وأما حديث المشكاة في باب وفاة النبي (ص) : اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده فلا ربط له بالوصية بكتاب الله والعترة لأنه (ص) يريد أن يعهد إليهم عهداً يلزمهم به حتى لا يبقى عذر لمعتذر ، ولذلك نجد أن بعض الصحابة قد مانعوا في كتابته (ص) وقالوا : أهجر ؟! أو غلب عليه الوجع أو نحو ذلك . .

٢ ـ وحول صلة أبي حنيفة بالإمام جعفر الصادق (ع) ، فإنني أزيدكم :

أن أبا حنيفة نفسه قد قال : (لو لا السنتان لهلك النعمان) كما في مختصر التحفة الاثني عشرية / ص ٨ . ويا حبذا لو كنتم أخذتم بالفقه الجعفري مباشرة وبلا توسيط أبي حنيفة ، فتكونون قد شربتم من أصل النبع لا من فرعه . وإنني أطلب منكم أن تطالعوا كتاب : الامام الصادق (ع) والمذاهب الأربعة للعلامة الشيخ أسد حيدر الذي أرسله إليكم مع هذه الرسالة . .

٣ ـ وأما ما ذكرتموه حول كتب التاريخ . . فإن كتبهم ككتب أهل الحديث : أي كسنن البيهقي ومسند أحمد ومصنف عبد الرزاق وغيرها فيها الصحيح والحسن والضعيف والموضوع ولكن الأمور التي اتفق عليها غالب المؤرخين واستفاضت في كتبهم لا بد من قبولها ـ كما إن كثيراً من روايات التاريخ له أسانيد صحاح وحسان ـ كما أنكم أنتم قد صرحتّم أكثر من مرة بأنكم تقبلون الضعيف إذا لم يخالف كتاب الله ـ فلماذا لا تقبلون أحاديث المؤرخين هذه إذن . . وقولكم : إنها تخالف كتاب الله الدال على عدالة كل صحابي . . لا يمكن قبوله إذ ليس في القرآن ما يدل على عدالة كل من رأى النبي (ص) . . هذا بالإضافة إلى أن هناك أحاديث صحيحة السند في الموطأ والبخاري ومسلم والترمذي ومستدرك الحاكم ومصنف عبد الرزاق ومسند أحمد و و و كلها تدل على أن كثيراً من الصحابة قد فعلوا بعض المعاصي الكبار المنافية لعدالتهم ، فلماذا لا تشكلون على هذه الكتب أيضاً . .

بل إن قسماً كبيراً من الروايات التاريخية والتفسير والمغازي مأخوذ من كتب الحديث . . ولذلك تجدون أن المعترضين إنما يأخذون قسماً كبيراً من اعتراضاتهم عن أوثق الكتب الحديثية التي يقال عنها إنها أصح شيء بعد القرآن !! .

٤ ـ وأما ما ذكرتموه حول فضائل معاوية : فإن قياسها على فضائل علي قياس مع الفارق ، فقد قال أحمد والنسائي واسماعيل القاضي وأبو علي النيسابوري والنص لأحمد : « ما لأحد من الصحابة من الفضائل بالأسانيد الصحاح مثلما لعلي رضي الله عنه» . (مناقب أحمد لابن الجوزي الحنبلي/ ص ١٦٣ ، وليراجع فتح الباري / ج ٧ ص ٥٧) .

فكيف تقاس فضائل معاوية التي صرح الحفاظ بأنه ليس فيها حديث صحيح على فضائل علي عليه السلام ؟!! .

وما نقلتموه عن تذكرة الموضوعات من أنه لا يلزم من عدم صحة الحديث كونه موضوعاً . . . لا يلزمنا بشيء ما دام أن ذلك يكفي في عدم إمكان ترتيب أثر عليه .

وإذا كانت كل الأحاديث ضعيفة فإنه لا يصح أن يقال : إن معاوية له فضائل .

وأما أن معاوية قد كتب له (ص) فإن ذلك لا ينفع لأنه قد ثبت إنه كتب له بعض الرسائل ولم يكتب الوحي كما أثبته السيد أبو الفضل مير محمدي في مقال له سابق . . هذا عدا عن أن ابن أبي سرح قد كتب له (ص) ولكن ذلك لم يمنع النبي (ص) من أن يهدر (ص) دمه حتى شفع فيه عثمان في فتح مكة . . وحديث اللهم علمه الكتاب لا يفيده بعد أن حكم محمد طاهر نفسه في تذكرة موضوعاته قبل ذلك بسطر بأنه لم يصح في فضائله أي حديث . .

وقول السيوطي دليل لنا لا علينا . . وشهادة ابن عباس التي نقلتموها عن فتح الباري له لا تفيده لأن ابن عباس ليس من أهل البيت الذين عناهم حديث الثقلين كما أن فتح الباري نفسه ينص في نفس الصفحة / ج ٧ ص ٨١ على أن إسحاق بن راهويه والحاكم وأحمد بن حنبل والنسائي قد حكموا بأنه لا يصح في فضل معاوية شيء من طريق الإسناد ولذا لم يقل البخاري باب فضائل معاوية بل قال : باب ذكر معاوية . وأعود فأذكركم بما ورد في رسالتي السابقة في مقام نقل أقوال العلماء في فضائل معاوية .

وأما ما وقع لي في الفوائد المجموعة فسببه أني نقلت عنه بالواسطة ومع ذلك فإنه قد نقل إنه لا يصح في فضل معاوية شيء ثم أشار إلى حديث الترمذي ولقد راجعنا الترمذي فوجدناه قد ذكر حديثين حكم على كليهما بالغرابة وعلى الثاني حكم بالضعف أيضاً . . هذا عدا عن مناقشات العلامة الاميني لجميع فضائل معاوية في كتابه القيم : الغدير / ج ١١ ص ٧١ ، ١٠٣ وبين ضعف

الأحاديث الواردة في معاوية بما لا مزيد عليه . .

٥ ـ وأما أن العلماء لا يروون عن الفسّاق : كما قلتم ، فإنه عجيب أوليس تـجدون في سنن البيهقي ومسند أحمد ومصنف عبد الرزاق روايات كثيرة عن الضعفاء والمجاهيل وأصحاب البدع والأهواء ؟! وإذا كان العلماء لا يروون إلا عن ثقة عدل فلماذا يحتاج إلى تمييز الموضوع عن غيره ولماذا لا تأخذون بكل ما في كتب العلماء من الروايات ولماذا تروي المتناقضات في الكتب . . أوليست الروايات التي يراد تمييز الصحيح من الفاسد منها قد ذكرها العلماء كلها في كتبهم حتى اضطر من جاء بعدهم إلى تدوين كتب الحديث والرجال والموضوعات وغيرها ؟! .

وأما عدم جرح أحد من العلماء للصحابة فإنما هو لشبهة حصلت لهم حيث تخيلوا أن لديهم أدلة تثبت عدالتهم جميعاً ، فلم يروا ضرورة للبحث عنهم . . ونحن نقول : إن هذه الأدلة التي اعتمدوا عليها لا تدل على عدالة كل صحابي ولا تثبت ما يريدون إثباته .

٦ ـ وأما استدلالكم على عدالة كل من رأى النبي (ص) بآية : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . . » ، وبالحديث : « طوبى لمن رآني وآمن بي . . » فهو استدلال منظور فيه ، لأنه أولاً لا نسلم أن الله قد منحهم هذه العدالة أو تفضل عليهم بها لأن الأدلة التي يستدلون بها على العدالة محل نظر ومناقشة . . وإذا كان قد منحهم ذلك من دون استحقاق منهم ولا موجب فإن ذلك ينافي عدله تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ، إذ قد كان اللازم أن يتفضل على جميع البشر بمثل ما تفضل به عليهم . .

وأما رواية : (طوبى الخ) فإن صح سندها فإنما تدل على أن من رآه مؤمناً به مع تحقق سائر الشرائط طوبى له . . وإلا . . فلو كان هذا الذي رآه وآمن بنبوته عاصياً يشرب الخمر ويزني أو يترك الصلاة ويقتل أبناء الأنبياء فإن رؤيته له وإيمانه بالنبي (ص) لا ينفعه .

وفي الختام . . فإنكم قد طلبتم مني إيقاف هذا البحث واعتذرتم عن ذلك

بمشاغلكم وشيخوختكم . . وأنا ـ وإن كان يصعب علي ترك البحث العلمي فإنني أكل ذلك إليكم . . والسلام عليكم وعلى كل من تحبون ورحمة الله وبركاته .

جعفر مرتضى الحسيني العاملي .

كلمة ختامية

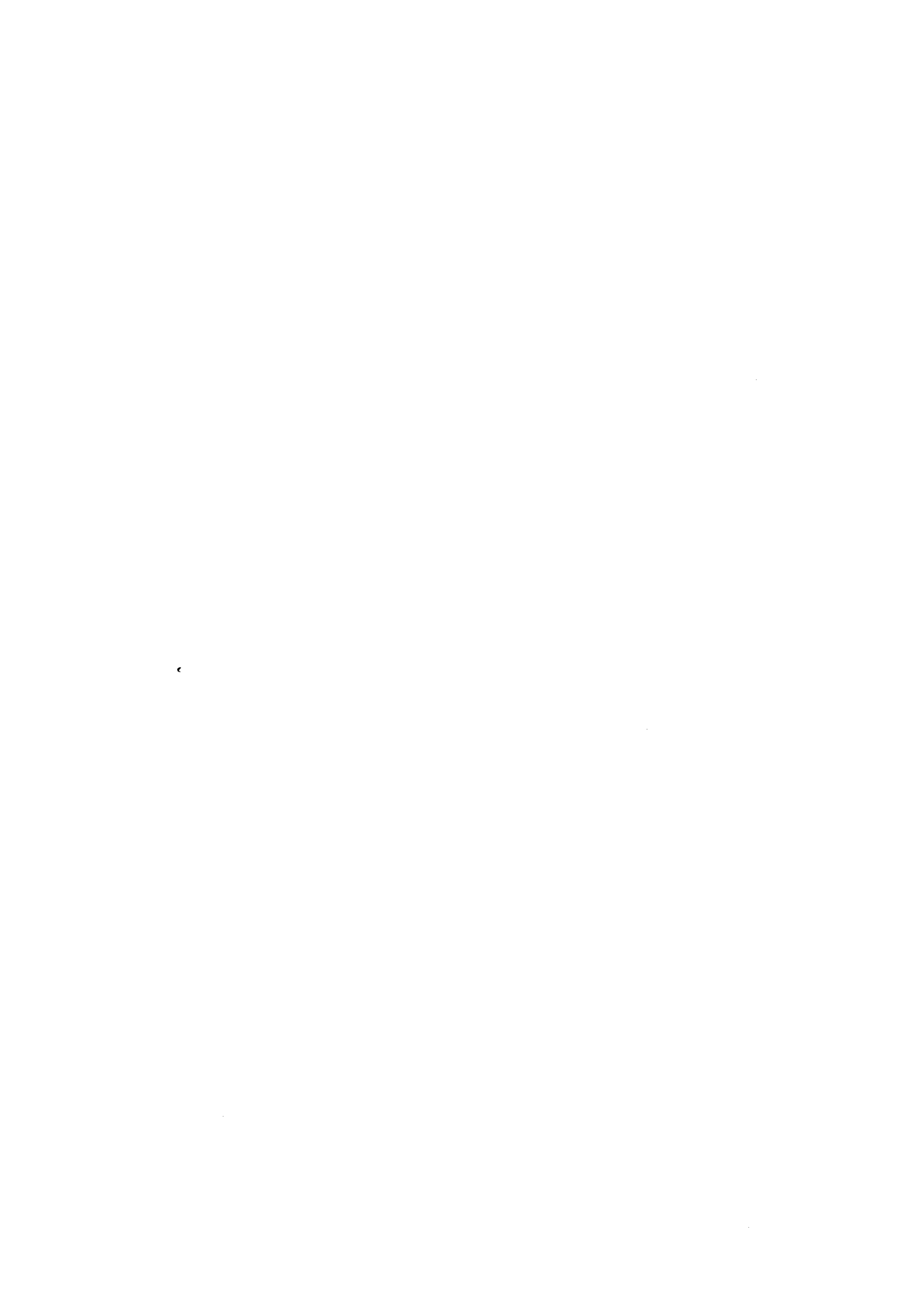
وبعد .. فإنني إذ أودّع القارىء على أمل اللقاء به من جديد ، في بحوث أخرى ، وعلى صفحات كتاب آخر .. آمل أن يكون هو السيرة النبوية الشريفة .. أتمنى من كل قلبي أن يكون قد خرج من هذا الكتاب راضياً عن مطالبه ، مرتاحاً إلى محتواه .. وإذا كان لديه ملاحظات من نوع ما فإنني أرجو أن يتحفنى بها على العنوان التالي :

الجمهورية الإسلامية الإيرانية ـ قم ـ چهارراه غفاري ـ كوچه بو علي سينا ـ كوچه آخر دست داست ـ

وآخر دعوانا : أن الحمد لله رب العالمين ، وصلاته وسلامه على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين .

٨ / ٤ / ١٤٠٠ هـ .

جعفر مرتضى الحسيني العاملي



محتويات الجزء الثاني

مقالات استطلاعية

مناقشات وردود